أهمية الأمثال في تراث الأمة

تأليف

الدكتور يوسف بن علي بن رابع الثقفي

مكتبة الطالب الجامعي
مكة المكرمة - العزيزية

مكتبة دار الزمان
ت ، ٨٣٦٦٦٦٦ - ف ، ٨٣٨٣٢٢٦
DAR ALZAMAN BOOKSHOP
0007002834
SR.20 21/22

أهمية الأمثال في تراث الأمة

أهمية الأمثال في تراث الأمة

تأليف
الدكتور يوسف بن علي بن رابع الثقفي

مكتبة الطالب الجامعي
مكة المكرمة - العزيزية
مدخل جامعة أم القرى ص.ب. : ٦٧٤٧
هاتف: ٥٥٦٦١٧٠ - ٥٥٧٣٢١٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

مكتبة الطالب الجامعي
مكة المكرمة ـ العزيزية
مدخل جامعة أم القرى ص. ب. : ٦٧٤٧
هاتف: ٥٥٦٦١٧٠ ـ ٥٥٧٣٢١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٍ ﴾

صدق الله العظيم

الإهـــداء

الى الـوالد عـلي بن رابع الثقفي الـذي عـوّدني منـذ الصغـر على اتبـاع مبادىء الحيـاة الكـريمـة وانتهـاج أفضل السبل في معـاملة الناس، تغمـده الله برحمتـه وأدخله فسيح جناته.

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، وبعد، فقد أطلعني الاخ الكريم الزميل الدّكتور يوسف ابن علي رابع الثقفي رئيس قسم التاريخ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى على مؤلفه القيم (أهمّيّة الأمثال في تراث الأمة)، وطلب مني كتابة مقدمة له وهو حسن ظنّ من الزميل الكريم دعا إليه ما تربطني به من علاقة وزمالة تمتد إلى فترة كُنّا فيها زُملاء طُلاب في الكليّة، كلية الشريعة، وها نحن الآن زملاء في التدريس والعمل.

وإنني أُشارك الأخ الزّميل أهمية الاطلاع على الأمثال ودراستها والكتابة فيها، ذلك أنّها تُعتبر من أهم الموضوعات الموروثة في الأمم، فهي تعبير عن تجربة معاشة أو خبرة مُكتسبة، وهي تعبير كذلك عن رُؤية معيّنة أو موقف من مواقف الحياة. بل إنّها قد تشمل متناقضات تجري في أنماط السّلوك البشري.

وغير خافٍ أنّ الأمثال في موروثات الأمم كالمرآة تنعكس عليها عاداتها وأخلاقها وتقاليدها. لذلك فهي مجال خصب وميدان فسيح لدراسة المجتمع والتعرف على عاداته والأفكار السائدة فيه.

والأمثال سهلة الحفظ ومادة للاستشهاد والاحتجاج، وترجع سهولة الحفظ ومتعة الاستشهاد إلى ما يتميز به المثل من فنون البلاغة والبيان واستخدام المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق حتى ولو كان باللغة العاميّة الدّارجة.

ومن أبرز ما يتميّز به المثل الإيجاز الشديد فيعبر عن الحدث أو التجربة أو الحكمة بعبارة موجزة. ومع إيجازها، فهي كما يقول أبو هلال العسكري: تعمل على الاطناب، ولها روعة اذا ابرزت في أثناء الخطاب والحفظ موكل بما راع من اللفظ وبرز من المعنى. وكما قال بعض البلاغيين: تجتمع في المثل أربعة: ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة.

وما يقال في المثل العربي يكاد ينطبق على المثل الشعبي فكل منهما نبع من تجربة وخبرة والايجاز مقصود فيهما، والتناسق في الالفاظ معتبر في كليهما.

ولقد اطلعت على بعض المواطن من كتاب الأخ الزميل الدكتور يوسف فألفيته قد بذل فيه جهداً ظاهراً وتقلب في مصادر كثيرة عربيها وشعبيها فأتى بحصيلة لطيفة. ومن أجمل ما يلفت النّظر فيه المحاولة النّاجحة في الربط بين الأمثلة ذات الموضوع الواحد، فجاءت في وحدة موضوعية متكاملة متناسقة بحيث لا يشعر القارىء بأي انفصام أو تفكّك، وإن كنت قد أختلف معه في بعض التفسير أو الإستشهاد..

وختاماً فإني أسأل الله العلي القدير أن يأخذ بأيدي الجميع لما فيه الخير والصلاح ويهيىء الأسباب للعلم النافع والعمل الصالح وصلى الله محمد وآله وصحبه وسلم.

عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

الدكتور / صالح بن عبد الله بن حميد

١٤٠٦/٢/٢٨ هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده / السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عزيزي القارىء:

الأمثال كأي مجال آخر من العلوم المختلفة التي يجب العناية بها والحفاظ عليها من الضياع. فهي التراث الذي تتجلى فيه خلاصة تجارب الأمم، وهي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع التّاريخي والفكري والاجتماعي لكل أمّة. والأمثال كعنصر هام من عناصر الأدب لها مكانتها الأدبية في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية. وفي تاريخ الأمة العربية أخذت الأمثال مكانتها العلمية رغم أنها لم تحظ بالفعل كغيرها من العلوم بالاهتمام والدراسة الكافيتين مما أدى إلى قلّة التدوين وضياع الكثير من الأمثال العربية القديمة وحتى القريبة المعاصرة. ومع ذلك فما وصل إلينا من المؤلفات القديمة يستحق كل التقدير والإعجاب رغم ندرتها وقلة حجمها، فهي ما تزال المنطلق الأول والقاعدة الأساسية للدراسات الأدبية والتاريخية وكل ما يخدم تراث الأمة الإسلامية.

* * *

ودراسة الأمثال تَبرُز أهميّتها في مجالات متنوعة، فهي تُعطي الصّورة الحقيقية للفكر الإنساني ونمط المعيشة ونوعيّة العلاقات السائدة بين مجتمع وآخر.

ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام في الأمثال: الأمثال حكمة العرب في

الجاهليّة والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه[1]. وقال إبراهيم النظام: يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللّفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة[2]. ويقول المبرّد: المثلُ مأخوذ من المثال وهو قولٌ سائرٌ يشبَّه به حال الثّاني بالأوّل، والأصل فيه التشبيه، فقولهم «مثل بين يديه» إذا انتصب، معناه أشبه الصورة المنتصبة، وقولهم: «فلان أمثل من فلان» أي أشبهه بما له من الفضل... فحقيقة المَثَلِ ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول[3].

وقال ابن عبد ربه: والأمثال هي وشي الكلام، وجوهر اللفظ وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها كل زمان على كل لسان، فهي أبقى من الشّعر وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء كسيرها ولا عمم عمومها حتى قالوا أسير من مثل، قال الشّاعر:

ما أنت الآ مثلٌ سائرٌ   يعرفه الجاهل والخابر[4]

ومما سبق يمكن القول بأن المثل: هو القول الموجز والحكمة المعبرة الناشئة عن حادثة أو قصة يمكن تكرارها في كل زمان ومكان مما يساعد على استمرار المثل وشيوعه بين الناس.

* * *

والأمثال العربية كما سيلاحظ القارىء في هذا الكتاب تنقسم إلى قسمين: أمثال فصحى وأخرى عامية، والأمثال الفصحى هي تلك التي تكون مفرداتها

---

(١) ابن سلام، **كتاب الأمثال**، ص ٣٤.
(٢) الميداني، **مجمع الأمثال**. الجزء الأول، ص ٨.
(٣) نفس المصدر، ص ٧.
(٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**. ١، ص ٢٩٦.

بعيدة عن اللّحن وملتزمة قواعد الإعراب، أمّا الأمثال العاميّة والتي تعتبر أكثر شيوعاً فهي الأمثال التي لا تلتزم بقواعد الإعراب والفصاحة وغالباً ما تكون نابعة من اللّهجة المحلية لكل منطقة. وسُميت بالعاميّة لأن أكثر من يستخدم هذا النوع من الأمثال هم عامة المجتمع، وتتميز هذه النوعية من الأمثال بأنّها أكثر تأثيراً في نفوس الناس من الأمثال الفصيحة لرشاقتها وسهولة استخدامها وكذلك طرافتها.

* * *

ولأن أهمية المثل تكمن في اتخاذ العبرة والعظة منها فإن القرآن الكريم والسنة المطهرة كانا من أهم المصادر التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة، فهما لا يخلوان من ضرب الأمثلة للناس لكل أمر يجب على المؤمنين تجنبه وأخذ العبرة منه بالنظر لما حدث لغيرهم من الأمم. والآيات القرآنية التي ذكرت مثل ذلك كثيرة. فيقول الله تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثلٍ[2]﴾. وقوله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾[3]. وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تحمل الحكمة والعبرة والموعظة الدالة على قدرته جل وعلا. وبعض الأحاديث النبوية أصبحت مضرب الأمثال للناس وتداولها الكثير حتّى أصبحت كالأمثال على ألسنة الناس، وقد أوردت عدداً منها كأمثال في كثير من موضوعات هذا الكتاب. وقد تعمدتُ في مُقدّمة كل موضوع الاستشهاد بالقرآن والسّنة وبعض أقوال الحكماء لإعطاء صورة صادقة عن موقف الشّريعة الإسلامية من الأمثال التي قيلت في ذلك الموضوع إمّا بالتأييد أو بالنفي.

* * *

ولا أنسى أهمية الشّعر كمصدرٍ هام، فبعض الأشعار البليغة التي قيلت في

---

(١) سورة العنكبوت، آية رقم٤٣.

(٢) سورة الروم، آية رقم ٥٨.

(٣) سورة إبراهيم، آية رقم ٢٤.

مناسبات مختلفة، اقتبسها الناس وتداولوها لتصبح أمثالاً دارجة فيما بينهم. وسيلاحظ القارىء أنّ بيت الشعر الذي أصبح يؤدي في معناه ما يؤديه المثل، يتميز بالفصاحة والتعبير القوي المؤثر، والهدف الواضح والحكمة السديدة، وبعض الأشعار استخدمت في تأييد بعض الأمثال مما زادها حسناً وأكثر وقعاً في النفس.

* * *

أمّا المؤلفات المتخصّصة في الأمثال فكانت تمثل العمود الفقري لهذه الدراسة. وكانت هذه المؤلفات قد دونت محتوياتها مرتبة على حروف الهجاء، ولذلك كانت عملية البحث عن المثل المطلوب صعبة وتحتاج إلى وقت طويل للحصول عليه. وأهم هذه المصادر كتاب **أمثال العرب** للمفضل الضبي المتوفى عام ١٧٠ هـ. يليه في القدم كتاب **الأمثال** لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٨) ثم كتاب الأمثال للإمام الحافظ أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، والذي يصفه القفطي بقوله: فرأيت من الإتقان والتحقيق ما لا شاهدته لغيره. وقد حُقق الكتاب على ثلاث نسخ خطية هي: **فيض الله** (١٥٧٨) مكتوبة بخط مغربي، الأسكوريال (١٧٥٧) ومكتوبة بخط مغربي أيضاً، وكوبريللي (١٢١٩) وهي مكتوبة بخط نسخ واضح، وقد قام الدكتور عبد المجيد قطامش بتحقيقه وطبعه بمكة المكرمة عام ١٤٠٠ هـ. وهناك كتاب **جمهرة الأمثال** في مجلدين لأبي الهلال العسكري (ت ٣٩٥) والذي يمتاز ببعده عن التكلف وتضمنه كثيراً من الأشعار في سهولة ووضوح.

وممن اعتنوا بالأمثال في نهاية القرن الخامس الهجري وأوائل القرن السادس الهجري، الميداني (ت ٥١٨ هـ) في كتابه **مجمع الأمثال**، والزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في كتابه **المستقصى في أمثال العرب**. وكتاب الميداني مطبوع في أربعة مجلدات وأودعه مؤلفه أكثر من ستة آلاف مثل من الأمثال العربية قبل الإسلام وبعده. أمّا كتاب الزمخشري فهو الآخر طبع في مجلدين ولكنه لا يفوق في جودته كتاب معاصره الميداني.

أمّا المصادر الحديثة فهي لا تقل أهمية عن تلك القديمة ودونت الأمثال فيها مرتبة على حروف الهجاء، وتميزت بالإقليمية فتجد كتاباً يختص بالأمثال في مصر وآخر يهتم بالأمثال في العراق وآخر في الجزيرة العربية وهكذا.

وغير ما ذكرته من المصادر آنفاً، فقد اعتمدت في تدوين المعلومات على التجارب الشخصية والسماع من أفواه الرّواة وسؤال كبار السن وذوي الخبرة في هذا المجال. وكم من أمثلة كثيرة وجدتها حية ومتداولة لم يسبق أن دونت في المصادر الأدبية ولكنها بقيت على ألسنة الناس يتداولونها في المناسبات الخاصة بها.

* * *

ولقد اتبعت في تدوين الأمثال في هذا الكتاب الطريقة الموضوعية بمعنى تحديد الموضوع ثم التقديم له بإيجاز مستشهداً على أهميته بما ذكر في القرآن والسنة وأقوال الحكماء، ثم ذكر ما قيل من الأمثال في ذلك الموضوع شارحاً معاني الكلمات الغامضة في المثل ومعناه والأغراض التي استخدم فيها ومدى شيوعه ومماثلته لغيره من الأمثال. وقد تعمدت تجنب ذكر الأمثال التي تتضمن كلمات قبيحة وشائنة مراعياً في ذلك أمرين: الأول القضاء على استخدام الألفاظ البذيئة في الأمثال المتداولة حتى لا يشيع استعمالها بين الناس، ثانياً: الحفاظ على قوة ومتانة اللغة العربية وسلامتها من الكلمات التي قد تحط من شأنها وسمعتها.

ولقد حاولت في هذه الدراسة «أن تكون موضوعات الكتاب شاملة « لكل ما يهم الإنسان العربي من الآداب والسلوك والأحوال الاقتصادية والاجتماعية». ولقد حرصت على صياغة الموضوعات بأسلوب يجعلها مفيدة وبنّاءة، تحث القارىء على الاستفادة وتطبيق الإيجابيات منها والفرار بعيداً عن سلبياتها.

وفي ختام هذه المقدمة البسيطة المتواضعة آمل من الله العلي القدير أن يكون كتابي هذا نافعاً لتاريخ الأدب العربي ولقراء العربية في عالمنا العربي الإسلامي وللتراث العربي في مختلف مجالاته. وآمل مغذرة القارىء العزيز إذا ورد أي خطأ

غير مقصود وأسأل الله سبحانه التوفيق والسداد إنّه على كل شيء قدير.

الدكتور / يوسف بن علي بن رابع الثقفي
الأستاذ المساعد بقسم التاريخ الإسلامي

بجامعة أم القرى

ورئيس قسم التاريخ الإسلامي

تحريراً في مكة المكرمة ١٠ من صفر سنة ١٤٠٦ هـ
الموافق ٢٤ من اكتوبر سنة ١٩٨٥ م.

الفصل الأول

الأمثال في الصّفات الإيجابية

الصَّبر - القناعَة - حفظ اللسان - التعاون
التوبَة - العتاب - الوفاء بالوعد - العذر
النصيحة - العقل - كتمان السرّ - الاعتماد
على النفس - العلم والتعلم - اتقاء الشرّ

١- الصَّبر

من الموضوعات الهامة في حياة الإنسان «الصبر» لما له من دور واضح ونتائج هامة تنعكس على الفرد والمجتمع على حد سواء. وقال الله تعالى مبيناً أهمية الصبّر ونتائجه: «وبشّر الصّابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنّا إليه راجعون﴾[١]. وقال تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتّقوا لا يضرّكم كيدهم شيئاً إنّ الله بما يعملون مُحيط﴾[٢]. وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم في الصّبر: «ما من عبد تُصيبه مصيبة فيقول إنّا لله وإنّا إليه راجعون اللّهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها الاّ آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها».[٣] وقال صلّى الله عليه وسلم: «ما أعطيَ أحد من عطاء خيراً وأوسع من الصّبر»[٤].

لذلك نرى الإسلام يحث الإنسان على الصّبر مهما بلغت المصيبة حتى إن المسلمين جعلوا من الصّبر والحث عليه موضوعاً مهماً أصبح على مرّ الزمن من الأمثال المتداولة والمتوارثة جيلاً بعد جيل.

يقول أبو عبيد إنّ من أمثال العرب في الصّبر قولهم:

هَوّنْ عليكَ ولا تُولَعْ بإشفَاقِ[٥]

وتولع يعني الإيلاع بالشيء وهو طلبه بإلحاح ولجاجة. وهذا المثل الذي أصبح مُتداولاً مأخوذ من صدر بيت من الشعر ليزيد بن خذامة حيث يصف فيه

---

(١) سورة البقرة، آية رقم ١٥٥/١٥٦.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٢٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي المجلد السادس، ص ٢٢١.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي المجلد السابع، ص ١٤٥.

(٥) ابن سلام، ص ١٦١.

نوازل الدّهر وأنّ الصّبر عند المكاره واجب، فيقول في أبياته:

هـل للفتى من بناتِ الـدّهـر من واقٍ ... أم هَـلْ لَهُ من حمـام المـوتِ من راقِ
قـد رجلوني ومـا رجلت من شعثٍ ... وألـبسـوني ثـيـابـاً غـيـر أخـلاقِ
وقسّمـوا المـال وارفضت غـوايتهم ... وقـال قـائلهم مـات ابـن خـذاق
هـوّن عليـك ولا تُـولَـعْ بـإشفـاقِ ... فـإنّمـا مـا لـنـا للوارث البـاقي
كـأنني قد رمـاني الدّهـر عن عـرض ... بـنـافـذات بـلا ريش وأفـواق(١)

وقال العرب:

المصيبةُ لِلصّابر واحدةٌ وللجَازِع اثنَتَانِ(٢)

ويقول أبو عبيدة في الصّبر على المصائب:

كانت وَقرةً في حَجَرٍ

وذلك بمعنى أنّه احتمل المصيبة ولم تؤثر فيه كمثل الوقرة وهي الهزمة في الحجر.

وقولهم:

الصبرُ عند الصّدمةِ الأولى

فهو مأخوذ من الحديث الشريف عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الصبر عند الصدمة الأولى(٣). وأصبح الناس يتداولون هذا الحديث بينهم حثا على الصبر وقت الشدة أو عند الإصابة بأي مكروه. ويقصد بلفظ الحديث أن المصيبة أو الشيء المكروه إذا أصاب الإنسان يجب أن يبادر في أوله بالصبر حتى يتغلب على ما يستجد بعد ذلك.

وقال العرب في مثل ذلك:

مَنْ حَدّثَ نفسهُ بطولِ البقاءِ فليوطّن نَفْسَه على المصائبِ(٤)

---

(١) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، جـ ٢، ص ٣٥٩.

(٢) ابن سلام، كتاب الأمثال ص ١٦١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ ٦، ص ٢٢٧.

(٤) ابن سلام، ص ١٦٢.

ويروى هذا المثل عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، ويقال بأنّ صالح بن بشير ابن وادع المرّي البصريّ قال لرجل يُعزّيه: إن لمْ تكن مصيبتك أحدثت لك في نفسك موعظةً فمصيبتك بنفسك أعظمُ(1).

وحثَّ النّاس بعضهم البعض بالصبر في معظم الأمور، وأصبح من يلتزم الصبر عند الشدائد يضرب به المثل، فقالوا:

أَصْبَرُ من ضَبٍّ

لما يتَّصف به الضّب من القساوة والخشونة، وقالوا كذلك:

أَصبَرُ من عاطلِ الحمير(2)

لأن الحمار يحملُ الأشياء الثقيلة وليس في الحيوانات أصبر من الحمار والجمل. وعاطل الحمير هو الحمار المكّار الذي يتكاسل في السير والعمل. . . فإذا ضربته أسرع قليلاً ثم عاد إلى طبعهِ وهكذا لا يزال صاحبه يُوالي ضربه ليوالي السّير. . ومع كثرة الضَّرب يُصبح لدى الحمار قُوَّة تحمّل فائقة للضّرب والإهانة.

وقالوا:

يا صبر أيّوب

أو:

اللّهم صبّرني صبر أيوب(3)

ويُقال هذا المثل عندما يُصاب المرء بمصيبة أو مكروه ويمسك عن الشكوى ويكتفي بقوله هذا دعاءً لله سبحانه وتعالى يستلهمه فيه مثل صبر أيوب عليه السّلام.

وقد يكون الصّبر مؤلماً حتى يجد الإنسان نفسه أحياناً لا يرغب في الاستعانة

---

(1) ابن سلام، ص ١٦٣.

(2) العسكري، جـ ١، ص ٥٨٨. عبد الكريم الجهيمان، الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية جـ ١، ص ٦٢.

(3) عبد الله آل نوري، الأمثال الدارجة في الكويت، ص ١٨٥.

حتى بصديقه أو قريبه لمساعدته في مشاكله سواء المادّيّة أو غيرها وذلك خوفاً من المِنّةِ بما قد يتفضل عليه صديقه به أو قريبه من مساعدة ونحوها. وقالوا في ذلك:

صبري على نفسي ولا صبر النّاس عليّ

ويقال أحياناً لِلمُخاطَب:

صَبرُكَ على نفسك ولا صبر الناس عليك

وذلك لأن صبر الإنسان على بؤسه خير له من عطف الناس عليه وبمعنى آخر: خير للإنسان أن يظل محتاجاً ولا يكون عالة على غيره في حاجته. وتداول الناس المثل الدارج:

الصّبرُ مفتاح الفرج

لأن نتيجة الصّبر مهما كانت هي الفوز والنجاح حتى قالوا:

من صَبَرَ ظَفِرَ(1)

وفي ذلك يقول الأشعث بن قيس: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت: يا أمير المؤمنين إلى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة، فما زادني إلا أن قال:

اصبر على مضض الإدلاج في السحر ... وفي الرّواح إلى الطّاعات في البكر
إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصّبر عاقبة محمودة الأثر
وقَلّ من جدّ في أمرٍ يُؤمِّلَهُ ... واستصحب الصّبر إلاّ فاز بالظفرِ(2)

وقال ابن نُباتة:

صبراً على نُوبِ الزّمان ... وإن أبى القلب الجريح
فلكلّ شيء آخر ... إمّا جميلٌ أو قبيح(3)

---

(1) من الأمثال الحية والمتداولة.

(2) الابشيهي، المستطرف، جـ ٢، ص ٩٦.

(3) نفس المصدر، ص ٧١.

وبما أنّ الفوز والنجاح دائماً حليف الصّابر حتى الصبّر على حسد النّاس وحقدهم على الفرد، تداول العرب قول الشّاعر:

واصبر على كيد الحسود فإنّ صبرك قَتِله
النّار تأكُلُ بعضها إن لم تجد ما تأكله

٢ـ القناعة

القناعة من الأمورِ المُحببة للنّفس، ومتى كان المرء قنوعاً كانت حياته سهلة ومُيسّرة. ولولا القناعة التي فطر الله النّاس عليها لما انتظم الكون. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القناعة كنز لا ينفذ. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنّعه الله بما أتاه(١). وقال الكِندِيّ في القناعة:

العبدُ حر ما قَنِع   والحرّ عبد ما طمع(٢)

ويقول الجاحظ: إنّما خالف الله تعالى بين طبائع النّاس ليوفق بينهم في مصالحهم ولولا ذلك لاختاروا كلهم المُلك والسّياسة والتّجارة والفلاحة وفي ذلك بُطلان المصالح، فكل صنف من النّاس مَزين لهم ما هُم فيه، فالحائك إذا رأى من صاحبه تقصيراً قال ويحك يا حجّام، والحجّام إذا رأى من صاحبه قال: ويحك يا حائك، فجعل الله تعالى الإختلاف سبباً للائتلاف فسبحانه من مُدبّرٍ حكيم(٣).

ولولا القناعة التي أوجدها الخالق في نفوس البشر لما شعر الإنسان بالرّاحة والطمأنينة في أي مجال من مجالات الحياة. ولذلك عندما يفقد الإنسان القناعة تجده غالباً يشعر بالقلق وعدم الاستقرار وبالتّالي يُصبحُ مُتأثراً ومؤثراً في نفسه ومجتمعه. من ذلك تداول النّاس الأمثال التي تُقرّبهم وتدعوهم إلى التزام القناعة في شتّى أمورهم المعيشية، فقالوا:

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ٧، ص ١٤٥.

(٢) محمد صادق دياب، نماذج مختارة من الأمثال العامية. ص ٧٣.

(٣) الأبشيهي، المستطرف. جـ١، ص ٦٨.

القناعة كنزٌ لا يفنى[٥]

أي أنّ كل شيء على وجه البسيطة فانٍ إلاّ القناعة التي تبقى مُلازمة للفرد، فهي الحصيلة التي ستستمر معه حتى وفاته.

أمّا قولهم:

الغنى غنى النّفس

فهو قول مأخوذ من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة عن الرسول بقوله: ليس الغنى عن كثرة العرض ولكنّ الغنى غني النفس[١]. وتداول الناس هذا القول حثّاً على التزام القناعة وتجنب آفة الطّمع.

أمّا قولهم:

غَثُّكَ خير لك من سمن غَيرك[٢]

فهو من الأمثال التي تقول للمخاطب: اقنع بما عندك ولا تَمِدنّ عينك إلى ما في أيدي الناس، ويقال بأن هذا المثل لمعن المذحجي. ويضرب مثلاً للقناعةِ بالقليل بمعنى أنّ قليل الإنسان إذا اقتنع به فهو خير من كثير غيره ممّا لا يملكه وليس له عليه سلطان. وفي ذلك يقول الشاعر:

لَعَمْرُكَ ما مال الفتى بذخيرةٍ ... ولكنَّ إخوان الصَّفاء الذخائرُ
قليلك أجدى من كثير مُعاشرٍ ... عليكَ إذا ما حالَفَتك المفاقِرُ[٣]

وللحثِّ على التزامِ القناعة قالوا:

إذا عافاك أغناك[٤]

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٧٣.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ٧، ص ١٤٠.
(٣) ابن سلام، ص ٢٨٧.
(٤) العسكري، جمهرة الأمثال، جـ٢، ص ٨١.
(٥) محمد صادق دياب، ص ٧٤.

والمراد أنّ الله سبحانه وتعالى إذا ما منح عبده الصّحة والسلامة فإن ذلك لخير كبير لأن المال بدون صحّة لا يكون له أي قيمة عند الإنسان. ومن الأمثال العاميّة التي تصف الملتزم بالقناعة في حياته قولهم:

ألْحَسْ مِسنِّي وأبات مِتهنِّي(١)

والمِسَنْ هو الحجر الذي يستخدمه البعض كمحد للسّكاكين ونحوه، والمقصود بالمثل أن يكتفي الإنسان من الطعام بلحس مِسنّهِ خيرٌ له من طعام شهي يحصل عليه عن طريق الدّين وسؤال الآخرين. ويضرب المثل للحثّ على القناعة وراحة البال.

وتأييداً للمثل السّابق تداول العرب المثل القائل:

لبّة ودقّة ونوم في الأزقّة ولا دُجاجة مُحمرّة وراها مَشَقّةْ(١)

واللّبة يقصد بها لُبّة الخبز والدّقة هي الخليط من الأبازير، والمراد من المثل أنّ القناعة بالبسيط من الطعام خير من عيشة رغدة يعقبها تسلط واستغلال للجهد. وقريب من ذلك قالوا:

ريحة أبو زيد ولا عدمه(*)

ومعناه أنّ وجود القليل خير من العدم، ومثل ذلك قولهم:

شيءٌ خير من لا شيء

أو:

عصفور في اليد ولا عشرة طائرة

أو:

إرض بالقليل يأتيك الكثير(*)

وهذه الأمثلة متداولة بين عموم الناس وخاصتهم وكلها تحثّ على القناعةِ بما قدّر الله للإنسان.

---

(١) من الامثال المتداولة في إقليم الحجاز.
(*) من الأمثال المتداولة في إقليم الحجاز.
(*) من الأمثال المتداولة.
(٢) من الأمثال المتداولة.

وعندما يلتزم الإنسان القناعة فيما يملك يقول الناس في مثل ذلك بالمثل القائل:

العين شبعانة والنّفس قنعانة

ويضرب هذا المثل للصّابر القانع بما وهبه الله وأعطاه.

أمّا أولئك الذين لا يلتزمون بالقناعة فيما أعطاهم الله ويستولي عليهم الجشع في الدنيا فهم يفقدون احترام النّاس لهم ويعرضون أنفسهم للمهالكِ بسببِ المطامع الدنيوية. وفي مثل هؤلاء يقول المثل:

تُقطّعُ أَعناقَ الرِجَالِ المَطامِعُ

وهذا المثل مأخوذ من بيت الشعر التالي:

طَمِعتُ بليَلِي أن تَرِيعَ وإنَّمَا تُقطعُ أعنَاقَ الرِجَّالِ المَطامِعُ(١)

وبما أنّ الطّمع يُمثّل النقيض الآخر للقناعةِ فقد تداول الناس الكثير من الأمثال الحاثة على اجتناب الطمّع وما يُؤدي إليه، فقالوا:

الطّمع فرّق ما جمع

أو:

عمر الطمّع ما جمع

ومثله:

من طلب الزّياة وقع في النُّقصان

أو:

الحرص قائد للحرمان(٢)

والمراد من ذلك أنّ جشع الإنسان وطمعه وعدم اقتناعه يؤدي به دائماً إلى الإفلاس، لأنَّ الطّمع يدفع بصاحبه إلى مغامرة طائشة اعتقاداً منه بالحصول على كل شيء وبالتالي لا يحصل على أي شيء. والذي تغلب عليه صفة الطّمع

---

(١) ابن سلام، ص ٢٨٨.

(٢) أحمد تيمور، الأمثال العامية. ص ٢٣١. دياب، ص ٧٣.

وعدم القناعة بما رزقه الله تعالى أصبح في مجتمعه مضرب الأمثال. وفي ذلك وُصِفَ بقولهم:

أطمعُ من أشعب [١]

وهو رجل من أهل المدينة يُقال له أشعب الطّماع كان يبلغُ به الطّمع في بعضِ الأحيان أن يُصدّق كِذبِ نَفسِه، فَقِيلَ أنّ مجموعة من الصّبية تجمّعوا حوله وضايقه هذا التّجمع فقال لهم: ألا تعلمون أن فلاناً لديه مائدة في هذا اليوم وهذه السّاعة، فصدقه الأطفال وذهبوا يركضون في اتجاه بيت الشّخص الذي ذكر لهم اسمهُ... فلما مضوا قال لعلّ الذي قلت من ذلك حق، فمضى في أثرهم نحو الموضع فلم يجد شيئاً، وظفر به الغلمان هناك فآذوه. وباسم أشعب ضُربت الأمثال في الطمع والجشع لما عُرف عنه من شدّة طمعه، فتداول النّاس الأمثال فيما بينهم باسمه منذ زمن بعيد حتى اليوم.

وغير أشعب كان هناك من يوصفون بالطّمع الشديد ولذلك أصبحوا مضرب الأمثال لمن بعدهم، فقالوا:

أطمعُ من طُفيلٍ [٢]

وهو رجل من أهل الكوفة اشتهر بطمعه.

وعندما يُصبح الطّمع مُتأصِّلاً في الفردِ كالعادة لديه يُقالُ عنه:

الطّمع طبع [٣]

ويعني ذلك أن الطّمع يطبع على قلب الإنسان ويُغطيّه فلا يكاد يُبصرُ ما يحفّ به من الأخطار ولا يُبصرُ ما يجب عليه أن يفعله في بعض الظّروف التي تتطلب العمل والحذر والحيطة، ويُصبح الإنسان أسير عادته لا يجد للقناعة عنده سبيلا.

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال، جـ٢، ص ٣٠١.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠٣.

(٣) عبد الكريم الجهيمان، الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية، جـ٢، ١٠٧.

والمرء لو يعلم أهمّية القناعة في حياته لالتزم بها منهجاً في سلوكه وذلك لأن نتيجة ذلك ستعود عليه بالاستقرار النفسي والصحي، ويؤيد ذلك قول الشاعر:

هي القناعة فالزمها تعش ملكاً ... لو لم يكن منك إلاّ راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن[1]

---

(١) الهاشمي، جـ، ص ٤٨٥.

٣- حفظ اللسان

من الأمثال الشّائعة في المجتمعات الإنسانية ما له علاقة بحفظ اللّسان والاقتصاد في الكلام لما لذلك من تأثيرات سلبيّة تعود على المتكلّم وعلى غيره.

وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت[١]. وعندما سُئل الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أي المسلمين أفضل قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[٢]». وقال الشّافعي رضي الله عنه: إذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه فإن ظهرت المصلحة تكلم وإن شكّ لم يتكلّم. وقيل بأن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: أكثر من أن تُحصر وقد وجدت خصلة إن استعملها الإنسان سترت العيوب كلّها. قال: وما هي؟ قال: حفظ اللّسان. وقال الشّافعي لصاحبه الربيع: يا ربيع، لا تتكلّم فيما لا يعنيك فإنك إذا تكلّمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها. وقال بعضهم: مثل اللّسان مثل السّبع إذا لم توثقه عدا عليك ولحقك شرّه. ومما أنشدوه في ذلك:

إحفظ لسانكَ أيها الإنسان ... لا يلدغنّك إنه ثُعبان
كم في المقابِر من قتيلِ لسانِه ... كانت تهاب لقاءَهُ الشجعان[٣]

ولاهتمام العرب بهذا المبدأ ـ مبدأ حفظ اللسان ـ فقد تداولوا في ذلك الكثير

(١) صحيح البخاري، جـ ٤، ص ٥٤.
(٢) صحيح البخاري، جـ ١، ص ١١.
(٣) الهاشمي، جـ ١، ص ٤٨٤.

من الأمثال التي تُحذّر من عدمِ حفظ اللّسان، منها قولهم:

مقتلُ الرّجلِ بين فكّيه

يعني لسانه، والفَكّان هما اللّحيان. وقد علّق على ذلك يعقوب بن السُكّيت بمنظومة شعرية يقول فيها:

يُصابُ الفتى من عثرةٍ بلسانِه ... وليس يصابُ المرءُ من عثرةِ الرِجْلِ
فعثرتُهُ في القول تذهب رأسَه ... وعثرتُهُ بالرجلِ تبرأ على مهلِ[1]

ومنه قول الشاعر:

رأيتُ اللّسان على أهله ... إذا ساسه الجهل ليثاً مغيرا

وأكثم بن صيفي ترك لنا المثل المشهور:

رُبَّ قولٍ أشدُّ من صول

وكذلك:

لكلِ ساقطةٍ لاقطه[2]

والمقصود بذلك أن بعض الناس قد يسمعُ الكلمة ثم يُنمّيها ويُروّج لها حتى تسيء إلى قائلها، لذلك لا يستبعد الإنسان عدم وجود هذه النّوعية من الناس في كل مناسبة وفي كل مجلس، ممّا يجعله يحتاط لِكُلِّ كلمة يَلفِظُها وإلاّ سيكون هناك من يلتقط الكلام ويُسيء استعماله. ومن خشية النّاس من وجود هذه النّوعية في كلِّ مكان فهم دائماً يقولون بالمثل الدارج:

الحيطان لها آذان[*]

وتأييداً لالتزام الصمت إذا لم يستطع الإنسان أن يتحدث بالمنطق السّليم فإننا نرى الأمثال العامية تعكس فلسفة المجتمع في ذلك بوضوح.

ومن الأمثال العامية في منطقة زهران بالحجاز قولهم:

---

(١) ابن سلام، ص ٤١. الهاشمي، جـ ٢، ص ٤٨٤.

(٢) ابن سلام، ص ٤١.

(*) من الأمثال المتداولة.

يا ليت حنجوري حُنجورَ جمل[1]

والحنجور هو القصبة الهوائية، وهذا المثل شائع فقط في منطقة الحجاز، ويقال إذا ما لوحظ على بعض الناس الإفراط في الحديث بما لا يليق إمّا نميمةً أو غيبةً أو ما شابه ذلك. أمّا التّمني بأن يكون حنجور الجمل هو البديل لحنجور الإنسان فذلك كناية عن طوله حيث إذا كان حنجور الإنسان مثله في الطول فإن باستطاعته التّمييز في الألفاظ التي يتحدث بها قبل لفظها نظراً لطول حنجور الجمل مقارنة بحنجور الإنسان. ويُعتبر هذا المثل من أبلغ التعبيرات في حفظ اللّسان والتّمييز في الكلام.

وقد يتجنب الإنسان الكلام مطلقاً إذا ما عرفَ بأنّ هناك من يصطاد في الماءِ العكر أمثال أولئك الذين يهتمون بالنّميمة وإفشاء أسرار الآخرين، ونوّه عن ذلك عبد الملك بن قريب الأصمعي في قوله:

رُبّما أعلمُ فأذَرْ[2]

أي يترك ولا يذكر الشيء وهو عالم به خشية أنْ ينتهز ضُعفاء النّفوس القول بما لم يذكره.

ومن الأمثالِ العربيّة التي تُوضح لنا جناية اللّسان على صاحبه قولهم:

محا السيفُ ما قال ابن دارةَ أجمعا[3]

وسالم بن دارة أحد بني عبد الله بن غطفان وكان قد هجا بعض بني فزارة فاغتاله الفزاريّ حتى ضربه بسيفه.

وأورد أبو عبيد خبر الأصمعي عن أبي الأشهب العطاردي قال: كان يُقال:

إذا وقي الرجلُ شرّ لُقلقه وقُبقبه وذُبذبه فقد وقي

(١) من الأمثال المتداولة في إقليم الحجاز [في منطقة بلاد غامد وزهران].
(٢) ابن سلام، ص ٤٢.
(٣) ابن سلام، ص ٤٢.

قال: فاللُّقلق اللّسان والقيقب البطن والـذّبذب الفـرج. ويروى عن يـونس ابن عبيد أنه قال: ليست خُلّة من خلالِ الخير تكون في الرّجل هي أحـرى أن تكونَ جامعةً لأنـواع الخير كلها فيه من حفظِ اللّسان[1].

والثّرثرة التي تزيد عن الحد المعقول لها سلبياتها ولذلـك أورد العرب الأمثـال الكثيرة في هذا الصّدد وأوصوا بـأن يتّزن الإنسـان في كلامـه ويعمد إلى الصّمت في كثير من الأحيان. ومما قيل في ذلك:

من أكثرَ فقد أهجَرَ

أي ربّما خرج إلى كلام قبيح.

وقال أكثم بن صيفي:

الصّمتُ يكسب أهله المحبّة

أو:

المكثار كحاطبِ اللّيل

وقال في هذا أبو عبيد إنّما شُبِّه بحاطب الليل لأنه ربّما نهشته الحيّة أو لسعتـه العقـرب في احتطابـه ليلاً وذلـك مثل المهـذار ربّما أصـابَـهُ في إكثـاره بعض مـا يكره[2].

والأمثال التي قيلت في حفظِ اللّسان وأهميّـة ذلك كثـيرة وأغراضهـا متنوّعـة وتُركّز في الغالب على التزام الصّمت وحسن الكلام، من هذه الأمثال قولهم:

لسانكَ حصانَك إن صُنتهُ صانك وإن هنته هانك[*]

أو:

الصّمت حكم وقليل فاعله

(١) ابن سلام، ص ٤٣.

(٢) ابن سلام، ص ٤٣.

(*) من الأمثال المتداولة في معظم الأقطار العربية.

وكذلك:

خير الكلام ما قلّ ودلّ

وكلمة ما قلّ ودلّ جامعة نافعة مُعبّرة عمّا يحمله هذا المثل من معنى.
ومن الأمثال الشّائعة كذلك قولهم:

إذا كان الكلام من فضّة فالسكوت من ذهب

أو:

النّدم على السكوت خير من الندم على القول(*)

ويؤيد الشعر هذه الأمثال فيما نظمه البعض من قول لقمان الحكيم لولده: يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك، فقال:

الصمت زين والسكوت سلامة ... واذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما قد ندمت على سكوتي مرة ... ولقد ندمت على الكلام مرارا

ولكثرة ما يُعانيه النّاس بسبب كثرة الكلام وعدم الحفاظ على اللّسان فقد اعتبره الكثير بمثابة العدو الذي يتربص بالإنسان من فترة إلى أخرى للإيقاع به، وقالوا في ذلك:

اللّسان عدو الإنسان[1]

على إعتبار أن اللّسان مصدر من مصادر الشرّ خاصة إذا تخبّط في أعراض الناس ومشاعرهم بدون حساب، فهو يحمل الإنسان إلى مواطن الشرّ كما يحمله إلى مواطن الخير إذا استطاع الحفاظ عليه.

(*) من الأمثال المتداولة.

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ٣٤٦.

٤ - التعاون

التعاون ظاهرة اجتماعيَة محبوبة ومفضّلة وبناءة تؤدي دائماً إلى أفضل النّتائج، وقد حثّ الدين الإسلامي على التّعاون في أكثر من موضعٍ . قال الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[١]. وقال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا﴾[٢]. وفي الحديث المرفوع أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يد الله مع الجماعة ومن شذّ شذّ في النّار»[٣]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتةً جاهليّة»[٤].

ولإيجابية التّعاون تداول النّاس الأمثال الكثيرة التي تحث على التآلف والاتحاد الهادف بدلاً من الانفراد في العمل والرّأي، آخذين في الاعتبار مدى ما يُحقّقه التعاون من نجاح في مختلف الأمور. ومن الأمثال الشّائعة في ذلك:

يد واحدة ما تصفّق[٥]

ويُعبّر المثل عن أهمية ارتباط الشيء بالشيء، فاليد الواحدة لا يمكن أن تسمع لها التصفيق المعتاد إلاّ باقترانها باليد الأخرى. ومعنى المثل: أن العمل المفرد لا تكون نتيجته متكاملة تماماً مثلما تكون نتيجة العمل الجماعي.

وتشجيعاً للتعاون مع الغير قد يُضحّي الإنسان بنفسه في سبيل التمّسك

---

(١) سورة المائدة، آية رقم ٢.

(٢) سورة آل عمران، آية رقم ١٠٣.

(٣) صحيح الترمذي، كتاب الفتن.

(٤) محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ ٢، ص ٧١٥.

(٥) عبد الله آل نوري، الأمثال الدارجة في الكويت، ص ٤١٦.

بأهداف الجماعة وعدم الشذوذ عنها، وأكثر ما يوضح فلسفة المجتمع في مثل ذلك قولهم:

الموت مع الجماعة رحمة(*)

والمثل يعبر عن مدى التضحية بالنّفس في سبيل الانضمام والتّعاون مع الجماعة. ورغم أن قساوة ألفاظه واضحة إلاّ أنّه يتضمّن الإيحاء بشدّة إلى مبدأ التّعاون. ويتفّق مع ذلك المثل الشائع:

حُطّ راسك مع الرّوس وادعي لها بالسّلامة(١)

ومثل شعبي يقول:

مع ربعكَ مُخطىء ولا وحدك مُصيب(*)

وكلّها تَهدفُ إلى تأييد مبدأ التّعاون وتحث على الالتزام به بغض النظر عن استخدام بعض الألفاظ التي توحي بأنّ ظاهر المعنى لا يخدم الهدف المنشود. وفي الحديث الشريف يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»(٢) ولكن يجب أن لا يُفهم من الحديث بأن تكون النصرة للظالم والمظلوم على حد سواء، فمعنى الحديث: أُنصر أخاك المسلم مظلوماً وكفَّه عن ظلمه إن كان ظالماً، فتكون قد نصرته إذا منعته من الإثم، لأن النّبي صلى الله عليه وسلم حاشا أَنْ يأمر بنصرة الظّالم. أمّا في الجاهلية فلا يمكن إنكار وجود هذه الظاهرة وهي نُصرة القريب والجار والصديق سواء أكانوا على حق أو على باطل، ولكّن الإسلام أقر مبدأ التعاون ونُصرة الأخ لأخيه على الحق فقط.

ويقول مسكين الدّارمي في استعانة الرّجل بأخيه وتعاونه معه:

أخاك أخاك إنّ من لا أخاً له   كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

(*) من الأمثال المتداولة.

(١) محمد صادق دياب، ص ٧٧.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٢) صحيح البخاري، جـ ٢، ص ٦٦.

وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه ... وهل ينهضُ البازي بغير جناح[1]

ومن الأمثال التي تُشير إلى فضيلة التعاون ونتائجه الإيجابية قولهم:

الاتّحاد قوة[2]

وهذا القول من الأمثال القديمة عند العرب، فقيل إن المهلّب بن أبي صفرة عندما حضرته الوفاة جمع أولاده وأعطى كل واحد منهم عصا، ثم طلب من كل واحد أن يقوم بكسر عصاه، فتمكن كل واحد منهم من كسرها، واتضح أنها لم تكن عصياً بل رماحاً. ثم أعطاهم مجموعة من الرماح في حزمة واحدة وطلب منهم كسرها مجتمعة، فلم يستطع أي منهم كسرها، ثم أنشد:

كونوا جميعاً يا بَنِيَّ إذا اعترى ... خطبٌ ولا تتفرّقوا آحادا
تأبى الرّماح إذا اجتمعن تكسّراً ... وإذا افترقن تكسّرت آحادا

وهذا أعظم ما يدل على أهمية التعاون ولمّ الشّمل وما لذلك من أثر على حياة الفرد والجماعة. والأعظم من ذلك والدليل الأمثل لأهمية التعاون تتجلى في قول المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً، ثمّ شبّك بين أصابعه»[3].

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال، جـ ١، ص ٣٥.

(٢) الطبري، جـ ٨، ص ١٩. / ابن خلكان، وفيّات الأعيان، جـ ٥، ص ٣٥٤. / ابن الأثير، جـ ٤، ص ٨٣.

(٣) صحيح البخاري، جـ ٤، ص ٥٥.

٥- التوبة

التّـوبة في اللّغـة الرجـوع إلى الله تعالى وفي العـرف الشرعي النّدم على مـا مضى من المعاصي والذّنوب. ويقول ابن الجوزي: واعلم أنّ التّوبـة ندمٌ يـورث عزماً وقصداً، وعلامة النّدم طول الحزن على ما فـات، وعلامـة العزم والقصـد التّدارك لما فات وإصلاح ما يأتي. وقال البغويّ في تفسيره: قال عمرو وأبي معاذ رضي الله عنهـما: التّوبـة النّصوح أنْ يتـوبَ ثم لا يعود إلى الـذّنب كما لا يعـود اللّبن إلى الضّرع. وقال الكلبي التّوبة هي أن يستغفر باللّسان، ويندم بالقلب، ويمسك بالبدن[1].

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على فضل التّوبة والترغيب فيها كثيرة. قال تعالى: إنّ الله يحب التّوابين ويحب المتطهّرين[2]. وقال تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله تـوبةً نصوحا﴾[3]. وعن أبي مـوسى الأشعري رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: إنّ الله عز وجل يبسط يدهُ بـالليلِ ليتـوب مُسيء النّهار ويبسط يـده بالنهـارِ ليتوب مُسيء الليـل حتى تطلع الشّمس من مغـربها[4]. وفي حـديث عن أبي أيوب الأنصـاري عن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم أنّه قال: لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء الله بقـوم لهم ذنوب يغفرها لهم[5].

ولمـا لكلمـةِ التّوبة من أثرٍ نفسي على النّاس فقد تكرّرت على ألسنتهم عنـد كلّ

---

(١) السفاريني، غذاء الألباب، جـ ٢، ص ٥٥٨.

(٣) سورة البقرة، آية رقم ٢٢٢.

(٣) سورة التحريم، آية رقم ٨.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ ١٧، ص ٧٦.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ ١٧، ص ٦٥.

مناسبة وأصبحت مضرباً للأمثالِ لكل من يبحث عن الاستقامة في حياته والنّدم على ما عمله من أخطاء دينيّة ودنيويّة.

ومن الأحاديث الصحيحة والتي أصبحت خير قدوة في الأمثال قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: التّائب من الذنب كمن لا ذنب له[1]. وقوله كذلك: أتبع السيئة الحسنةَ تَمحُها[2]. وتداول النّاسُ هذه الأحاديث فيما بينهم في كل مناسبة لها علاقة بذكرها واعتبرها النّاس من أفضل الأقوال التي تحث على التوبة والترغيب في الإقلاع عن ممارسة الأعمال السيئة، وذلك بالندم على العمل السيىء والإنابة إلى الله تعالى للمغفرة. ومما قيل غير ذلك تشجيعاً على التوبة:

باب التوبة مفتوح[3]

ويُضرب هذا القول مثلاً لمن كثر عبثه وكثرت معاصيه وأنّه ليس بينه وبين كونه عبداً صالحاً إلاّ أَنْ يتوب إلى الله تعالى. وإذا تاب فإن باب التوبة مفتوح له بقبولِ توبته وغُفران ذنوبه وافتتاح صفحة ناصعة البياض. ويُضرب المثل كذلك لعدم اليأس من رحمةِ الله تعالى وأنّ العبد مهما كثرت ذنوبه فإن باب الرحمة مفتوح ومجال الأعمال الصالحة واسع.

وعند رجوع الإنسان إلى رشده وقيامه بعمل الخير بعد الإساءة فإن ذلك يعد من الجوانب الخيرة في الإنسان، ورمز العرب لمثل هذه الحالة بقولهم:

عاد غيثٌ على ما أفسد[4]

ومعنى المثل أنّ الغيث قد يهدم ويفسد ويضر ثم يعفي على ذلك ما يجيء به من البركة والخصب. ويتفق مع ذلك قولهم:

الغيثُ مُصلحٌ ما خَبَّلَ

---

(1) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، رقم ٤٢٥٠.

(2) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، رقم ٤٢٥٢.

(3) عبد الكريم الجهيمان، جـ ١، ص ١٧٩.

(4) الميداني، جـ ٢، ص ٣٤٣ / العسكري، جـ ٢، ص ٨٢ / ابن سلام، ص ٢٢٠.

والخبـل والخبال هـو الفساد، وكـما يقـول الأصمعي بـأنّ هـذا المثـل يُضرب للرجل يكون فيه من الصّلاح أكـثر ممّا فيـه من الفساد. ويقـول الشّاعـر في نحو ذلك:

أَخٌ لي كـأيـام الحـيـاة وُداده تُـلَوّنُ الـوانـاً عـليَّ خُـطوبها
اذا عبـتُ مـنـه خِلّةً فصرمـتُـهُ تعـرّض متـه خِلةٌ لا أعيبـها[1]

ومن أمثال أكثم بن صيفي في التائب من ذنبه قوله:

أقصَرَ لما أبصرَ[2]

والإقصار هو الكفّ عن الشيء مـع القدرة عليـه فيقال أقصَرَ عنـه أي تركَـهُ وهو قادرٌ عليه، ويُضرب المثل عند الإنابة والرّجوع عن الذّنب والحث على عدم الإقدام عمله لما فيه من سوء العاقبة.

وتجنباً للوقوع في الذنوب اتباعـاً لمبدأ الوقـاية خـيرٌ من العلاج تـداول الناس المثل القائل:

ترك الذنب أيسر من طلبِ التوبة

ويقال أحياناً:

تركُ الذنب أهون من الاستغفار[3]

ويُضرب المثل لما تركه خير من ارتكابه، لأن الإنسان قد يقوم بعمل الخطيئـة فيتلذذ بها قليلا ولكنه يشعر بالعذاب والأسى من جراء عمله، فمن واجبه عـدم الإقدام على عمـل الخطيئـة طالمـا هو يعـرف أنّ التخلّص من آثارهـا فيه مشقّـة وعناء.

---

(١) الميداني، جـ٢، ص ٣٤٣ / العسكري، جـ٢، ص ٨٢ / ابن سلام، ص ٢٢٠.
(٢) الزمخشري، جـ١، ص ٢٨٣.
(٣) ابن سلام، ص ٦٤. / جهيمان، جـ١، ص ٢١٣. / الزمخشري، جـ٢، ص ٢٤.

وغالباً ما يشعر المرء بالمعاناة وقسوة ما أخطأ وبذلك يحاول أن يتجنب حدوث ذلك مستقبلاً، فيقول في مثل هذا الموقف:

التّوبة هذه النّوبة[1]

والنّوبة تعني المرّة الواحدة، ويُقصد بهذا المثل أنّ وقوعه في الخطأ لا يُمكن أن يتكرّر مرّة أخرى، والمثل في الغالب يُضرب لمن يخطىء فيشعر بسلبية عمله فيلتزم ويتعهد بعدم العودة إلى مثل ذلك مستقبلاً. ومع ذلك هناك فئة من البشر لا يستفيدون من دروس الحياة ولا يلتزمون بما وعدوا أنفسهم بعدم العودة إلى ارتكاب الأخطاء الماضية، وفي حق هذه النوعية تداول الناس المثل التالي:

شاب ولا تاب[2]

ويُضرب المثل لمن يبلغ سنّ الرّشد وهو ما يزال يتصرّف تصرّف الصّبيان. وكلمة شاب قد تعني ظهور الشّعر الأبيض ممّا يدل على أنّ المرء في هذه المرحلة من العمل قد وصل إلى مستوى الوقار ورجاحة العقل ممّا يجعل المجتمع ينظر بغرابة واستنكار شديدين لمن يصل إلى سنّ الرجولة وهو يُمارس أعمال الجهلاء. وقد تعني كلمة شاب وصول المرء الى مرحلة الشيخوخة وذلك أدهى وأمر، فالمعروف أنّ المسنين دائماً يحاولون أن يجعلوا خواتم أعمالهم صالحة لتكسبهم ذكراً حسناً في الدنيا وثواباً في الآخرة. أمّا من يصلون إلى مرحلة الشيخوخة ولم يتوبوا من عمل المعاصي والأمور التي لا تتفق مع مبادىء الحياة الكريمة فَهُم من الشّواذ الذين سيكون جزاؤهم الخِزيَ والعار في الدنيا والآخرة.

وبما أنّ الكبير في السّن كما سبق وأن ذكرنا يُفترض فيه العقل الرّاشد والتصرّف الحسن فقد قُورن بمنزلة التّائب من الذّنب لما لأثر التوبة من النّجاح

---

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٢٢٧.

(٢) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ٣٩.

في حياة الإنسان واستقامته في شتى أمور الحياة، وفي ذلك تداول الناس المثل القائل:

ما يعقلها إلّا شايب أو تايب(*)

ويُضرب المثل في حالة البحث لمن يمسك زِمام الأمور في حلّ المشاكل بين النّاس، وغالباً ما يُعوّل في هذا الأمر على من يحمل واحدة من هاتين الصفتين، إمّا الكِبَرَ في السّن لتوقع الرّشد في تصرّف الكبير، واتزان ما يصدر عنه من أفعال وأقوال، وإمّا التائب من الذّنوب لأن التّائب من الذّنوب يكون غالباً على معرفة جيدة بسوء العواقب وعلى حذر جداً من الوقوع فيها مرّة ثانية.

(*) من الأمثال المتداولة.

٦- العتاب

العِتاب هو التّفاهم بطريقة وديّة بين إثنين أو أكثر لحلّ ما قد يحدث بينهم من عداء أو بغضاء. والعتاب من الأمورِ المُحببة بين النّاس لأنهم بواسطته يتوصّلون إلى ما يردأ الصّدع ويحلّ الاشكال ويخلق بينهم المودّة والمحبّة بدلاً من العداوة والبغضاء. ولما لِلعتاب من آثارٍ واضحة وجيّدة، تداولَ النّاس فيه الأمثال التي تَحثُّ على اتباع أسلوب العتاب في كلّ أمر يحدث بينهم. ومن الأمثال التي تشجّع على ذلك وتعمل على تقريب الشّقة بين الأصدقاء قولهم:

العتاب هديّة الأحباب(١)

على اعتبار أنّ أغلى هدية بين الأصدقاء هي المعاتبة التي ستؤدي إلى التقريب بينهم بالألفة والمحبة بدلا من الشّقاق الذي لا يخدم الطرفين المتخاصمين.

وقد لا يخضع البعض للعتابِ فتكون النّتيجة اتساع هوّة الخلاف فيما بينهم وفقدان الصّديق صديقه عندما يكون في أمسّ الحاجة إليه، وفي ذلك انعكست مشاعر الناس في أمثالهم التي تتخذ المعاتبة كأفضل طريق للتوصل إلى حلّ المشاكل بين الأصدقاء، فقالوا:

مُعاتبةُ الإخوان خيرٌ من فَقدِهم(٢)

وذلك على اعتبار أنّ عدم التّفاهم بين الإخوان لحلّ ما قد يحدث بينهم من سوء تفاهم ونحوه سيجعل الصديق في حكم المفقود، ولهذا السّبب يقول المثل الآخر:

---

(١) أحمد تيمور، الأمثال العامية، ص ٢٣٩.

(٢) الميداني، مجمع الأمثال، جـ٣، ص ٣٤١. / ابن سلام، الأمثال، ص ١٨٢.

وفي العتابِ حياةٌ بين أقوام

ويقول بعض الحكماء:

العتاب خير من مكتومِ الحقد[1]

والمقصود بهذا القول أنّ العِتاب طريقة مُفضلة وناجحة لحلّ المشاكل بين النّاس وهي أجدى ممّن يتّبع أسلوب الحقد على الناس ورفض مبدأ التّفاهم كوسيلةٍ للوصول إلى حسم النّزاع. وقيل لمن يُطلب منه العتاب ولا يقبل ذلك:

لك العتبى بأن لا رضيت[2]

والعتبى رجوع المستعتب إلى محبةِ صاحبه ورضاه، والمعنى أفعلُ ما تكرهه ولا ترتضيه وأُقيم خِلافَ رضاك مقام عتباك. ومنه قول بشر بن أبي خازم الأسديّ:

غَضِبَتْ تَمِيمٌ أَنْ تُقَتَّلَ عَامِرٌ يَوْمَ النِّسارِ فَأُعتِبُوا بالصَّيلَمِ

والنِّسارِ يومٌ من أيام العرب في الجاهلية، أوقعت فيه طي وأسد وغطفان وكانوا حُلفاء ببني عامر وقتلوهم قتلاً شديداً، فغضبت تميم لبني عامر وتجمّعوا معهم حتى لقوا الأحلاف يوم الجفار وهزمت تميم أشدّ ممّا حدث لبني عامر، فقال بشر بن أبي خازم وهو أسدي بيت الشعر السابق[3].

وللشّعرِ دورٌ هام في التعبير وإيضاح الحكمة مثله في مثل ذلك المثل، فيقول الشّاعر بشّار بن برد حول أهمية العتاب:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تُعاتبه

فعش واحداً أو صل أخاك فإنّه مُفارق ذنب مرةً ومُجانبه

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي النّاس تصفو مشارِبه[4]

---

(١) الميداني، جـ ٢، ص ٣٦٩.

(٢) الميداني، جـ ٣، ص ١٣٦ / ابن سلام، ص ١٨٢.

(٣) ابن سلام، ص ١٨٣.

(٤) ديوان بشار، جـ ٤، ص ١٧. / الهاشمي، جـ ١، ص ١٨٨.

ولتذمّر النّاس ممّن لا يقبل العتاب، فقد أوجبوا عليه العقاب لكي يشعر بأنّ الاختيار الأول وهو العتاب كان ميسراً فامتنع عنه فما عليه إلاّ قبول الاختيار الثاني وهو العقاب. والمثل العربي في ذلك يقول:

العِتابُ قبل العِقاب(١)

وقال بهذا المثل أوس بن حارثة لابنه مالك في وصاياه، ويُضرب المثل للحثّ على استعمال الرّفق واللّين للإصلاح فإذا لم يُجد ذلك فالعقاب هو الوسيلة الثانية.

وقد يُستخدم العتاب في حالة تصرف المرء بالخطأ مع إسناد اللّوم على الغير، ويقول المثل في ذلك:

العتبُ على النّظر(٢)

ويقال هذا المثل غالباً عند الاعتذار عما يقعُ من ضعيف البصر، كتركه السّلام على بعض الحاضرين، أو إفساد شيء لم يره، أو غير ذلك. والمراد إذا عتبتم فاعتبوا على النظر لأنه مصدر الخطأ الذي حدث.

ويتفق في المعنى مع المثل السّابق قولهم:

عَتَبُهْم على أهلها من قِلّةِ عَقْلِهَا(٣)

والمقصود أنّ الأهل تقع عليهم المسئولية في حالةِ حدوث أي تصرف خاطىء من ابنتهم. والمثلُ من ناحية أخرى يحث على وجوبِ المحافظة على أفراد الأسرة والاهتمام بالتوجيه والإرشاد لأبناء الأسرة نحو السّلوك القويم والأخلاق الفاضلة.

---

(١) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، جـ ١، ص ٣٣٣.
(٢) هاني العمد، الأمثال الشعبية الأردنية، ص ٣٥٥. / تيمور، الأمثال العامية ص ٢٣٩
(٣) هاني العمد، الأمثال الشعبية الأردنية، ص ٣٥٥.

٧- الوفاء بالوعد

الوعد هو التزام المرء بكلمةٍ أو عملٍ يؤُديه ويجب أنْ يَفي به، والوفاء بالوعد يعتبر إحدى الصّفات التي يجب أن يتّصف بها المؤمن الصّادق. وأهميّة الوفاء بالوعد من الأمور التي حثّنا عليها الإسلام لما لها من آثار عميقة في شئون الحياة المختلفة. يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إنّه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً﴾(١). وقال تعالى: ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون﴾(٢). وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا أوعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»(٣). والوفاء بالوعد من شيم النفوس الشريفة والصّفات الكريمة. ويقول العربُ في ذلك:

الَوعدُ وجهٌ والإنجاز محاسنه

أو:

الوعد سحابة والإنجاز مطره(٤)

وفال الشّاعر في ذلك:

إذا قلت في شيءٍ نعم فأتِمَّه ... فإنّ نَعْم دَينٌ على الحرِّ واجب
وإلاّ فَقُل لا تسترح وترح بها ... لئلا يقول الناسُ إنك كاذب

وقال آخر:

لا كلف الله نفساً فوق طاقتها ... ولا تَجودُ يدٌ إلاّ بما تَجِدُ

(١) سورة مريم، آية رقم ٥٤.
(٢) سورة الروم، آية رقم ٦.
(٣) صحيح البخاري، جـ ١، ص ١٥.
(٤) الأبشيهي، جـ ١، ص ١٩٨.

فـلا تَـعِـدْ عـدّة الاّ وفيـت بهـا   واحـذر خـلاف مقـال للذي تَعِدُ[١]

وقال أعرابي:

وعدُ الكريم نَقدْ وتَعجيلْ ووعد اللئيم مطَلْ وتعلَيلْ

وقيل مدح بشّار خالد بن برمك فأمر له بعشرين ألفاً فأبطأت عليه فقال لقائده: أقمني حيث يمر فأقامه فمرّ، فأخذ بلجام بغلته وأنشد يقول:

أظلت علينا منك يـوماً سحـابة   أضـاء لها بـرقٌ وأبـطأ رشـاشـها
فـلا غيمها يجـلي فييأس طـامع   ولا غيثها يـأتي فتَروِي عـطاشـها[٢]

ومن الأمثال الشائعة في الوفاء بالوعد قولهم:

آفة المروءة خلف الموعِد

وقال الحارث بن عمرو الكندي:

أَنجزَ حُرٌّ ما وعد[٣]

ويقول المفضّل الضّبي إنّ أوّل من قال بهذا المثل الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي لصخر بن نهشل بن دارم وذلك أنّ الحارث قال لصخر: هل أَدُلَّكَ على غنيمةٍ على أنّ لِيَ خُمسها؟ فقال صخر: نعم، فدّله على ناسٍ من اليمن، فأغار عليهم بقومه فَظِفرَ بهم وغنم منهم، فلمّا انصرفوا قال له الحارث: أنجز حُرٌّ ما وعد، فذهب مثلاً.

والبعض من النّاس ربّما يَعدُ بشيءٍ ولكنه لا يلتزم بعدم الوفاء به فقط، وإنّما يسلك الأساليب التّي تؤدي إلى التكرار في الخُلف ممّا يَخلقُ التذمّر والملل من ذلك الوعد، والمثلُ المشهور تداوله في ذلك يقول:

---

(١) الأبشيهي، جـ ١، ص ١٩٨.

(٢) المصدر السّابق، ص ١٩٨.

(٣) ابن سلام، ص ٧١. / الزمخشري، جـ ١، ص ١٨٤.

مواعيد عرقوب[1]

وقصّة هذا المثل أنّ عرقوباً، رجل من العماليق، أتاه أخٌ له يسأله، فقال له عرقوب: إذا أَطَلعَتْ هذه النّخلة فلك طلعها، فلّما أُطْلَعَتْ أتاه فقال له: دعها حتى تصير بلحاً، فلمّا أبلحت أتاه فقال له: دعها حتى تصير زهواً، فلمّا أزهت قال له: دعها حتى تصير رطباً، فلمّا أرطبَتْ قال: دعها حتى تصير تمراً، فلمّا أتمرت عمد إليها عُرقوب من الليل فجذّها ولم يُعْطِ أخاه منها شيئاً، فصار عرقوب مثلاً في الخُلفِ وعَدمَ الالتزام بالوعد، وفي ذلك يقول الأشجعي:

وعدت وكان الخلف منك سجيّةً مواعيدَ عرقوبٍ أخاه بيثرب

وتناقل الشّعراء بعد ذلك قولهم:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيده الاّ الأباطيل[2]

وفي المواعيد التي لا تفي بالتزاماتها يقول المثل:

إنّما هو كبرق الخُلّبِ[3]

ويُضرب هذا المثل للوعدِ الذي لا حقيقة له، وشُبِّه بالبرقِ الذي لا مطر معه، والخُلّب مأخوذ من الخَلابة، وهي الخِداع. ويقول الشّاعر في ذلك:

ما كُلّ بارقةٍ تَجودُ بمائِها

ولأهميّة الموعد عند النّاس ونظراً لأن عدم الالتزام بالوفاء به يترتب عليه نتائج ليست مفيدة، فقد شَبَّه النّاس الوعد مثل الدّيْن الذي يجب الوفاء به متى آن وقته، وفي ذلك قالوا:

وعَدْ الحُرّ دَيْن

(١) الميداني، جـ٣ ص ٣٣٠/العسكري، جـ١، ص ٤٣٣. وهذا المثل ما يزال يتداوله الناس في معظم أقطار العالم العربي.

(٢) ابن سلام، ص ٨٧.

(٣) العسكري، جـ١، ص ٣١٢.

وعد الكريم أَلزمْ من دينِ الغريم [1]

والمقصود بالمثلين أنّ الوعد عند الحُرّ العزيز النّفس كالدّين يجب الوفاء به. أمّا المثل القائل:

الوعد كالرّعد[*]

فهو يدّل على أهميّة الوعد، وأمّا تشبيهه بالرّعد فذلك تهويل لأن الرّعد يتميّز بالصوّت المرعب أحياناً والذي يُخشى منه.

وقال العرب في من يُخلف الوعد:

أَخلفُ من شُربِ الكمّون[2]

لأن الكمّون في الغالب لا يُسقى بل يُوعد بالسقي، فيقال له غداً نسقيك وبعد غدٍ نكفيك، فهو ينمو بالتّمنية على المواعيد الكاذبة، ويقول الشّاعر في ذلك:

لا تجعلنّي ككمّون بمزرعةٍ إن فاته السّقي أغنتهُ المواعيدُ

وشبيه بالمثل السّابق قولهم:

أخلف من بولِ الجَملْ[3]

وذلك تشبيه لاتجاهِ بول الجمل إلى الوراء.

ورغبة في الابتعاد عن أولئك الذين تَغلبُ على طبائِعهم الخُلف في المواعيد تداولَ النّاسُ المثل القائل:

---

(1) تيمور، ص ٤١٥.

(*) من الأمثال المتداولة.

(2) العبدري الشيبي، تمثال الأمثال، جـ ١، ١٥٣ / ١٥٤. الميداني، جـ ١، ص ٤٤٧.

(3) العسكري، جـ ١، ص ٤٣٤.

إذا أخلفت وعدي لا تمشي بعدي(*)

وذلك تنكيل لمن يُخلِفْ الوعد، وأنّه في حالة عدم الوفاء بما أوعدَ به فإنه مُهدّد بالابتعاد عنه وتَجنُّب مُصاحبته.

(*) من الأمثال المتداولة.

٨- العذر

العُذْر هو طلب العفو والسّماح عندما يُسيء المرء التّصرف قولاً أو عملاً. وقد يعتذر الإنسان من جراء عملٍ يقوم به عن قصدٍ فيفسده، وقد يكون خطأه نتيجة الصّدفة بدون تعمّد فَيُقدّم اعتذاره عن ذلك العمل. وفي كلتا الحالتين فإن طلب العذر أمر محبب إلى النفوس وذلك لأثره في جمع الشّمل والتآلف والمحبة بين النّاس. ومع ذلك فقد يستخدم ضُعفاء النّفوس العُذْر كوسيلة لتبريرِ ما اقترفوه من عملٍ سيىءٍ أو لتحقيق مصلحة ذاتية. وفي مُعظم الحالات التي يطلب فيها العذر تداولَ النّاسُ الأمثال التي تشجع أحياناً على استخدام العذر الصّحيح، والأمثال التي تحط من شأن مُستخدميه إذا كان اعتذارهم لا يستحق القبول ولا يتّفق مع المنطق، ومن تلك الأمثال قولهم:

العُذْر أَقبحُ من الفعل(١)

وبعضهم يقول:

العذر أقبح من الذنب

ويُضرب المثل لبعضِ الأعذار التي تكشف عن أمور هي أكثر إيلاماً ممّا اعتذر عنه. لذلك فالسّكوت في بعض الحالات قد يكون أبلغُ تعبيراً عن النّدم وطلب العذر. ويقالُ في قصة هذا المثل: إنّ أحد المستخدمين كان يرعى الإبل في الصحراء وعندما كان مُسترخياً غلبه النّوم من شدّة التّعب، فلمّا انتبه من نومه لم يجد الإبل ففزع من الخوف وعاد إلى عمه، صاحب الإبل، وخوفاً من عمّه قال له: لقد هجم عليّ قوم وأخذوا الإبل عنوة وقد أبليت البلاء الحسن من

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ٢، ص١٢٧. / القثامي، لكل مثل قصة، ص ٤٠.

أجلِ الدّفاع عنها ولكنّي وقعت في الأسر، وبعد ذلك تمكنت من الهربِ لأخبرك. فقال له عمه: أين آثار الضرب؟ وكيف استطعت الهروب من القوم؟ فحار الرّاعي في الرّد على عمه، وكانت الابل قد عادت إلى أهلها كما هي عادتها. وعندما لم يستطع الراعي الإجابة، قالَ له عمّه: عذرٌ أقبحُ من فعلٍ، أي إنّ عذرك ليس مقبولاً وفعلك في قتال القوم وهروبك غير مقبول أيضاً. وأصبحت هذه القولة مثلاً لكلِّ من يعتذر عن شيء وهو كاذبٌ في عذرِه وعمله.

وعندما يكون صاحب العذر صادقاً ولكنّه لا يملك القدرة في التّعبير عن عذره أو لا يستطيع أن يُبدي عذره للنّاس، يقول المثل فيه:

رُبَّ سامع بخبري لم يسمع عُذرِي[1]

والمقصود أنّه لا يستطيع إعلان عذره للنّاس لأن في الإعّلان به أمراً يكرهه، وقريب من هذا المثل قول أكثم بن صيفي:

رُبَّ ملومٍ لا ذنب له[2]

ومعنى هذه القولة أَنَّهُ ربما يظهر للنّاس منه أمر مُستنكر عليه وهم لا يعرفون حجّته وعذره وهو يلام عليه. وقيل في مثل ذلك أنّ رجلاً في مجلس الأحنف بن قيس قال: ليس شيءٌ أبغضَ إليّ من النّمر والزُّبد، فقال الأحنف: رُبَّ ملومٍ لا ذنب له. ويقول منصور النّمري في مثل ذلك:

لعلّ له عذراً وأنت تلوم   فكم من مَلومٍ وهو غيرُ مِليمِ

وعندما يكون العذر أحياناً في غير موضعه ولكن يقصد به التّمويه وتصريف الغير فالمثل يقول:

---

(١) الميداني، جـ ٢، ص ٤٤ / العسكري، جـ ١، ص ٤٧٤ / ابن سلام ص ٦٣.
(٢) الميداني، جـ ٢، ص ٥٦ / العسكري، جـ ١، ص ٤٧٤ / ابن سلام ص ٦٣.

أبى الحَقِينُ العِذَرَة [1]

والحَقِينُ هو اللّبن المحقون، والعِذرة أي العذر، ويقول أبو زيد الأنصاري في أَصلِ هذا المثل أنّ رجلاً ضاف قوماً فاستسقاهم لبناً، وعندهم لبن وقد حقنوه في وطب، فاعتلّوا عليه واعتذروا، فقال لهم: أبى الحِقينُ العِذرة، أي أنّ هذا الحقين يُكذبكم.

وقريب من معنى المثل السّابق قولهم:

لا تعدم خَرقَاءُ عِلَّةً [2]

والمقصود أنّ العلل والأعذار يسيرة وموجودة تُحسِنُها الخرقاء فضلاً عمّن يعقل، والمثل يضرب للنهي عن المعاذير في غير مكانها.

وعندما يتضّح الكذب في العذر يقول المثل:

المعاذِر مَكاذِب

أو:

إنّ المعاذير يشوبها الكذب[*]

والمعاذِر جمع معذرة والمكاذِب جمع مكذبة، وقال بالمثل المطرف بن عبد الله ابن الشّخيَر. والمثل يُضرب في حالة العذر الكاذب الذي يُؤدي بصاحبه إلى عدم الإصغاء له وقبول عُذره.

ولأن بعض الأعذار قد تكون معروفة بأنها كذب وأنها لا تفي بالغرض المنشود، قال العرب:

العذر ما يملأ بطن الجائع [4]

---

(١) الميداني، جـ ١، ص ٦٩ / الزمخشري، جـ ١، ص ٣١.

(٢) الزمخشري، جـ ٢، ص ٢٥٦. / ابن سلام، ص ٦٤.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٤) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ١٢٧.

أي أنّ الكلام المعسول والأعذار الرقيقة لا يمكن أن تكون مقنعة لقبولها. وفي هذا المثل شَبّه العُذرُ بالأكلِ الذي لا يَسدُّ رمق الجوع تعبيراً عن ضعفه وعدم توفّر الإقناع فيه.

وعندما يسأل المرء عن عمل ما ويكون الطّرف المسئول لا تربطه أي علاقة بذلك العمل فإن الرّد غالباً ما يكون:

لا ناقة لي فيها ولا جمل

أو:

لا ناقتي في هذا ولا جملي[1]

وهذا المثل يُضرب للاعتذار والتبرؤ عندما يُتّهم المرء بشيء لم يعمله. وأصل المثل للحارث بن عباد حين قَتَلَ جَسّاس بن مُرّة كُليباً وهاجت الحرب بين الفريقين وكان الحارث بن عباد معتزل الفريقين، ويقول الشاعر في ذلك:

ومـا هَجَـرتُـكِ حتّى قُلْتِ مُعلِنـةً   لا نـاقـةٌ ليَ في هـذا ولا جَمَـلُ

وفي رواية عند الزّمخشري أنّ أوّل من قال بهذا المثل هي الصّدوف بنت حنش العدويّة حيث كانت تحت زيد بن الأحنس العدويّ وله بنت من غيرها تُسمّى الفارعة، كانت تسكن بمعزلٍ منها في مكانٍ آخر، فغاب زيد غيبةً فلهج بالفارعِة رجل يُدعى شبثاً. وكانت الفارعة أثناء غياب أبيها تستخدم جمله في تنقلاتها، فلمّا رجع زيد عرج على كاهنة اسمُها ظريفة فأخبرته بريبة في أهلِهِ، فأقبل سائراً لا يلوي على أحدٍ وإنما تخوّف على امرأته حتّى دخل عليها. فلمّا رَأَتُه عرفت الشرّ في وجههِ فقالت: لا تعجل واقف الأثر، لا ناقة لي في هذا ولا جَمَلُ[2]. وسواء هذه القصّة حقيقيّة أم لا فهو لا يعنينا أكثر من تأثير هذا المثل وتداوله بين النّاس معبراً عن موقف المعتذر عندما يكون بريئاً ممّا أُتُّهم به ونُسب إليه ولا ذنب له فيه.

---

(١) الميداني، جـ٣، ص ١٦٦ / الجهيمان، جـ٣، ص ٣٣٩ / الزمخشري، جـ٢، ٢٦٧.

(٢) الزمخشري، جـ٢، ٢٦٧.

وقد يُتّخذ من العُذرِ صفة التّبرير لتطبيق العِقَاب على من يقوم بعمل سبق وأن نُهي عنه. ويقول المثل في ذلك:

مَنْ أعذَر فقد أنذْر

أو:

مَنْ أنذَر فقد أعذْر(1)

ومعنى المثل أنّ من أنذرك عن أمر فقد أصبح معذوراً في عقابِه لكَ إذا خالفت ما سبق وأُنذرتَ عن عمله. والمثلُ يُضرب غالباً للأمرِ يُنهى عَنُه والتّهديد بالعقابِ في حالة مُخالفة الأمْر.

(1) العبودي، ص ٣١٦ / الميداني، جـ ٢، ص ٣٦٣ / الجهيمان، جـ ٣، ص ١٣٥.

٩ - النصيحة

النّصيحة من الأمور التي يدعونا إليها ديننا الحنيف لما لها من تأثير في تأصيل روابط المحبّة والوفاق بين أفراد المجتمع. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الدّين النّصيحة، وفي رواية قال: إن الدّين النّصيحة ثلاثاً، قالوا لمن يا رسول الله، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامّتهم(١). وعن جرير بن عبد الله أنه أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: أُبايعك على الإسلام، فشرط عليّ والنّصح لِكُلِّ مُسلم، فبايعته على هذا(٢). ويقول ميمون بن مهران: قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: قل لي في وجهي ما أكره فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره. وفي ذلك قال العرب بالمثل:

ودّك من نصحك وقلاك من مشى في هواك(٣)

وقال أبو الدّرداء: إن شئتم لأنصحنّ لكم إنّ أحبّ عباد الله إلى الله الذين يحببون الله تعالى إلى عباده ويعملون في الأرض نصحاً. وقيل في عدم الأخذ بالنصيحة إنّ فيروز بن حصين أشار على يزيد بن المهلب أن لا يضع يده في يد الحجّاج بن يوسف الثقفي، فلم يقبل منه وسار إليه فحبسه الحجّاج وحبس أهله فأنشد فيروز:

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فأصبحتَ مَسلوب الإمارة نادما

(١) صحيح البخاري، جـ ١، ص ٢٠.
(٢) صحيح البخاري، جـ ١، ص ٢١.
(٣) الأبشيهي جـ ١، ص ٧٦.

أمـرتـك بـالحجّـاج إذ أنت قـادرٌ فنفسـك أَوْلُ اللّوم إن كـنـت لائـما
فـما أنـا بـالبـاكي عليـكَ صبابـةً وما أنـا بـالـداعي لـترجـع سـالما[1]

وقيل لمن يشعر باستياء من النّصيحة:

من اصفّر وجهه من النّصيحة اسودّ لونه من الفضيحة

وفي ذلك يقول طرفة:

ولا تـرفـدنّ النّصـح من ليس أهله وكن حـين تستغني بـرأيـك غـانيـا
وإن امـرءاً يـومـاً تـولى بـرأيـه فدعه يصيب الرّشد أو يـك غاويـا[2]

ووجـود من لا يُحب النصيحة ولا يَقبلُها من الأمورِ الملاحظة لـدى فئـة من الناس، فهناكَ من يجهل قيمة النصيحـة وهو في ذلـك غير مُستعـد للأخـذِ بها، وفي تصوّره يرى صواب رأيه وأنّ النّاصح لـه غير مخلص في نصيحتـه. وفي مثل هذه الحالة يقول العرب:

لا تنصح الجاهل يتعدوى لك

أي يُصبح عدواً لـك، فكم من ناصح صادق ذهب ضحيّـة جاهـل أحمق بسبب أنّه أسدى إليه النّصح والإرشاد في أمرٍ ما.

ولأن البعض لا يُحبـون أصلاً النّصيحـة لما يُـزيّن لهم الشيـطان في أعـمالهم، تداول الناس المثل القائل:

النّصيحة قبيحة(*)

على اعتبار أنها سوف لا يؤخذ بهـا عند مثـل هؤلاء، ولذلـك حذّر المجتمـع مُناصحتهم لردود أفعالهم السلبيّة. والمثل الشائع في ذلك قولهم:

---

(١) الابشيهي جـ١، ص ٧٧. وعند ابن الأثير في الكامل في التاريخ المجلد الرابع ص ٥٠٤ أن قائل البيت هو رجل إسمه حُضين.

(٢) الابشيهي، جـ١، ص ٧٧.

(*) من الأمثال المتداولة.

لا تُراهن على الصَّعبةِ[1]

والصَّعبة هي النَّاقة التي لم تروَّض وتدرَّب على الأعمال، ويكون من الصعوبة السَّيطرة عليها. ويُضرب المثل على أنَّ هناك نوعيات من الناسِ لا يُجدي فيهم النَّصح والإرشاد وأنَّهم ممَّن لا يستطيع المرء أن ينال موافقتهم على مشورة أو نصيحة تُقدَّمُ إليهم.

وفي حالة ردّ النَّصيحة وعدم قبولها يقول المثل:

لا يُطاعُ لِقصيرٍ أمر[2]

وقصّة هذا المثل كما يقول ابن الكلبي بأنّ قصير بن سعد كان قد أشارَ على جُذيمة حين خطب الزبّاء الاّ يفعل لأنّه سَبَق وأن قتلَ أبَاهَا، فلم يقبل منه وتزوّجها، ثم أنّها قتلته بعد ذلك.ولذلك قيل: لا يُطاع لِقصيرٍ رأي أو أمر وذهبت هذه القولة مثلاً لمن يُهمل النّصيحة ولا يقبلُها وفي النهاية تتّضح أهميتها.

وقد يكون هُناكَ ردود فعل سلبية على النّاصح أكثر قساوة من عدم قبول نصيحته وتوجيهه. فهناك من يهتم اهتماماً بالغاً بالنصح والتوجيه والإرشاد لغيره في أمرٍ ما ولكنّه في النّهاية يذهب النّاصح ضحيّة جهوده المخلصة ويُقابَلُ بعكس ما كان يتوقّع. والمثل القريب في التوضيح لذلك يقول:

سمّن كلبك يأكلك[3]

وقصّة هذا المثل هي أنّ رجلاً من طسم ربّى له كلباً وأطعمه اللّحم وأسقاه اللّبن على أمل أن يستخدمه للصّيد والحراسة، ولّما تعوّد الكلب على اللبن واللّحم وأصبح صحيح الجسم قويّا شعر يوماً بالجوعِ فجاء إلى صاحبه ووثب عليه وافترسه. وفي هذا المعنى يقول حاجب بن دينار المازني:

---

(١) العسكري، جـ٢، ص ٤٠٥.

(٢) ابن سلام، ص ٣٠٠.

(٣) الزمخشري، جـ٢، ص ١٢١ / ابن سلام، ص ٣٩٦.

وكم من عـدوٍ قـد أعـنتـم عليـكم ... بمـالٍ وسـلطانٍ إذا أسـلم الحـبـلْ
كـذي الكلب لّما أسمن الكلب نـابه ... بإحدى الدواهي حين فارقه الهـزلْ[١]

وبيت الشعر الذي أصبح مثلاً متـداولاً والذي يـوضّح ردود الفعل الـسلبية للنّاصح والمربّي والمرشد يقول:

أعـلّمـه الـرّمـايـة كـلَّ يـومٍ ... فـلـمّا اشـتـد سـاعِـدُه رمـاني[٢]

وهذا البيت من قصيدةٍ شعريّة لمالك بن فهم الـدّوسي وكان ابنه سليمة قد رماه بسهمٍ فقتلهُ، وقيل بـأنّه لمعن بن أوس قـاله في ابن أخت لـه، والأبيات تقول:

فيـا عجبـاً لمن ربيت طفـلاً ... ألـقّمـه بـأطـرافِ الـبنـان
أعلّمـه الـرّمـايـة كـل يـومٍ ... فـلـمّا اشـتـد سـاعـده رمـاني
وكـم عـلّمـتـه نـظم الـقـوافي ... فـلـمّا قـال قـافـيـة هـجـاني
أعـلّمـه الـفـتـوّة كـل وقـتٍ ... فـلـمّا طـرّ شـاربـه جـفـاني
رمى عـيني بـسهـمٍ أشـقـذيّ ... حـديـد شـفـرتـاه لهـذمـان
فـلا ظَفِـرَتْ يمينـك حينَ تـرمي ... وشلّت منـكَ حـاملة البنـان[٣]

والاستشارة وثيقة الصّلة بالنّصيحة، فإذا استشار فرد آخر فكأنما طلب ذلك الفرد النّصيحة منه، ولذلك فإن من يستشير ويستنير بآراء غيره فهو كمن يُصغي للنّصيحة ويستفيد منها. وقيل في أهميّة ذلك: النّاس ثلاثة: رجلٌ رجل، ورجلٌ نصف رجل، ورجلٌ لا رجل. فأمّا الرّجل الرّجل فذو الـرّأي والمشورة، وأمّا الرّجل الذّي هو نصف الرّجل فالذي لـه رأي ولا يشاور، وأمّا الرّجل الذي ليس برجل فالذي ليس له رأي ولا يُشاور. ولمحمّد الورّاق قوله:

إن الـلّبـيـب إذا تـفـرّق أمـرهُ ... فـتَق الأمـور منـاظـراً ومُشـاورا

(١) الزمخشري، جـ٢، ص ١٢٢.
(٢) ابن سلام، ص ٢٩٦.
(٣) ابن سلام، ص ٢٩٦.

وأخــو الجهــالــة يَستبــدُ بــرأيــه فــتراهُ يعتسف الأمــور مُخــاطــرا[1]

والمثلُ الذّي يحثُ على الأخذ بالاستشارة والنّصيحة والعمل بهما يقول:

ما خاب من استخار ولا ندم من استشار(*)

وذلك للحث على أهمية طلب النصح وأخذ الرأي من ذوي الخبرة والتجربة والأخذ بالصالح منها. ويقول الشاعر بشار بن برد في أهمية النصيحة والاستشارة:

إذا بلغ الــرأي المشــورة فــاستعــن بــرأي نصيــح أو نصيحــة حــازم
ولا تجعـل الشورى عليـك غضاضـة فــإن الخــوافي قــوة لــلقــوادمِ[2]

---

(1) الأبشيهي، جـ ١، ص ٧٣.
(*) من الأمثال المتداولة.
(2) الهاشمي، جـ ١، ص ١٨٧.

١٠- العقـل

العَقْل هو الرّشد، والعاقل هـو ذلك الإنسـان الذّي يتصرّف بحكمـةٍ واتّزان في كلّ أفعاله وأقواله. ويقول عمرو بن العاص: ليس العاقل الذي يعرفُ الخير من الشّر ولكنّه الذي يعرف خير الشرّين. وقال زياد: ليس العاقل الـذي يحتال للأمر إذا وقع ولكنّه الـذي يحتال لـلأمرِ ألاّ يقـع فيه. وفي كتـاب كليلة: رأس العقـل التّمييز بـين الكائن والممتنـع، والعاقـل يُقلّ الكـلام ويُبـالـغ في العمـل ويعترفُ بزلّة عقلِهِ ويستقيلُها كالرّجل يَعثُرُ بالأرضِ وبها ينتعشُ[1].

واستخدام العقل من الأمور التي حثّنا عليهـا الدّين الإسـلاميّ، فيقول جـلّ وعـلا في كتابـه الكريم: ﴿إنّ في ذَلِـكَ لآية لقـومٍ يعقلون﴾[2]. وقـال تعـالى: ﴿كذلك نُفصّل الآيات لقومٍ يعقلون﴾[3]. وهناك الكثير من الآيات التي تدعونا لاستخدام عقولنا بالتّفكير والتّدبُّر في كلِّ شُئون الحياة.

ولَـا لمنزلـة العقلِ من أثـرٍ في حياة النّـاس لـدورهِ المتميّـز عن بـاقي حـواس الإنسان الأخرى ولأنّـه بمثابـة الآمر النّـاهي لِكُلِّ مـا يحدثُ من تصرّفـات المرء السلبيّة منها والإيجابيّة، فقد أصبح موضعَ اهتمام الكثير من النّـاس الذين عـبّروا عن أهميّته في الأمثال التي تداولوهـا في كُلِّ منـاسبة لهـا علاقـة به. وممّـا قِيلَ في أهميّته قولهم:

العَقلُ زينة صَاحِبه[4]

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، جـ ١، ص ٢٧٩/ ٢٨٠.

(٢) سورة النحل، آية رقم ٦٧.

(٣) سورة الروم، آية رقم ٢٨.

(٤) هاني العمد، ص ٣٧٠.

ويُضرب هـذا المثل لتمجيـد العقل لأنّـه يجعلُ من صـاحبِه إنسـاناً لـه قيمتهُ واعتباره بين أفراد مُجتمعه.
والمثلُ الآخر في ذَلِكَ يقول:

العقل زِينَة لكل رَزِينة [1]

والمثلُ يصفُ العقلَ في تَصرُّفات المرء وأثره في تزيين صاحبه وكماله.

وغالباً ما يكون صاحب العقل المُتّزن على معـرفةٍ حقيقيـة بأثـر ما يصـدرُ عنهُ من أقوالٍ أو أفَعالٍ حتّى إنهُ لا يتصرّف إلاّ في الموضـع المناسب، وفي مثـل ذَلِكَ قالوا:

العاقل من يرى مقر سهمه من رميته [2]

ومعنى المثـل أنّ العـاقـل من النّـاس لا يتصرّف في أمـوره بـدون معـرفـة بالعواقب، فهو يُدرك تأثير الكلمة والعمل على الغير وبذلك فإنه لا يضع الشيء في غـير مكانـه. والمثلُ يَحثُّ عـلى استخدام العقـل في النّـظر في العـواقب قبـل الشّروعَ والتصرّف في أيّ عمل.
ويؤيّد المثل السّابق في أهميّة العقل قولهم:

العاقل خصيمُ نفسه [3]

والمقصود من المثل أنّ العاقل يُنصفك من نفسهِ في حـالة خـطئه عليـكَ لأنَه يعـرفُ حقوق نفســه وحـقــوق الآخــرين عـليــه، وهــو بــذلِـكَ لا يَـظلُم أحـداً لمعــرفـتِــه بــأنّ عـواقِبَ الظُّلم وخيمـة. ويُبينّ المثـل فضائـل العقل وأنّـه مفيد لصـاحبه لمعـرفة أفضل الأمور وأسوأها. ويُقال بأنّ أصل المثل مأخوذ من البيت القائل:

لـيس يُـعـدّ حـكـيـمـاً من لم يكـن لنـفســه خـصيـمـاً

(١) تيمور، ص ٢٤٧.
(٢) الميداني، جـ ٢، ص ٣٧٧.
(٣) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ١٢١. / العبودي، ص ١٦٨.

ويتّفق مع المثل السّابق في المعنى قولهم:

من سعادة المرء أَنْ يكونَ خصمه عاقلاً

وفي لفظ آخر يقولُ المثل:

عدوٌّ عاقل خير من صديقٍ جاهل [1]

وذلك لأن العدوّ إذا كان عاقلاً فهو يُنصفك من نفسهِ على اعتبار إمكانية التّفاهم معه وإقناعه بالحُجةِ والمنطق. أمّا الجاهل فإنّه لا يُنصفك من نفسِه ولا يستطيع التّفاهم معه. ويقول الشّاعر في ذلك:

لأن يُعادى عاقلاً خيرٌ له   من أَنْ يكونَ له صديقٌ أَحمَقُ

وممّا قالوه في وصف العاقل ومن يُصاحبه:

رفيق العاقل مستريح [2]

وذلك لأنّه سوف يكون في مأمنٍ من بعض الأشياء السلبيّة التي قد تحدث له فيما إذا كان رفيقه من غير العُقلاء. وهناك قصّة طريفة تَشرحُ مدى أهميّة الرّفيق العاقل وأثر تَصرّفاته. فَيُقَال أنّ رجلاً كان مسافراً فمرّ بِدُبٍّ مربوطٍ في جذعِ شجرة، فعطف الرّجل عليه وأطلقه من وِثاقه ثمّ سقاه ماء وأطعمه من طعامه وتركه ونام في ظلّ تِلكَ الشجرة، فقال الدُبّ في نفسهِ لا بُدّ أَنْ أُكافىء هذا الرّجل الشّهم وأَنْ أَحرُسهُ في نومهِ حتّى لا يأتيه شيءٌ يُؤذيه. وبينما كان الدّبُ في حراسته أبصرَ ذباباً يقعُ على وجهِ الرّجل فطرده الدّب ثمّ عاد فطرده حتى المرّة الرّابعة والخامسة، وعندما رأى إصرار الذُّباب على إيذاء الرّجل قال: والله لأنتقمّن من هذا الذُّباب شرّ انتقام، ثم ذهب قريبا وحمل من سفحِ الجبل حجراً كبيراً وجاء يبحث عن الذُّباب فوجدهُ علىٰ وجهِ صاحِبهُ فرفع الحجر إلى أعلى مكان يستطيع رفعه إليه، ثم هوى به على الذُّباب وهو فوق وجه صاحبه فطار الذُّباب ووقعَ الحجرُ على وجهِ صاحبه فحطّمه وكانت هذه نهاية الرّجل

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ١٢٦. / العبودي، ص ١٦٨.

(٢) العبودي، ص ١٦٨. / عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ١٢٦.

الشّهم الذي أحسن إلى هذا الدُّب وفكّ وثاقه وأرواه وأطعمه[1]. وهذه القصّة ليست في الواقع حقيقية ولكنّها ذُكرت لتوضّح أهميّة مُصاحبة الرّفيق العاقل من ذلك الجاهل الأحمق.

والفرق يظهرُ واضحاً بين العاقل والجاهل عند الأخذ بالعبرة والموعظة ممّا يَحدُثُ من كوارث وأزمات في هذه الدّنيا، والمثل يقول في هذه الحالة:

العاقل الذي يعتبرُ بغيره[2]

ويُضرب هذا المثل تمييزاً للعاقل من الجاهل في حالة أخذ العبرة ممّا يقع فيه الغير من مساوىء ومشاكل وما شابه.

والذي يتميّز بالعقل تَجِدُهُ غالباً ما يتصرّف وفق نوعيّة الظّروف التي تُواجهه، ويتّفق مع هذه الحالة قولهم:

عُقّال في حال وفي حال جُهّال[3]

والمقصود أنّ العاقل يستخدم العقل في أوقاته الضّرورية، وقد يتصرّف مثل الجاهل إذا تجاوز عليه غيره بالأخطاء. والشّاعر العربي يصفُ حدوث مثل هذه الحالة في قوله:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهلُ فوق جَهل الجاهلينا

ولولا أهميّة العقلِ لما تداول الناس فيه الأمثال ولما قيل فيه الشعر الناطق المعبر بالحكمة البالغة كما في قولهم:

يشين الفتى في الناس قلّة عقله وإن كُرمت أعراقه ومناسبه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه[4]

---

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ١٢٦.
(٢) هاني العمد، ص ٣٥٢.
(٣) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ١٣٩.
(٤) الهاشمي، جواهر الأدب، جـ ٢، ص ٤٥٤.

وأبيات أخرى تقول:

يعـد رفيـع القـوم من كـان عــاقـلاً   وإن لم يـكن في قــومــه بـحـسـيـب
وإن حـلّ أرضـاً عــاش فيهـا بعقله   ومــا عــاقــل في بـلدةٍ بـغــريـب[1]

(١) نفس المصدر ص ٤٥٤.

١١- كتمان السرّ

لأهميّة السّر وكتمهِ تَداولَ النّاسُ الأمثال الكثيرة فيه لما لإفشائه من آثار قد لا تخدم الأطراف المعنية. والأدلّة على أهميّة كِتمان السّر كثيرة وورد ذِكرُ بعضها في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة وعلى ألسِنَةِ رِجال الإسلام الأوائل من الصحابة وغيرهم. قال تعالى، حكاية عن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه: ﴿يا بنيّ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إنّ الشّيطان للإنسان عدوّ مُبين﴾[١]. فلمّا أفشى يوسف عليه السلام رُؤياه بمشهدِ إمرأة يعقوب أخبرت إخوته فحلّ به ما حل. وفي الحديث عن أنس بن مالك أَنَّهُ قال: أَسرَّ إليَّ النّبي صلى الله عليه وسلم سِرّاً فما أخبرتُ به أحداً بعده، ولقد سألتني أُمُّ سليم فما أَخبرتُها به[٢]. وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: سِرُّكَ أَسِيرك فإذا تكلّمت به صِرتَ أَسِيره[٣].

وكما تتحدث كتب الأدب والتاريخ، وكما هو مُتعارف عليه، فقد أصبح أُمناء الأسرار أَقلّ بكثيرٍ من أُمناء الأموال، وحفظ المال أصبح أيسر من كتمان الأسرار، لأن حفظَ المال أصبح مصوناً بالأبواب والأقفال أمّا الأسرار فسهلة يعلنها اللّسان. والمال قد يحمله الإنسان ويحافظ عليه، أمّا السّر فيحفظه في قلبهِ فيقلق ويكرب حتى يُذيع سِرَّهُ فيستريح ويشعر وكأنّه ألقى عن عاتقه حملاً كبيراً، وهذه الظاهرة موجودة لدى نوعية من البشر. وكم من إظهار سرّ أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه مع العلم أنّه لو كتم سِرَّهُ حفظ نفسه. ويقول

(١) سورة يوسف، آية رقم ٥.

(٢) صحيح البخاري، جـ ٤، ص ٩٤.

(٣) الابشيهي، جـ ١، ص ٢٠٦.

أنو شروان: من حَصّن سِرَّهُ فله بتحصينه خصلتان: الظّفر بحاجته والسّلامة من السطوات. وقال كعب بن سعد:

ولست بمبدٍ للرّجالِ سريرتي ولا أنا عن أسرارهم بسئول[1]

وقال أبو مسلم صاحب الدولة:

أدركت بالحزمِ والكِتمان ما عجزت عنه بنو مروان

وقال المهلب:

أدنى أخلاق الشريف كِتمان السرّ[2]

وقيل:

كِتمان الأسرار يَدُلُّ على جواهرِ الرّجال[*]

وكما أنّه لا خير في آنية لا تُمسك ما فيها فكذلك لا خير في إنسانٍ لا يُمسك سِرّهُ. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أفشيتُ سِرّي إلى أحد قط فأفشاه فلمته إذ كان صدري به أَضيق. ويقول الشّاعر:

إذا المرء أفشى سِرَّهُ بلسانهِ ولام عليه غيره فهو أحمقُ
إذا ضاق صدر المرء عن سِرّ نفسه فصدر الذي يستودع السرّ أضيقُ

ويقول المتنبّي:

ولِلسرِ منّي موضع لا يناله نديمٌ ولا يُفضي إليه شراب[3]

ولولا أهمية كتم السرّ لما تداول الناس الأمثال التي توضح آثار إفشائه وتُحذّر في نفس الوقت من انتهاج هذا المسلك غير المحبوب، ومّما قيل في مثل ذلك قولهم:

---

(١) الهاشمي، جواهر الأدب، جـ ٢، ص ٤٨٣.

(٢) الابشيهي، جـ ١، ص ٢٠٨.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٣) الابشيهي، جـ ١، ص ٢٠٨.

السّر بين اثنين ما يَندري به [1]

وهذا المثل مأخوذ من بيت الشعر الشّعبي الذي يقول:

السّر بين اثنين ما ينـدري بـه   وإلى درى الثالث تحاكوا به الناس

والمقصود أنّ السّر إذا عَلِمَ به أكثر من اثنين انتشر وعُلِمَ به وكلّ واحد من الثلاثة سيلقي اللّوم على الآخر ومن الصعوبة معرفة من أفشى السّر منهم. أمّا إذا كان السرّ بين اثنين وفشا فإنِ الذي كتمه يعلم علم اليقين بأن الذي أفشى السِرّ هو صاحبه. ويُضرب المثل للحثِّ على المحافظة على السّر وتَجنُّبِ الحديث عنه في دائرة كبيرة.

وهناك من الأمثال العاميّة ما يُؤيّد المثل السّابق في معناه كقولهم:

السرّ بين اثنين درج وبين ثلاثة فتح الباب وخرج

أو:

كل سرّ جاوز الاثنين شاع(*)

ويتضح من هذين المثلين مدى تأثر المجتمع بأهمية الحفاظ على الأسرار ومدى معرفتهم الطّرق التي تؤدي إلى إفشائها.

وأمّا المثل القائل:

أُكتم سرّك تَبلُغْ أمرك[2]

فيضرب لِلحثِّ على أن يحتفظ المرء بسِّره لنفسهِ لكي يَصِلَ إلى بغيته وذلك خشية أن لا يتحقق ما أراده إذا أخبر بأمره غيره.

وهناك فئة من النّاس يحاولون دائماً أن يجعلوا من أنفسهم موضع الثّقةِ وأنّهم من المؤتمنين في أعمالهم وأقوالهم وعند مخاطبة مثل هؤلاء بما يُراد أن يكون موضع السّرية فغالباً ما يجيبون بالمثل القائل:

---

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ٢، ص ١٩.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٢) محمد صابر دياب، ص ٤٩/٥٠.

سرّك في بير(*)

وذلك إيحاءً منهم بأنّهم مؤتمنون على حفظ السّر وعدم إفشائه. ومع ذلك هناك من لا يلتزم بالمبدأ الذي يقول به المثل، وفي ذلك يقول الشّاعر:

إذا لم يكن في الورى صاحبٌ وفيه ثلاث خصالٍ حميدة
وفاء وسرّ وحفظ الولاء فصحبته قط ليست مفيدة(1)

وأمّا قولهم:

هنا حفرنا وهنا دفنا

أو:

لا من شاف ولا من دري(2)

فهي من الأمثال العامية التي تُشير إلى أنّ هناك اتفاقاً بين اثنين فأكثر على موضوع مّا بقصد إخفائه وأنّهم سوف يكتمون الحديث عن العمل الذي قاموا به.

وبما أنّ السّر مُهّم جدّا ويخشى على صاحبهِ منه عند إفشائه إلى الغير تداولَ النّاسُ الأمثال بضرورة كتم السّر حتى عن أعزّ الناس وأقربهم. فالصّديق رُبّما تتغيّر به الأحوال والظروف ويُصبح في يومٍ من الأيام من ألدّ الأعداء وتُؤدي معرفته بسرِّ صاحبه إلى إفشاء السّر الذي كان من المفروض أن يظلّ مكتوماً بينهم. وممّا قالوا في ذلك:

سِرُّكَ من دَمِكَ(3)

أي إنّ السّر من الأشياء الثّمينة فهو كالدم في بني الإنسان إذا فَقدَهُ كان سبب وفاته. ويقول الشّاعر:

(*) من الأمثال المتداولة.

(1) الهاشمي، جـ ٢، ص ٤٨٤.

(2) محمد صابر دياب، ص ٤٩.

(3) ابن سلام، ص ٥٨.

إحــذر عــدوكَ مــرّةً واحــذر صــديقــك ألف مــرّة
فــلربّمــا انقــلب الــصّــديــق فــكــان أعــلم بــالمَضرّة

وذَلِكَ لأن العدوّ لا يعرف خبايا الأمور أكثر دقّة من معرفة الصَّديق الذي قد يكون في يوم من الأيام من ألدّ الأعداء. ويقول أبو محجن الثّقفي في أبياته:

لا تسـأل النـاس عن مَـالي وكثـرتـهُ وسائل النّاس عن حزمي وعن خُلقي
أعـطي السِّنان غُـداةَ الرّوحِ حِصتّـهُ وعــامـل الــرّوح أُرويــه من العلقِ
وأطعنُ الـطّعنةَ النجـلاء عن عُرُضٍ وأكـتم السّر فـيــه ضربــة الـعُـنـقِ

والسرّ عندما ينتشر ويصبح معروفاً لدى النّاس فهو يَفقِدُ قيمته كَسِرّ، ويقول المثلُ العربيّ في ذلك:

قد أفرخَ القومُ بيضتهُم

والمقصود أنّه ظهـر أمرُهم وانتشر سِـرّهُم فلا ينفـع بعد ذلـك اللّوم والنّدم، وشُبّهَ ذَلِكَ بالفرخِ إذا خرج من البيضةِ فسوف لنْ يعود إلى مكانِه.

وفي حالة إفشاء المرءِ سّرِه إلى غيره وندمه على ذلك يقول المثل:

أفضيتُ إليه بشُقُوري

أي أخبرته بأمري وأطلعته على ما كنت أحفظه سِرّاً لي. وقالوا كذلك:

أخبرتهُ بِعُجَري وبُجَري (١)

أي أظهرته من ثقتي به على معايبي.

---

(١) ابن سلام، ص ٦٠.

١٢- الاعتماد على النفس

الاعتمادُ على النَّفسِ ظاهرة صحيّة سواءٌ بالنّسبة للفرد أو المجتمع وذلك لما لذلك من أثرٍ في البناء والحفاظ والأمان على الذات. والإنسان بطبعهِ لا يستغني عن غيره في شتّى أمورِ حياته، ولكنّ اعتماده على نفسه في بعض الحالات قد يُحقّق له آماله ويجعله في مأمن من أمور تضطرّه إلى سؤال النّاس. ولما لظاهرة الاعتماد على النّفسِ من أثرٍ ملحوظ، فقد تداول النّاسُ فيها الأمثال التي تحث على عدم اتباع أسلوب الاتكال على الغير. والمثل العربي في ذلك يقول:

ما حَكَّ جِلدَك مثلُ ظُفرك[1]

وهذا القول من الأمثال العربية القديمة وهو شطر من بيت الشّعِر القائل:

ما حَكَّ جِلدك مثل ظُفْرك ... فتولَّ أنت جميع أَمرِك

والمثلُ يحثُّ على وجوب الاعتماد على النفس في أي أمر أو عمل يتطلّب الإنجاز. ويقال المثل لمن يعتقد بأنّ غيره سيؤدي أو يقوم المُهمّة التي تتعلق به خير قيام ثمّ يتّضح في النّهاية أنّ إنجاز غيره لعمله لا يتم بالصورة المُتقنة التي يتوقّعُها كما لو قام هو بنفسه.

والاعتماد على الغير قد لا يتسبّب فقط في عدم الوفاء بالمسئوليّة التي أُنيط بها الغير، بل يُؤدي أحياناً إلى استخدام الحيلة والكذب في تبرير عدم الإنجاز بما كُلّفَ به. وفي مثل هذه الحالة يقول المثل الدّارج:

من غاب عن عنزة جابت تيس[2]

---

(١) تيمور، ص ٣٦٩/ عبد الكريم الجهيمان، جـ٣، ص ١٧/١٨.

(٢) العبودي، ص ٣٢٩/ عبد الكريم الجهيمان، جـ٣، ص ١٣٢.

وجـابت تيس يُقصد بهـا إنجاب الـذّكر من المـاعز. والمعـروف أنّ العنز تلد ذكـراً أو أنثى، والأنثى في عـالم الحيـوان لهـا الأفضليّـة عـلى الـذّكـر من أجــل الإنجاب. ومن المعتاد أنّ غنم القرية تُجمـع ثم يتولى رعيهـا راع واحد، وكـان أصحاب الأغنام عادةً ما يودعون أغنامهم عند بعضهم البعض في حالة ظـروف السّفـر أو الرّحيـل، فإذا كـان المُوكَـل إليه عـديم الأمانـة فإنّـه قد يـأخذ الأنثى المولودة من عنـز غيره ويستبـدلها بمـولودٍ ذكـر، ومن ذلك نشـأ هذا المثـل. وهو يُضرب للخسارة التي قد تحدث على من لا يُشرف أو يهتمّ بشئونِ نفسه معتمـداً على غيره.

وفي حـالة المشـاكل الخـاصّة بـالمرء فيجب أن يُـدرك بأنّـه هو المسئـول الأول والأخير عنها وعن تطوراتها وآلامها وآمالهـا وأنّ غيره من الأصـدقاء وغـيرهم قد يتأثرون بها ولكن لا يصل تأثرهم إلى نفس الدرجة التي قد يتأثر بها نفسه، ومن أجل ذلك يجب عليه الاعتماد على نفسه في مواجهة المشاكل الخـاصّة بـه. والمثل الذي تداوله النّاس في مثل ذلك قولهم:

ما تَحرقُ الجمرة إلا رِجلَ واطيها

أو:

النّار ما تحرق الاّ رِجل واطيها

وكذلك:

الجمرةُ ما تحرق الاّ رجل واطيها(١)

والمقصود أنّ حرارة النّار لا يشعر بهـا الاّ القدم التي تطـأها، والمثل يُضرب للمشكلة أو العلّة التي لا يشعر بآلامها وقساوتها سوى صـاحبها الحقيقي الـذي يعـانيها بنفسـه، ويحثّ المثـل عـلى الاعتـماد عـلى النّفس في مـواجهـة الأزمـات والمشاكل، ويقول الشاعر في هذا المعنى:

لا يعــرف الشـوق الاّ من يُكــابـده   ولا الصّبـابــة الاّ مـن يُعــانـيهــا

---

(١) تيمور، ص ٤٠٣. / عبد الكريم الجهيمان، جـ٣، ص ٢١.

ويتفق مع المثل السابق قولهم:

اللّي يأكل الضّرب ما هو مثل الذي يعدّه[1]

وذلك لأنّ من يتلقى الضّرب يشعرُ به ويعاني آلامه، أمّا الذي مُهمّته جمع عدد الضربات فهو بدون شك لا يشعر بمثل ما يشعر به المضروب نفسه.

ومبدأ الاتكاليّةَ في إنجاز الأعمال صفة غير مرغوب فيها لعدم جدواها، ولأنّها تقتلُ في المرءِ روح النشاط والمثابرة. والمثل العامي الذي يوضّح سلبيّة هذا المبدأ يقول:

اللّي ما يأكل بيده ما يشبع[2]

والمقصود أنّ من يعتمد على غيره في إنجاز أموره لا يحصل على النّتائج المرضية كما لو أنجز أعماله بنفسه. ويضرب المثل للحثِّ على الاعتماد على النّفس خاصة فيما يتعلق بأمور الفرد الشخصيّة.

ومثل هذا المثل قولهم:

مايمسح دمعتك الاّ يدك[3]

وفي هذا القول تتحدّد المسئوليّة في الاعتماد على النّفس حتّى في أقا الأمور.

والاعتماد على النّفس قد تكبر الدائرة فيه من الفرد إلى الجماعة، اي بمعنى أنّ تعاون الأقارب والأصدقاء الأوفياء ونصرتهم لبعضهم البعض تعبّر كذلك عن الاعتماد على النفس على نطاق أوسع وأشمل. وفي ذلك تداول النّاس الأمثال التي تعبّر عن هذا المعنى كما في قولهم:

ما يشيل اللّحم إلا عظامه[4]

---

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٩٨.
(٢) عبد الكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٩٩.
(٣) تيمور، ص ٣٦٨.
(٤) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٣، ص ٢٢.

والمقصود أنّه لا يحمل القريب الاّ قريبه والصّديق الا صديقه في حالة الأزمات والشّدائد. ويضربُ المثل للحثِّ على مبدأ التّعاون بين الأقارب والأصدقاء وقت الحاجة.

أما قولهم:

ما يبقى في البير الاّ حصاها[1]

فيقال عندما تحلُّ بالإنسانِ مشكلة مّا فيبتعد النّاس عن مناصرته والوقوف معه ويبقى معه أصدقاءه الأوفياء. ويقصد بحصاها أي أحجارها التي بنيت منها حيطانها الداخليّة. ويلفظ أحياناً بقولهم:

ما يبني في البير الاّ حصاها

وهو يؤدي نفس المعنى السابق.

وتأييداً لاعتماد المرء على ذويه في حالة الشدّة تداول الناس المثل القائل:

ما يصبر على جهلي الاّ أهلي[2]

والمراد بالجهل الإيذاء بالقول أو العمل، ومعنى المثل أنّ أخطاء المرء قد لا يتحمّلها النّاس ويرضون عنها ولكنّ الأقارب والأصدقاء يتحملون أخطاءه وعليهم تقع مسئولية إصلاحه والحد من تَصرُّفاته. ويُؤيد هذا المثل قولهم:

ما للمجنون الاّ أهله(*)

ويقصد بالمجنون الفاقد العقل، وقد يقصد به ذلك المرء السيىء التصرّفات الكثير الأخطاء، وفي الحالتين فإنّ المسئوليّة تَقعُ بالدرجةِ الأولى على الأهل والأقارب قبل غيرهم.

ويتفق مع الأمثال السابقة في المعنى قولهم:

---

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٣، ص ٦٤.

(٢) العبودي، ص ٢٩٤.

(*) من الأمثال المتداولة.

ما يحمل همّك إلّا الذي من دمّك[1]

ما يحمل همّك إلّا ابن عمّك

والمقصود أنّ ما يقف معك وقت الشدّة ويكون خير معين لك في همومك بعد نفسك سوى أقاربك وأصدقائك الأوفياء. والمثل جعل الاعتماد على القريب في الدرجة الثانية بعد الاعتماد على النفس، وهو يحثّ على مبدأ التعاون والتّآزر بين الأقارب والأصدقاء.

وقد ذهبت الأشعار مذهب الأمثال في الحث على الاعتماد على النفس حتى يصل الإنسان إلى ما يصبو إليه في حياته. فيقول ابن هانىء في ذلك:

ولم أجد الإنسان الّا ابن سعيه — فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا
وبالهمّة العلياء ترقى إلى العلى — فمن كان أعلى همّة كان أظهرا
ولم يتأخر من أراد تقدّما — ولم يتقدم من أراد تأخرا[2]

(١) تيمور، ص ٣٦٤.

(٢) الهاشمي، جواهر الأدب، جـ ٢، ص ٤٦٢.

١٣- العلم والتعلم

العِلمْ والتعلّم من الموضوعات الهامّة التي يسعى الإنسان إلى اكتسابها والتحلّي بمميّزاتها مهما كانت المشاق. ويقول الله تعالى في فضل العِلمْ والعُلماء: ﴿إنّما يَخشى الله من عبادِه العُلماء﴾(١). وقال تعالى: ﴿يرفعُ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العِلْم درَجات﴾(٢). وقال صلى الله عليه وسلّم: من يُرد الله بِهِ خيراً يُفهمه وإنما العِلم بالتعلم(٣). وفي حديث آخر: من سلك طريقا يلتمسُ فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنّة(٤). وفي مجال العلم والتعلّم حَفِلَتْ الأمثال العاميّة والفصحى بالمعاني المعبّرة والإشارة الواضحة سواءٌ فيما يتعلّق بطريقة التّعليم أو طلبه، وفي بعض الأحيان بالتفكه بمن ينتسب إليه. ففي مجال التّشجيع للعلم والرّغبة فيه يقول المثل:

من علّمني حرفاً كُنت له عبداً

وفي آخر:

من علّمني حرفاً صِرْت له عبداً

ويُضرب هذا المثل للإشارة بفضل المعلّم وعظمة رسالته، ويقول أحمد شوقي في فضل المعلّم:

قم للمعلّم وفّه التّبجيلا ... كاد المُعلّم أَنْ يكونَ رسولا
أَعَلِمتَ أشرَف أو أجلّ من الّذي ... يبني ويُنشىء أنفساً وعقولا

---

(١) سورة فاطر، آية رقم ٢٨.
(٢) سورة المجادلة، آية رقم ١١.
(٣) صحيح البخاري، جـ١، ص ٢٤.
(٤) صحيح مسلم، جـ١٧، ص ٢١.

سبحانك اللّهم خيرُ مُعلمٍ علّمتَ بالقلمِ القرون الأولى[1]

وهناك مثلٌ قديم يقول:

عصا الشيخ من الجنّة[2]

ويُقصدُ به معلّم الكُتّاب الذي يقوم بتعليم مبادىء القراءة والكتابة وعلوم الدّين. وكان المعلمون في السّابق يستخدمون العصا كوسيلة لردع الطلاب في حالة المخالفة أو عَدمِ القيام بواجباتهم المدرسية. ولكنْ على الرّغمِ من اللّفظ الظّاهر للمثل فقد كان المعلمون قديماً يُشفقون على تلاميذهم ويعطفون عليهم وكان التّعليم في السّابق له وضع مُميَّز يستحق كلّ التّقدير والاحترام. ولما لوحظ على طاعة الطّالب لأستاذه، سواءٌ أكانت هذه الطّاعة طبيعية أو بعد استخدام العصا، تغير مفهوم المثل واستخدامه في مجالات أخرى على أساس أنّ الشدّة قد تكون هي السّبب في الخضوع والطاعة. والمثل العاميّ المؤيد لهذا المعنى يقول:

القطّ يُحب خانقه(*)

والنّاس ليسوا سواسية في مستوياتهم العلمية، فَهُناك المبتدىء وهناك المتوّسط وهناك العالم وليس بعد الله عَالِمْ. وكان من يُبَرِّزُ في علمهِ يُطلقون عليه بالمثلِ القائل:

قد بَلغَ في العِلمِ أَطْورَيه[3]

والمقصود أنّه بلغَ أقصاه تعبيراً عن مكانته العلمية بين أفراد مُجتمعه.

وانشغال المرء باهتماماته العلميّة قد تجعله شبه مُنعزل عن أسرته وأقاربه، وفي مثل هذه الحالة يقول المثل:

أزهدُ النّاس في العالِمِ أهلُه[4]

---

(١) الهاشمي، جـ ٢، ص ٤٥١.

(٢) محمد صادق دياب، ص ١٧.

(*) من الأمثال المتداولة. وفي رواية: القط أعرف بِخَنّاقه.

(٣) الزمخشري، جـ ٢، ص ١٤.

(٤) ابن سلام، ص ٢٠٧.

ولأن التّعليم فِي الماضي لم يكن منتشراً ومتيسراً كما هو اليوم. فإنّه من الصّعوبة أَنْ تَجِدَ التّجاوب والإقبال على التعليم عند بعض كبار السّن على اعتبار أنّه فاتهم الرّكب. وأكثر ما يوضّح ذلك تلك الأمثال التي يتداولها النّاس والتي تعكس فلسفة المجتمع في مثل هذه الحالات، كقولهم:

إذا شاب ودّوه الكُتّاب [1]

والكُتّاب هو المكان الذي اعتاد النّاس الذهاب اليه لتلقي أوليات التعليم قبل ظهور المدارس الحديثة. وقد يُستخدم المثل لأغراض أخرى، فهو يُضرب لِمَنْ يُرجى مِنهُ أنْ يتعوّد شيئاً لم يتعوّده في صغره سواء التّعليم أو غيره نظراً لفوات أوانه. ولمفهوم المثل على أساس أنّ التعليم بالنّسبة للكبير في السِّن فيه نوع من الصّعوبة، تداول النّاس مثلاً آخر يَحمِلُ في معناه العكس تماماً لمفهوم هذا المثل، فقالوا:

العِلمُ في الصِّغر كالنّقشِ في الحَجْر(*)

وذلك لأنّ صِغار السِّن يَتميّزون بحافظةٍ نشطة وتلقين المعلومات لهم أيسر بكثرٍ من تلقين المعلومات لِلكِبار في السِّن.

وهناكَ الأمثال التّي اتخذت صفة التّفكه والمزاح، ولكنّها في نفس الوقت تَحملُ مغزى تربوياً هادفاً، ومِثلُ ذَلِكَ قولُهم:

حُجّة البليد مَسحُ السّبورة(*)

ومعنى ذَلِكَ أنّهُ قد يَظهرُ بين الطُّلاب من لم يستطع الإجابة أو فهم ما أوكل إليه من قِبَلِ مُعلِّمه من واجبات ونحوه فيقوم بدلاً عن ذلك ببعض الأعمال التي يعتقد بأنّها كافية لإرضاء مُعلِّمه مثل مُسارعته إلى مسح السبّورة وتنظيفها من

---

(١) محمد صادق دياب، ص ١٨.

(*) من الأمثال المتداولة.

(*) من الأمثال المتداولة.

الطباشير. ويُضرب المثل لِكُلِّ عاجزٍ وكسول لا يستطيع أداء واجِبِهِ فيقوم بأقلِّ الأعمال التي لا تُساوي ما كُلِّفَ به من مسئوليّة. ويحث المثل على عدم اتباع مثل هذه الطّريقة تفادياً عن أداء الواجب.

وهُناكَ بعض الأمثال التي تَحُثُّ على الاستفادة والتعلّم من التّجارب والأخطاء التي يَمرُّ بها الإنسان في حياته. ويقول العرب في ذلك:

كُلُّ دَقَّةٍ بتعليمة

وكذلك:

الفشلُ أساس النّجاح(*)

وتُضرب هذه الأمثال للإنسان يستفيد من التّجارب المؤلمة ومواقِفِ الفشل لكي لا يتكرّر حدّوث مثلها في المستقبل.

ولأهميّة التّعليم وتشجيع النّاس له وخشية الإخفاق، تداولَ النّاسُ المثل القائل:

عِند الامتحان يُكرمُ المرءُ أو يُهان(١)

وهذا المثل الدّارج لا ينحصر فقط على مهنة التعليم بل ينطبق على كُلِّ عملٍ يُعتبر المرءُ مسئولاً عن تأديته وإنجازه. والمثل يوضّح أنّ نتائج أي عمل دائماً مقرونة بالإخلاص والوفاء في تأديته من عدمها.

وأمّا المثل القائل:

حُطَّ الحمار جنب الفرس إمّا علم ولاّ درس(*)

فهو يتّفق مع قولهم:

يُعْرَفُ المرءُ من قرينه

(*) من الأمثال المتداولة.

(١) من الأمثال المتداولة.

(*) من الأمثال المتداولة.

والقرين هو الصّاحب، والمقصود أنّ المرء يتأثر بجليسهِ، فإن كان صالحاً أصبح مع مرور الزّمن مثله والعكس بالعكس. والمثلُ يُحذّر عن مجالسة صاحب السّوء والاقتران به ويَحثُّ في نفسِ الوقت على مجالسةِ ذوي الفضيلة واقتباس منهجهم في الحياةِ بدلاً من الصّنف الآخر.

وكما يقول المثل: الاعتراف بالحق فضيلة، يجب أن لا يضع المرء نفسه في مواقف أكبرَ من حجمهِ، فلا يدّعي ما ليس له عِلم به ولا يجعل نفسه العالم بكلِّ شيء. ومن يدّعي العِلمَ وهو غير ذلك يقول العربُ فيه:

كالحادي وليس له بعير(1)

أو:

فاقد الشيء لا يعطيه

وأعظم من ذلك أنّ هذه النوعيّة من النّاس لا يقتصر خَطرُهم على أنفسهم بل على أتباعهم على اعتبار أنّ لِكُلِّ عالم أتباعاً ويخشى أتّباعه والاقتداء به. ويقول المثلُ في ذلك:

إذا زلّ العالِم زلّ بزلتهِ عالَم(2)

ويقول الشّاعر في ذلك:

إنّ الفقيه إذا غوى وأطاعه ... قومٌ غووا معه فضاعَ وضيّعا
مِثل السفينة إن هوت في لُجّةٍ ... تَغرقُ ويغرقُ كلُّ ما فيها معا

---

(1) ابن سلام، ص ٢٠٨.
(2) ابن سلام، ص ٢٠٧.

١٤- اتقاء الشرّ

اتقاء الشرّ عمل واجب على كّلِ إنسان لأنّ في تجنبّه وقاية وحماية من المفاسد والآثام سواءٌ بالنّسبةِ للفرد أو الجماعة. ومن لا يحذر الشرّ في ما يقوم به من أعمال فغالباً ما تكون النتائج ضارّة وسلبيّة. ويقول الله تعالى حثّاً للمسلمين على تجنّب أعمال الشّر: ﴿ولا تُلقوا بأيديكم إلى التّهلكةِ﴾(١). ويقول تعالى في سورة الفلق: ﴿قل أعوذ بربّ الفلق، من شرّ ما خلق، ومن شرّ غاسقٍ إذا وقب، ومن شّرِ النّفاثات في العقد، ومن شّرِ حاسدٍ إذا حسد﴾(٢). وفي حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم عن الصّدقات قال: تُمْسِك عن الشّر فإنها صدقة(٣).

ولخشيةِ النّاس من الشرِ وما يتبعه تداولوا الأمثال التّي تُعطي مُؤشرات كثيرة تَحثُّ الفرد على الابتعاد بقدرِ الإمكان عن الطّرق التي تُؤدّي بهم إلى عمل الشّر والوقوع في مآزقه، وتحثهم على التّفكير السّليم في كلّ عملٍ يجب أنْ يقوموا به. وقالوا في ذلك:

إتّق شرّ من أحسنت إليه

والمقصود أنّ الحسنة أحياناً تكون نتيجتها سيّئة على صاحبها وذلك إذا قُدِّمَتْ إلى من لا يَستَحِقُّها.

ومن يُقْدِمْ على عملٍ بدون تفكير وحذر فإنّ نتيجة عمله سلبيّة ولا تفي

(١) سورة البقرة، آية رقم ١٩٥.
(٢) سورة الفلق.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ ٧، ص ٩٤.

بمطلبه، وفي ذلك يقول المثل:

من لا يقيس قبل الغطيس يغرق(*)

والمقصود بالقياس هو الأخذ في الحسبان عُمقُ المسافة التي سَيَنْـزِلُ إليها في الماء حتى لا يمضي قُدُماً إلى مكانٍ عميق لا يستطيع النَّجاةَ منه. ومعنى المثل أنّ التّفكير في العواقب واتقاء شرّها أمرٌ ضروري قبل البدء في أي أمر من الأمور حيث لا ينفع النّدم بعد وقوع ما يُكْرَهْ.

ويتّفق مع المثل السابق قولهم بالعاميّة:

من حَسّب سلم

أو:

من توقّع سلم(*)

وتوقّع يعني تريّث وتأنّ في اتخاذ القرار نحو عمل مّا، والمثلُ يحثُ على ضرورةِ أخذ الحيطة والحذر ودراسة التّوقعات المحتملة قبل الشّروع في أي عمل. ويقول الشّاعر في مثل ذلك:

قدّر لرجلك قبل الخطو موضِعَها   فمن علا زلقاً عن غِرّةٍ زلقا(1)

وإذا وقع المرء في الشرّ أو الخطأ فذلك يعني أنّ من الواجب عليه أن لا يتكرّر حدوث ذلك مرّةً أخرى خاصةً وأنّهُ يعلمُ مُسبباته ونتائجه، ومن الأمثال التي لا تزال حيّة ومتداولة في ذلك قولهم:

مَنْ معهُ قلب وكلوتين ما تمضي عليه مرتين(**)

وَرُويَ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال:

(*) من الأمثال المتداولة.

(*) من الأمثال المتداولة.

(1) محمد صابر دياب، ص ٩٧. وفي رواية: زلجا ـ بالجيم.

(**) من الأمثال المتداولة.

لا يَلدغ المرء من حُجرٍ واحد مرّتين[1]. وهذا ما قالـه صلى الله عليـه وسلم لأبي عزّة الشاعر عندما أسَرَهُ يوم بدر ثمّ منّ عليـه فأتـاه يوم أحـد فأسـرَهُ فقال: مُنَّ عليَّ، فقال عليه السّلام: لا يُلدغ المـرء من جُحرٍ واحـد مرّتـين. ، أي لو كُنت مؤمناً لما عاودت قتالنا، وأصبح هذا الحديث مَضربَ الأمثال لمن يكـذب في المرّة الأولى فيصدّقونه ويعتقد بأنّه سيكون عند حسن الظّن إذا كذب مرّة ثانية.

وقد يتكرّر الوقوع في الشّر عندما لا يقوم المرء باتقاء مصدره، والمثل العـامي في ذلك يقول: الباب الّذي يجي منه ريح سُدَّهُ واستريح[2]

والمقصود أن يتجنّب المرء موطن السّوء الذي سبق وأن سَبَّبَ له الاشكـال أو الإساءة.

ومن شِدَّةِ بُغض النّاس في الشرّ والوقوع فيـه، فقد يتعمـد المرء رفض الشيء الحَسنْ الذي قد يَصْحَبُه أذى، فقالوا:

يا نحله لا عسلك ولا قذلك

أو:

لا تَقرصِيني يا نخلة ولا أبغي لَكِ عَسلْ[3]

ويُضرب هذا المثل عندما يتنازل المرء عن الفائدة في مقابل دفع الضّرر.

ومن المعـروف أنّ الإنسان العـاقل يُحاول دائماً الابتعـاد عن مواطن الشّر مـا استطاع حتى يكون في مأمنٍ من الشر وذويه، ويقول المثل العربي في ذلك:

إبعد عن الشّرِ وغَنّي له[4]

وأصل المثل: إبعـد عن الشرّ وقنّي له، وقني مُشتق من القنـاية، وهي القنـاة للماء. وقصة هذا المثل أنّه قيل لشخصٍ تباعد عن الشر واجعل بينك وبينه قناة

---

(١) صحيح البخاري، جـ ٤، ص ٧٠.
(٢) محمد صابر دياب ص ٩٧ / السباعي ص ١٩.
(٣) محمد صابر دياب، ص ٩٨.
(٤) محمد صابر دياب، ص ٩٨/ تيمور ص ٢٨٥.

من الماء تحول بينكما، فقال: لا أفعل ذلك فقط بل أَغنّي له أيضاً حتى يَمُرُّ بسلام. ويُضرب المثل للحث على الابتعاد عن الشر بكلِّ الوسائل. وقد يعني المثل أَنْ يلزم الإنسان حدود نفسه في تَعامُلِهِ مع غيره فلا يتدخّل فيما لا يعنيه لكي لا يتعرض لما يُسيئه أو يُغضبه، والمثَلُ الذي يحث على تفضيل العزلة في بعض المواقف يقول:

خلّيك في عُشّك ما حد يَنُشّك[1]

ويتّفق مع المثل السّابق قولهم:

من تعرّض في ما لا يعنيه لقي ما لا يُرضيه[*]

ولكنّ الحذر من الشّر قد لا ينفع مع القدر مهما حاول الإنسان الابتعاد عن الشّر وأسبابه، وفي الحديث الشّريف أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: لن ينفع حذر من قدر[2]، فذهب قولته صلّى الله عليه وسلّم مثلاً. والشّاعر يقول:

أيَن يفِرُّ المرء من أمرٍ قُدِر هيهات لا يَنفعُهُ طولُ الحذر[3]

أمّا قول العرب:

الحذُر أشدُّ من الوقيعةِ[4]

فالمقصود به أنّ إتقاء الشّر والحذر منه أمرٌ صعب وأشدّ ألماً من الوقوع في المحذور لأنه إذا وقع فيه عَلِمَ أنَّهُ لا ينفع الحذر بعد ذلك.

والكثير من النّاسِ اتخذوا من المثل القائل:

الوقاية خيرٌ من العلاج[5]

---

(١) السباعي ص ٢٩.

(*) من الأمثال المتداولة- ومثله [من تدخل فيها لا يعْنيه سَمِع ما لا يُرضيه].

(٢) مسند أحمد بن حنبل، جـ ٥، ص ٢٣٤.

(٣) تيمور، ص ١٠٥.

(٤) الميداني، جـ ١، ص ٣٧٤.

(٥) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٣، ص ٢٠٧.

شعاراً لهم في الابتعاد عن الشّر بمختلف نوعياته وذلك تفادياً من الوقوع فيه وحذراً من الأمورِ التي قد لا يُفيد فيها العلاج إذا وقع المرء فيها. فوقوع الإنسان في المأزق لا ينفع فيه معالجة الأسباب ولا يستطيع المرء أن يعمل أكثر من قولهم:

إذا وقعت يا فصيح لا تصيح [1]

لأنه لا ينفع النّدم ولا تنفع الحيلة في الأمر إذا وقع وانتهى حدوثه. وهذا المثل قديم ومتداول حتى اليوم في سائر أنحاء العالم العربي.

---

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ ١، ص ١٣٦.

الفصل الثاني

الأمثال في الصفات السلبية

الحماقة - البخل - الحسد - الغيبة - النميمة
السرقة - الكبر - الاعجاب بالنفس - الجبن
الغدر والخيانة - الظلم وسوء عواقبه - ردود
الفعل السلبيَة - التسرع في الأمور - نقد الغيَر
وتجاهل الذات - إضمار السوء للغير - التدخل
في شؤون الآخرين - الحربُ

١- الحماقة

الحماقة أو الحمق من الأمور التي انتشرت بين الناس واتصف الكثير بهذه الصّفة غير المحمودة. ويقول ابن الأعرابي في الحماقة بأنها مأخوذة من حمقت السوق إذاً كسدت فكأنه كاسد العقل والرأي فلا يشاور ولا يُلتفت إليه في أمر من الأمور. والحمق في الواقع غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو في نفس الوقت داء دواؤه الموت. ويقول الشاعر في ذلك:

لكلِّ داء دواء يُستطبُّ به ... إلاّ الحماقَةُ أعيت من يُداويها[1]

والحمق مذموم ووصف العرب الأحمق بأنه ذلك الذي لا ينظر في العواقب ويثق بمن لا يعرفه ويكثر كلامه وخلوه من العلم والتزامه التسرّع في الأحكام. وقالوا في الأحمق بأنه إذا استغنى بطر، وإن افتقر قَنط، وإن قال أفحش وإن سُئل بخَل وإن سأل ألح، وإن قال لم يحسن، وإن قيل له لم يفقه، وإن ضحك قهقه، وإن بكى صرخ. ويقول عيسى عليه السلام: عالجت الأبرص والأكمه فأبرأتهما وعالجت الأحمق فأعياني[2]. وقيل بأنّ أحد الحكماء نظر مرة الى أحمق فقال:

حَجَرٌ على حَجَرْ[3]

أي أنّ الأحمق مثل الحجر الذي هو جالس عليه لالتزامه الصّفات غير المستحبة مثل الجمود الذي لا يفيد شيئاً.

---

(١) الهاشمي، جـ٢، ص ٤٨٨.

(٢) الأشبيهي، ص ١٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧.

وقالوا في الأحمق:

ذو حمقٍ وافر وعقلٍ نَافِر

أي ليس معه من الرّشد إلا القليل. ولذلك عندما يتصرّف الإنسان تصرُّف الأحمق ترى كل من حوله يُطلقون عليه الأمثال على غرار من كانوا مشهورين بالحمق وقِلّة الرّشد. فيقولون مثلاً:

أحمقُ من جُحا [1]

وجحا كما تذكر المصادر من قبيلة فزارة وكان من حُمقهِ أنّه دفَنَ دراهم في الصحراء وجعل علامتها سحلية تظللها، وقيل بأنّه عندما تُوفي أبوه قيل له اذهب فاشترِ الكفن، فقال: أخاف أنْ أشتغل بشراءِ الكفن فتفوتني الصّلاة عليه [2].

وقال العرب:

أَحمقُ من ربيعةَ البَكّاء

وهو ربيعة بن عامر بن ربيعة بن صعصعة، دخل على امه وهي تحت زوجها فبكى وصاح وقال: إنه يقتل أمي، فقالوا: «أهوَنُ مقتولٍ أمٌّ تحت زوج» فذهبت مثلاً ولُقِبَ بالبكّاءِ [3].

وقالوا كذلك:

أحمقُ من عِجلٍ

وهو ابن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، ومن حُمقه أنّه قيل له ما سمّيت فرسك هذا؟ فقام إليه وفقأ إحدى عينيه، وقال: سمّيته الأعور، فقال العنزيّ:

رمتني بنو عِجلٍ بداء أبيهم ... وأي امرىء في النّاسِ أحمقُ من عجلٍ

---

(1) العسكري، جمهرة الأمثال، جـ ١، ص ٣٨٧.

(2) العسكري، جمهرة الأمثال، جـ ١، ص ٣٨٩.

(3) المصدر السابق، ص ٣٨٩.

أليس أبوهم عار عينَ جوادهِ		فصارت به الأمثال تُضرب في الجهلِ

وقالوا:

أحمق من نَعجةٍ على حوض

وذلك لأن النّعجة إذا أرادت الماء انكبت عليه تشربه، ولا تنتهي عنه حتى تُزجر. وقالوا كذلك:

أحمقُ من نعامة

لأنّ النعامة إذا مرت على بيض غيرها حضنته ونسيت بيضها، وقال فيها ابن هرمة:

كتاركة بيضها بالعراءِ		وملبسة بيض أُخرى جناحا[2]

وممن يتصف بالحمق غالباً ما يصفه العرب بالتّائه، والتّيه هو الضياع وعدم المعرفة فيقال تاه أي ضل، ومّما تداوله العرب في مثل ذلك قولهم:

أتيه من أحمق ثقيف

ومعنى ذلك أنّه أكثر في إساءة التصرّف من أحمق ثقيف، وأحمق ثقيف هو يوسف بن عمر وكان أمير العراقيين من قبل هشام بن عبد الملك وكان أحمق عربي في الأوامر والنّواهي، ومن حُمقِه أن حجّاما كان يحجمه فلما أراد أن يشرطه ارتعدت يده فأحس بذلك يوسف، وكان حاجبه قائماً على رأسه، فقال له: قل لهذا البائس لا تخف ـ يقصد بالبائس ـ. وكان من شدّةِ حماقته أن خيّاطه إذا قال بأن ثوبه قصير ويحتاج إلى زيادة أكرمه وإذا قال بأن ثوبه يحتاج إلى نقص أهانه لأنه قصير القامة[3].

ومن الأمثال العَاميّة في وصف الأحمق قولهم:

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٩٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٩٢.

(٣) الميداني، مجمع الأمثال، جـ١، ص ٢٦٣.

الأحمقُ يَنصحُ في الوقتِ الضائع(*)

ومعناه واضح وهو دليل كافٍ على الحماقة ووضع الشّيء في غير موضعه.

(*) من الأمثال المتداولة.

٢- البخل

البخل من الصفات المتعارف عليها بين الناس بأنّها صفة مذمومة، ولما كان الكثير من البشر يتّصفون بهذه الصّفة فقد تداول الناس الأمثال فيها ذما واستنكاراً وأصبح من يتّصف بالبخل يُضرب به المثل تشهيراً به.

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن هذه الصّفة المذمومة في مواضع مختلفة في كتابه الكريم. قال تعالى: ﴿الذين يبخلون ويأمرون النّاس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾[١]. وقال تعالى: ﴿وأمّا من بَخِل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى﴾[٢]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «واتقوا الشّح فإن الشّح أهلك من كان قبلكم»[٣]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اللّهم إنّي أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وغلبة الدّين وقهر الرّجال[٤]. وعن أخت عمر ابن عبد العزيز قالت: إنّ البُخل لو كان قميصاً ما لبسته أو كان طريقاً ما سلكته. وقيل بأنّ بُخلاء العرب أربعة: الحطيئة وحُميد الأرقط، وأبو الأسود الدؤلي وخالد بن صفوان. فأمّا الحطيئة فمرّ به إنسان وهو على بابِ دار. وبيده عصاً، فقال: أنا أضيف فأشار إلى العصا وقال: لكعاب الضيفان أعددتها. وأمّا حُميد الأرقط فكان هجّاءً للضيفان فحّاشاً عليهم، نزل به مرّة ضيوف فأطعمهم تمراً وهجاهم. وأمّا أبو الأسود الدؤلي فتصدّق على سائل بتمرة وقال له جعل الله نصيبك من الجنّة مثلها، وكان يقول: لو أطعمنا المساكين في أموالنا

(١) سورة النساء، آية رقم ٣٧.

(٢) سورة الليل، آية ١٠/٩/٨.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ ٢، ص ١٦.

(٤) صحيح البخاري بحاشية السندي، جـ ٢، ص ١٥٢. صحيح مسلم، جـ ١٦، ص ١٣٤

كُنّا أسوأ حالاً منهم. وأمّا خالد بن صفوان فكان يقول للدّرهم إذا دخل عليه: لأطيلنّ حبسك ثُمّ يطرحه في الصندوق ويقفلُ عليه[1].

ولذلك تعارف النّاس بأنّ البخيل سوف لا يحصل منه أي فائدة لغيرة أو مساعدة، وعندما يُذكر البخيل في مجلس مّا يقالُ عنه:

سواءٌ هو والعدم

أي كأن وجوده والعدم سواء فلا يمكن توقّع شيء من ورائه. وقال الأصمعي في ذلك: ما يَبضّ حجره[2]

والبضّ أدنى ما يكون من السّيلان، أي لا يمكن خروج شيء من الحجر. ومن الأمثال كذلك في نعت البخيل قولهم:

أبخلُ من ضوءِ الشّتاء[3]

لأن الناس في الشّتاءِ يتطلبون الدفء... ويقولون النّار فاكهة الشتاء، فهم يريدون منها حرارة أكثر من المعتاد ولكنها لا تعطيهم إلا المعتاد، وقد لا تُعطيهم في بعض الأحيان إلا أقلّ من المعتاد بسبب رطوبة الحطب أو شدّة برودة الجوّ التي تُذهب الكثير من الحرارة. والإنسان في كثير من الأحيان إذا احتاج شيئاً تعذّر عليه إمّا كلّه أو بعضه، ولذلك يضرب هذا المثل لمن تريد منه الكثير فلا يعطيك إلا القليل أو لا شيء. ومن جنس هذا المثل قال العرب:

ما تَبُل إحدى يديه الأخرى

وربّما كان البخيل فقيراً وذلك مما يُهوّن الأمر، ولكنّ الأهم من ذلك إذا كان البخيل من ذوي السّعة في المال، وفي مثل هذه الحالة قالوا:

رُبّ صلف تحت الرّاعدة

---

(١) الأبشيهي، جـ ١، ص ١٧١.
(٢) ابن سلام، ص ٣٠٧.
(٣) عبد الكريم الجهيمان، جـ ١، ص ١٨.

ويَضرب هـذا المثـل في البخيـل إذا كـان ذا سعـة في الـرزق والـرّاعـدة هي السّحابة ذات الرعد والصلف قِلّة النزل والخير، فهذا على كثرة ما عنده من المنع كتلك السحابة الكثيرة الماء ولكنها لا تجود بالغيث[1].

وأكثر عجباً أن يمنع البخيل ما له وينصحُ غيره ويأمره بالبخلِ كـذلك، ومن الأمثال في ذلك قولهم:

الحُرّ يعطي والعبد يألم قلبه[2]

ومعنى ذلك أن البخيل يتألم إذا رأى غيره يجود بماله، وضُرب المثل قياساً على لعبد الذي لا يجود ويَشقُّ عليه جودة الحُرّ، وهذا أبعد غايات البخل.

وقد يحدث أن يجود البخيل على نفسه ولكنّه يمنع الناس من مالـه، ومما قـالوه في ذلك:

يا مُهدي المال كُل ما أهديت

أو:

سمنكم في أديمكم

وإذا وافت المنيّة البخيل يقول الناس غالباً بعد موته:

مات فلان ببطنته لم يتفضفض منها شيء[3]

أي لم ينقص من مـاله شيء نـظراً لبخله. ومثل آخـر في مثـل هـذه الحـالـة يقول:

مات فلان وهو عريض البِطان[4]

أي أنّ ماله كثير لم يتعرض لـلإنفاق لِبُخـل صاحبـه، والبطان للبعـير بمنزلـه الحزام للفرس، وعرضه كناية عن انتفاخ بطنه وسعته.

---

(١) العسكري، جمهرة الأمثال، جـ ١، ص ٤٨٧.

(٢) العسكري، جمهرة الأمثال، جـ ١، ص ٣٥٩.

(٣) ابن سلام، ص ٣١٤.

(٤) ابن سلام، ص ٣١٤،

وهناك بعض الأمثال التي تجعل البخيل يَفقدُ بها صفة الرّجولة، منها:

البخل عدوّ المرجلة [1]

والمقصود بالمرجلة الرّجولة، ومن صفات الرّجولة الكرم والشّجاعة ولذلك يرى العرب أنّ البخيل لا يتّصف بالرّجولة. وأيضاً يرى العرب أنّ البخيل لا يتحقق له الفوز والتطوّر، فقالوا في ذلك:

البخلُ منّاع من الظُّفر[2]

ومعناه أنّ البخل يمنع صاحبه من النّجاح وكسب الثّناء وثقة الآخرين والوصول إلى المجد، لأنّ كثرة الحرص على المال يُفوّت عليه الفرص والنّجاح. ويوافق المثل السّابق قولهم:

البخلُ مُوصٍ، بالهلاك

أي أنّ النتيجة لشدّةِ البخُل هي هلاك الإنسان، وفي ذلك يقول الشاعر:

وهبني جمعت المال ثُمّ خزنته ... وحانت وفاتي هل أُزاد به عمرا
إذا خزن المال البخيل فإنّه ... سيورثه غمّا ويعقبه وزرا[3]

أمّا قولهم:

البخيلُ يأكلُ ماله العدوّ

فمعناه أنّ البخيل يحرص على جمع المال وتوفيره ويحرم نفسه وأهله من التمتع به، وإذا مات انتقل ماله إلى غيره ورُبّما إلى من كان عدّواً له.

وقيل في ذلك:

تقتير المرءِ على نفسهِ توفير منهُ على غيره

أو:

---

(١) عبد الله آل نوري، الأمثال الدارجة في الكويت، ص ٨١.

(٢) الأكوع، الأمثال اليمانية، ٢٨٢.

(٣) الأبشيهي، جـ ١، ص ١٧١.

مال المشحاح يأكله المُرتاح

وقال في ذلك الأضبط بن قريع السّعدي:

قَـد يَجـمـعُ المـال غـيرُ آكـله ويـأكـلُ المـالَ غـير مـن جمعـه[1]

ويقول الشاعر كذلك:

يفنى البخيـل بجمَع المـال مـدتـه وللحـوادث والأيـام مـا يـدعُ
كـدودة القـز مـا تبنيـه يهـدمُها وغـيرهـا بـالـذي تبنيـه ينفـعُ[2]

(١) الأكوع، الأمثال اليمانية، ص ٢٨٤.
(٢) الهاشمي، جـ٢، ص ٤٨٠.

٣- الحسَد

الحسد يُعتبر من أذمّ وأحقر الصّفات في السلوك الإنساني. والواقع أنّ كُلّ مسلم يؤمن بالله ورسوله يجب أنْ لا يكون لهذه الصّفة مكان عنده. وطلب الله سبحانه وتعالى من عباده أنْ يستعيذوا من الحاسد في قوله تعالى: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾[١]. وقال تعالى: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله[٢]. ونهى رسول الله عن الحسد في قوله: لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا[٣]. وقال علي بن أبي طالب: الحاسد مُغتاظ على من لا ذنب له. وقيل: الحسود غضبان على القدر، ويقال ثلاثة لا يهنأ لصاحبها عيش: الحقد، والحسد، وسوء الخلق. وقال أعرابي: الحسد داء منصف يفعل في الحاسدِ أكثر من فعله في المحسود. وقال الفقيه أبو اللّيث السمرقندي رحمه الله: يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حَسَدَهُ إلى المحسود: أولها غمّ لا ينقطع وثانيها مُصيبة لا يؤجر عليها وثالثها مَذّمةٌ لا يُحمد عليها ورابعها سُخطْ الرّب، وخامسها يُغلق عنه باب التّوفيق[٤].

وبما أنّ الحسد ظاهرة موجودة ومن الصّعب القول بعدم وجودها، فقد تداول النّاس الأمثال في ذلك معبرين عن مدى تأثرهم بسلبيّة هذه الظاهرة، ومما قالوه في ذلك:

أينما أوجّه ألقَ سعداً.[٥]

---

(١) سورة الفلق، آية رقم ٥.
(٢) سورة النساء، آية رقم ٥٤.
(٣) صحيح مسلم، جـ١٦، ص ١١٥.
(٤) الأبشيهي، جـ١، ٢١٣/٢١٤.
(٥) ابن سلام، ص ١٤٧.

ويقال بأن هذا المثل للأضبط بن قريع السعدي، وذلك أنه كان سيّد قومه فكان يرى منهم حسداً له وبغياً عليه، فرحل عنهم فنزل في آخرين فرآهم يفعلون بأشرافهم مثل ذلك. ثم رحل ونزل في غيرهم، فرأى مثل ذلك أيضاً فعندها قال:

أينَما أُوَجَّه ألَق سَعداً[1]. أي كل الناس مثل قومه في حسدهم ساداتهم.

وغالباً ما يكون الحسدُ بين ذوي القربى لأنهم أعرف بأحوال أنفسهم من رزق وسعة مال وجاه وما شابه ذلك. ولذلك كلّما ابتعدوا عن بعضهم كلما خفت حدة الحسد بينهم، وفي ذلك قال العرب:

فرّق بين مَعَدٍ تَحابا[2]

ومعد هي إحدى القبائل العربية القديمة ويحدث أنّ ابتعاد أفراد القبيلة عن بعضهم البعض سعياً في طلب العيش يُقوّي من أواصر المحبة والحنين أكثر مما لو كانوا مجتمعين، ويعني المثل بأنّ ذوي القرابة إذا ابتعدوا عن بعضهم البعض تكون محبتهم لبعضهم أكثر، أما إذا تدانوا فإنّهم غالباً ما يتباغضون ويتحاسدون.

وفي الحجاز خاصّة عند أبناء القبائلَ مثلٌ يُعبّر عن نفس المعنى بقولهم:

بَقر حَلي إذا تقاربت تناطحت وإذا تباعدت تناوحت(*)

وحلي هو وادٍ مشهور في قبيلة بني مالك يتميز بخصوبته ووفرة مياهه ويعيش فيه الكثير من الأبقار. وهذا المثل وإن كان يَصفُ نمط المعيشة للحيوان، فإنّه قد يجوز تطبيقه على بين الإنسان خاصّة اولئك الذين إذا فَرقَ الزمن بينهم تجدهم في حنين دائم للالتقاء ببعضهم البعض ولكنّهم في حالة الالتقاء والمعيشة سويا

---

(١) العسكري، جـ١، ٣٩.

(٢) العسكري جـ٢، ٩٩. ابن سلام، ١٤٨.

(*) من الأمثال المتداولة في جنوب المملكة العربية السعودية في قبائل ثقيف وبني مالك وزهران وبني الحارث.

يبدأ الحسدُ والكراهية يَدبّان في نفوسِهم.

ومن الأمثال الدّارجة في مثل هذه الأمور قولهم:

الحسدُ عند الجيران والبغض عند القرايب(١)

وغالباً ما يُضرب هذا المثل في تصوير نوعية العلاقة بين الجيران والأقارب. أما قولهم:

الأقارب عقارب(٢)

فيصور لنا مدى تأثير القريب في إلحاق الضرر بقريبه أو بمن هم حوله.

وظاهرة الحسد يكرهها كُلّ عاقل، وهي بالنّسبة للعرب عادة غير محبوبة حتى أنّهم عبّروا عن سلبية هذه الظاهرة في الكثير من أمثالهم. ومن هذه قولهم:

من حَسدكْ ما عَيّدك(*)

وهذا المثل يُعتبر دعاء على الحاسد، وكأنّ المثل يرجو بأن لا يحول الحول على الحاسِد ويأتي عيد من الأعياد وهو موجود.

والحاسدُ في العادة لا يجني ثمار حسده ولا يستفيد سوى السُّمعة السّيئة منها وانصراف الناس عنه. وقال المثل في ذلك:

الحسود لا يسود

ومعناه أنّ الحاسد سيكون هو الخاسر في النهاية، والمثل يُشجّع المحسود بأنّه هو الظافر وهو الذي سيفوز في نهاية المطاف وأنّ الحاسد هو الذي سيخسر الجولة. ويؤيد ذلك بيت الشّعر القائل:

---

(١) تيمور، الأمثال العامية، ص ١٠٨.

(٢) هاني العمد، الأمثال الشعبية الأردنية، ٢٠٣. محمد صادق دياب، ٢٦.

(*) من الأمثال المتداولة. وفي مصر يقولون: الأقارب كالعقارب فاجتنبهم.

إصبر على كيدِ الحسود فإن صبرك قاتله
النّار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله[1]

وفي هذا البيت شُبّه الحاسد بالنّارِ التي تلتهم بعضها البعض ليكون نتيجة ذلك الالتهام رماداً ليس له قيمة.

ويقول الشّاعر في الحاسد:

أيا حاسداً لي على نعمتي أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه لأنّك لم ترض لي ما وهب
فأخزاك ربي بأن زادني وسدّ عليك وجوه الطّلب[2]

وقال الأصمعي: رأيت أعرابياً قد بَلغَ عمره مائة وعشرين سنة، فقلت له: ما أطول عمرك؟ قال تركت الحسد فبقيت. وقالوا لا يخلو الإنسان من ودود يمدح وحسود يقدح، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ألا لا تعادوا نعم الله قيل ومن يُعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

ويقول الشاعر في ذم الحسد:

يا طالب العيش في أمن وفي دعة رغداً بلا قتر صفواً بلا رنق
خلص فؤادك من غلٍ ومن حسدٍ فالغلّ في القلب مثل الغلّ في العنقِ[3]

والشيء المؤسف أنّ الحسد قد يكون في غير محلّه وفي ما لا يجب أنْ يحسد عليه، والأمثال في ذلك كثيرة منها:

حسدتني جارتي على طول رجليّ

أو:

حسدتني حماتي على قصري أو طول عباتي

---

(١) الهاشمي، جـ٢، ص ٤٨٦.
(٢) الهاشمي، جـ٢، ص ٤٨٧.
(٣) الأبشيهي، جـ١، ص ٢١٥.

وكذلك:

حسدني البين على كبر شواربي[1]

ومن شدة استجهان العرب للحسد وبغضهم له جعلوا التفضيل للفاسد على الحاسد، والمثل في هذا يقول:

إسقي بلاد الفسدة ولا تسقي بلاد الحسدة[*]

والمثل وارد في معرض الدعاء، ومعناه أنَّ خطر المفسدين أهون من خطر الحاسدين لأن الفساد يُمكن إصلاحه بينما الحسد يصعب علاجه واتقاء شرِّه.

ومع كل ذلك فالحاسد هو الخسران في النهاية، وهو الذي سيجني ثمرة عمله، ويؤيد ذلك قول الشاعر:

دع الحسود وما يلقاه من كمدٍ ... يكفيك منه لهيبُ النار في كبده
إن لمت ذا حسد نفست كربته ... وإن سكتّ فقد عذبته بيده[2]

(١) تيمور، ١٠٨. / هاني العمد، الأمثال الشعبية الأردنية، ص ٢٠٣.

(*) من الأمثال المتداولة عند العامة.

(٢) الهاشمي، جـ ٢، ص ٤٨٦.

٤- الغيبة

الغيبة هي ذكر الإنسان بما يكره في حالة غيابه ولو بما فيه. وهذه العادة من أحقر وأذمّ الصّفات عند بني الإنسان. وبكل أسف إن هذه الظاهرة منتشرة في كلّ مكان ومستمّرة على مر الزمان ولا يسلم منها إلا القليل. ومع الأسف كذلك أن تأثير هذه العادة لم يقتصر على الإنسان نفسه بل شملت دينه وبدنه وعرضه وأسرته.

وموقف الإسلام من هذه العادة صريح وواضح فهو لا يُقرّها ويُندّد بمتّبعيها لخطرها على الفرد والمجتمع وتأثيرها السّلبي على المصلحة العامة في المجتمع الإسلامي. يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظّن إنّ بعض الظّن إثمٌ ولا تجسسّوا ولا يغتب بعضُكم بعضاً أيحُب أحدكم أنّ يأكلَ لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾[١]. وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما الغيبة قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذِكرُك أخاك بما يكره، قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته[٢].

ولانتشار ظاهرة الغيبة بين الناس وكثرة ما يلاحظ عليها من السلبيّات تداول الناس فيها الأمثال مُحاولين الحد منها أو على الأقل تخفيف مُؤثراتها. فقالوا فيمن يكثر الحديث مُغتابا غيره وهو على غير علم:

لا تهرف بما لا تعرف[٣]

(١) سورة الحجرات، آية رقم ١٢.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ ١٦، ص ١٤٢.
(٣) ابن سلام، ص ٦٧.

والهرف هو الإطناب في الحمد والثناء أو الذّم مع عدم معرفة المتحدث مدى صحّة ما يقوله عن الطرف الآخر. والمثلُ يحثّ على التأني والتخفيف من الحديث عن الآخرين بما لا دقّة في صحّته. وقريب من هذا المعنى يقول المثل الآخر:

رمى الكلامَ على عواهِنِهِ(١)

ويقال هذا المثل عند التسرّع في الحديثِ بدون تحقق وبدون النّظر إلى ما قد ينتج من ردود فعل سلبيّة أو إيجابيّة.

وقد تكون الغيبة شديدة التأثير حتى على المستمعين للطرف المتحدث مما يجعلهم ينتقدون بشدّة تلك الغيبة التي لا صحة لها. والمثل الذي تداوله الناس في مثل هذه الحالة قولهم:

رماه بثالثةِ الأثافي(٢)

وثالثة الأثافي هي قطعة الحجر الثالثة التي ينصب عليها القِدرْ، والمراد بالثالثة هنا رمز لكثرة القول مما يعطي المقولة تهويلاً عظيماً، وكأنّ المثل يصفُ القائل بأنّه ذكر ما يكره في غيره المرة الأولى والثانية وكانت الثالثة أعظمها وأمرَّها، والمقصود أنه رماه بالشر كله.

والغيبة العجيبة أن يعمد البعض إلى ذكر عيوب الآخرين غير مبالين بما هو فيهم من عيوبٍ رُبّما تفوق ما ذكروه عن غيرهم. ولتجنب هذه الطريقة قال العرب في أمثالهم:

كيف تُبصر القذاةَ في عينِ أخيك وتدعُ الجذع المعترض في حلقِك(٣)

ويقول الشاعر في ذلك:

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال، جـ٢، ص ٦١.

(٢) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، جـ٢، ص ١٠٢. العسكري، جـ١، ص ٤٧٨.

(٣) الميداني، جـ٣، ص ٤٤. ابن سلام، ص ٧٤.

فإني أرى في عينك الجذع معرضاً وتعجب إن أبصرتَ في عيني القذا[1]

ويقول المثل العامي:

الجمل ما يشوف سنامه

أو:

الجمل ما يشوف رقبته(*)

وذلك لأن رقبة الجمل عوجاء والجمل باستطاعته رؤية الأشياء المستقيمة والمعوجّة، ولكنه لا يستطيع رؤية رقبته. والمثل يضرب لمن يهتم بعيوب الناس ويرى عدم استقامة فلان من الناس متجاهلاً حقيقته وأنه أكثر انحرافاً واعوجاجاً منه. ويقول الشاعر في مثل أولئك:

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى وحظُّك موفورٌ وعِرضكَ صينُ
لسانَكَ لا تذكُر به عورة امرىء فكلك عورات وللناس ألسنُ
وعينك إن أبدت إليك معايباً فصنها وقل يا عين للناس أعينُ

وقال معاوية بن قرة: أفضل الناس عند الله أسلمهم صدراً وأقلهم غيبة وقال الأحنف فيّ خصلتان: لا أغتاب جليسي إذا غاب عنّي ولا أدخلُ في أمر قومٍ لا يدخلونني فيه. وقيل للرّبيع بن خيثم: ما نراك تعيب أحداً فقال: لستَ عن نفسي راضياً فأتفرغ لذمّ الناس وأنشد:

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها لنفسي من نفسي عن النّاس شاغل[2]

وللحثّ على تجنب الغيبة لكون الإنسان قادراً على ذلك إذا أراد وباستطاعته معرفة مدى صحّة أقواله في الآخرين من عدم ذلك قالوا:

اللّسانُ مركبٌ ذَلُولْ[3]

---

(١) الزمخشري، جـ ٢، ص ٢٣٦.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٢) الأبشيهي، جـ ١، ص ٨٣.

(٣) الميداني، جـ ٣، ص ١٠٦.

وذلك لأن اللّسان مُستخدم بواسطة الإنسان الذي يستطيع التّحكم في أقواله وأفعاله ويقدر على قولِ الخير والشّر، وشُبّه اللّسان بالمركب الذلول أي المستضعف لصاحبه، فيجب على الإنسان أنْ يتحكّم في لسانه بأن لا يُعوّده القول السيء في غيره وفي ما يُؤدي إلى الإضرار بالناس.

أمّا قولهم:

عويل ولسان طويل[1]

فيضرب للشخص كثير الأقوال والغيبة في الناس قليل الأفعال الصادقة مع نفسه.

وهناك بعض الأمثال التي تصف لسان صاحب الغيبة بصفاتٍ حقيرة ومنبوذة، وذلك مثل قولهم:

لسانه مطرق

أو:

اللّسان كلبٌ عقور[2]

وتضرب هذه الأمثال لذوي الألسن التي لا تُؤمن لدغاتها وجرح أعراض النّاس بواسطتها.

وإذا لم تتميّز القلوب بصفاء النيّة وطهارتها فإن ذلك يظهر على الألسن، ويقول المثل في ذلك:

غش القلوب يظهر في فلتات الألسن[3]

---

(١) محمد صادق دياب، نماذج مختارة من الأمثال العامية، ١٠٤.
(٢) عبد الكريم الجهيمان، جـ٢، ص ٣٤٦/٣٤٧.
(٣) عبد الكريم الجهيمان، جـ٢، ص ٣٤٦/٣٤٧.

٥- النـميمة

النّميمة: هي الوشاية بين النّاس بقصد الإفساد والإيقاع بينهم والذي يعرف بانتحاله هذه الصفة تجده في الغالب منبوذاً في مجتمعه مكروهامن الجميع. يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ولا تُطِعْ كُلّ حلافٍ مهين همّازٍ مشاءٍ بنميم﴾[١]. صدق الله العظيم. وفي حديث عن عبد الله بن مسعود قال: أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم قال: ألا أنبئكم ما العضة هي النميمة القالة بين الناس[٢]. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال: إنّهما لَيُعذّبان وما يُعذّبان في كبير، أمّا أحدهما فكان لا يستبرىء من البول وأمّا الآخر فكان يمشي بالنّميمة[٣]. وقال صلى الله عليه وسلم: إنّ من شرّ الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه[٤]. وقال الحسن البصري: النّمام هو الذي يغمز بأخيه في المجلس[٥].

من ذلك تداول الناس الأمثال في وصف النمام وذم تصرّفاته وأثر أعماله في إشعال نار الفتنة بين الناس، فقالوا:

أنمّ من الصّبح

وذلك لأنّ الصبح يكشف عن كل شيء كان خلال اللّيل مستورا، وشُبّه النمام بالصّبح قياساً على ذلك. أمّا قولهم:

أنمّ من زجاجةٍ على ما فيها

---

(١) سورة القلم، آية رقم ١١.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ١٦، ص ١٥٩.

(٣) صحيح البخاري، جـ١، ص ٥٢.

(٤) صحيح مسلم، جـ١٦. ص ١٥٦.

(٥) الأبشيهي، جـ١، ص ٨٤.

فذلك على اعتبار أنّ الزّجاج جوهر شفاف لا يكتم ما فيه لأن باستطاعة الفرد رُؤية ما في داخله، وشُبّه ذلك النّمام الذي لا يتستر على شيء.

والنّميمة غالباً ما تكون نتائجها وخيمة وتؤدي إلى إيقاع الناس في العداوة والبغضاء والمنافسة الغير محمودة، وفي ''' يقول المثل:

النّميمة أرثَةُ العداوة(١)

وَالأُرثة والإراثُ: إسم لما تُوَرّت به النّار، أي النميمة وقود نار العداوة. ومن بُغض المجتمع في من يتصف بهذه الصّفة فإنّهم دائماً يحاولون الابتعاد عنه ويحاولون دائماً أنّ لا يتحدثون على مسمع من هذه النوعية من الناس. والسّبب في ذلك واضح، ذلك بأنهم سيقومون بنقل الحديث إلى الغير بقصد إشعال الفتنة. والمتتبع للأمثال العاميّة سيجدُ ما يَعكِسُ فلسفة المجتمع عندما يكون الواشي أو النّمام في حضرتهم، فقالوا:

الحيطان لها آذان(*)

وذلك تحذير للمتحدّث أو المتحدثين فيما بينهم بأن هناك من يتحين الفرص لنقل الأخبار إلى أماكن أخرى بقصد الفتنة. ومثل ذلك قولهم:

الحمام يلقط الحبّ(*)

وهذا المثل ينطبق على النّمّام الموجود بين مجموعة من الناس أو على صغارِ السّن الذين عادةً ما يُفضّلون التصنّت لأحاديث أفراد الأسرة ونقلها أو الاقتباس منها في أعمالهم تقليداً للكبار.

وللتأثير القويّ في نقلِ الكلام من فردٍ إلى آخر أو من فئةٍ إلى أخرى قال النّاس بالمثل القائل:

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال، جـ٣، ص ٣٩٤.

(*) من الأمثال المتداولة.

(*) من الأمثال المتداولة.

طعن اللِّسان كوخز السِّنَانِ[1]

وذلك لأن اللِّسان عندما يطعن يكون تأثيره في القلب أكثر، فهو أعمق أثراً من السِّنان التي قد تصل فقط إلى الجلد واللّحم. والمقصود بالمثل أنّ تأثير النّميمة قد يكون عميقاً جداً وينتج عنه أثار سلبية، وهو يمضي بين الناس كالسِّلاح الفتاك.

وغالباً ما يفقدُ النّمام أصدقاءه إذا ما أصبح معروفاً لديهم بأن النّميمة من طبعهِ. وفي ذلك قال العربَ:

عضّ لِسانك وكلّ الناس خلاّنك(*)

ويُضربُ المثلُ في الحثِّ على عدمِ مُمارسة النّميمة وإمساك اللّسان عن مسبّه النّاس وإشاعة السّوء والفتنة فيما بينهم.

أمّا قولهم:

من نمّ لك نمّ بك[2]

فمعناه أنّ من يأتيك بكلام من عند غيرك فهو بلا شك سيقوم بنفس الدّور ونقل كلامك إلى غيرك لأن تلك عادة مستحكمة في النمام. وهذا المثل يضرب لتجنب مثل هؤلاء وعدم السماع لأقوالهم في الآخرين.

ومن النّميمة السيئة إشاعة عيوب الناس وإعلان نقائصهم؛ وفي ذلك قالوا:

مَنْ عَيّبَ أبتُلِيَ

ومعناه في الشّعر العربي:

لا تهتكن من مساوي النّاس مُستتراً
فيهتك الله ستراً من مساويكا

---

(1) الميداني، جـ ٢، ص ٢٨٨.

(*) من الأمثال المتداولة. ومنها «من نمّ لك نمّ عليك».

(2) عبد الله آل نوري، الأمثال الدارجة في الكويت، ص ٣٥٣.

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكروا
ولا تَعِبْ أحداً منهم بما فيكا[1]

وقال الأعشى:

ومن يُطع الواشين لا يتركوا له   صديقاً وإن كان الحبيب المقرّبا

وإذا أدركَ النّاس مَساوىء النّميمية ونتائجها السّلبية على كلا الطرفين المنقول عنه والمنقول إليه فإنّ باستطاعتهم عدم الوقوع في حبائلها. وقصّة طريفة تُعطينا الدّليل على ذلك: قيل كان بين حاتم طيء وأوس حارثة من المحبّة واللّطف الشّيء الكثير، فقال النّعمان بن المُنذر لجلسائه: والله لأفسدّن بينهما، قالوا: لا تقدر على ذلك، قال: بلى فقلّما جرت الرّجال في شيء إلاّ بلغته، فدخل عليه أوسٌ، فقال: يا أوس ما الذي يقول حاتمُ؟ قال وما يقول؟ قال: يقول إنّه أفضل منك وأشرف، قال: أبيت اللّعن، صدق والله لو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لأنهبنا في مجلس واحد، ثم خرج وهو يقول:

يقول لي النُّعمان لا من نصيحةٍ   أرى حاتماً في قوله متطاولا
له فوقنا باعٌ كما قال حاتمٌ   وما النّصح فيما بيننا كأن حاولا

ثم دخل عليه حاتم فقال له مثل مقالته لأوس، قال: صدق، أين عسى أن أقع من أوس، له عشرة ذكورة أخسّهم أفضلُ منّي، ثم خرج وهو يقول:

يُسائلني النُّعمان كي يستزلني   وَهيهاتَ لي أن أستضام فأُصرَعا
كفاني نقصاً أنْ أُضيم عشيرتي   بقولٍ أرى في غيره متوسّعا

فقال النُّعمان: ما سمعت بأكرم من هذين الرجلين[2].

وخير ما نختتم به موضوع النّميمية ما أشار إليه ربّ العزة والجلال في محكم

(١) عبد الله آل نوري، ص ٣٤٦.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، جـ ٢، ص ٢٣/٢٤.

آياته حيث يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[1]. وفي هذه الآية الكريمة يوصي الله تعالى عباده المؤمنين أن لا يكونوا أذناً صاغية للوشاة الفاسقين ولا يسمعوا لهم، وإن استمعوا إليهم أن لا يصدقوهم ولا يأخذوا كلامهم قضية مسلمة حتى يتحقّقوا ويتثبتوا إن كانوا صادقين أو كاذبين ويظهر لهم الحق من الباطل ولا يتصرّفوا بمقتضى ما يسمعونه من هؤلاء قبل النّدم حيث لا ينفع النّدم.

---

(١) سورة الحجرات، آية رقم ٦.

٦- السرقة

السّرقة عادة مذمومة لا يرضاها أي مسلم، وقد نهى الدّين الإسلامي عن هذه العادة المذمومة وتوعّد مُرتكبيها بالعقابِ الشديد. يقول الله تعالى: ﴿والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾[1]. وقال الرّسول صلى الله عليه وسلم رداً على تَشفُّع أُسامة بن زيد في المخزوميّة التي سرقت: وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها[2].

والسرقة هي صفة عديم الأمانة وهي من الأمور التي يحرص كلّ مجتمع أن يقضي عليها ويحاول أن يغرس في نفوس الأجيال حب الابتعاد عنها بكل مظاهرها، وفيها تداول النّاس الأمثال الكثيرة للحثّ على مدى احتقار المجتمع لهذه المهنة الذميمة وللحذر ممّن يمتهنونها وأتباعهم. ومن الأمثال في ذلك قولهم:

الحرامي ما يغتني[3]

والمقصود أن المال الحرام لا يمكن أن يستفيد منه صاحبه مهما جمع بواسطته، وغالباً ما يكون ما جمعه عن طريق السرقة مصدر شقاء ووبال على صاحبه.

أما قولهم:

المال السّايب يُعلِّم السّرقة

فذلك للحثِّ على الحِفاظ على الأموالِ حتى لا تُتاح الفرصة للغير فيسطون

(١) سورة المائدة، آية رقم ٣٨.
(٢) صحيح مسلم، جـ ١١، ص ١٨٦.
(٣) محمد صادق دياب، ص ٨٣.

عليهـا. فوجـود المال بـدون اهتمام وحـرص قد يغـري ذوي النفـوس الضعيفـة للسطو عليه طالما لم يكن هناك راعٍ له متيقظ.

ومن يمتهنون هذه الصِفّة الذّميمة قد لا يتورعون أحياناً عن الإقدام على كُـلّ ما يجدونه متاحاً لهم مهما كانت قيمته أو صغر حجمه، وفي مثل ذلك قالوا:

اللي يسرق البيضة يسرق الجمل(١)

لأن من لا يتورع عن سرقة الأشياء الصغيرة لا يبالي في إقحام نفسـه إلى أكبر من ذلك لتأصّل العادة السّيئة في نفسه.

وقـد يُؤتمن إنسان عـلى شيءٍ ولكنه مـع الأسف الشديـد لا يتـورع أن يخـون أمانَتهُ ويسطو عليها معتمداً على ثقةِ الغير فيه، وفي ذلك يقول المثل:

حاميها حراميها(*)

وهناك فئة أخرى ممّن يُظهرون البراءة في نفوسهم وهم في الواقـع على عكس ذلك، ومن خلالِ كلامهم يلاحظ عليهم مدى إظهار الأمانة بهدف خدعة الغير وهم من أرباب الصنعة الذميمة، وفي هذا المعنى يقول المثل:

يُفتي في الإبرة ويبلعُ الجمل

أو:

يُفتي في الإبرة ويبلعُ الخيط(٢)

أمّا من يمنع نفسه من الالتصاق بهـذه المهنة ويبعـد كلّ البعـد عن ذويها فـإنّه يُصبح في منزلـةٍ رفيعة بـين أفراد مجتمعـه ويعيش مطمئن النّفس مستقـر البـال لابتعاده عن هذه العادة السيئة، وفي ذلك يقول المثل:

لا تسرق ولا تخف

أو:

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٨٧.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٢) محمد صادق دياب، ص ٨٧.

أو:

يد ما تسرق ما تخاف

ويقال فيمن يتعود السرقة ولا يُقلع عنها:

الحرامي ما يتوب(*)

وقال أكثل السّلمي وكان لصاً فاتكاً:

وإني لأستحيي من الله أن أرى أُجرجر حبلي ليس فيه بعير
وأن أسأل المرء الدنيء بَعيَرهُ وأجَمالُ ربي في البلادِ كثير(١)

وتحذيراً من تصرفات اللّص الذي لا يعترف بالقيمِ الإنسانية ولا يردعه ضميره لعدمِ تورعه عن إرتكابِ الجريمة قال العرب:

الحرامي يا قاتل يا مقتول(٢)

وذلك لعدم اهتمامه بالعواقب الوخيمة في ما يقوم به من أعمال ممّا يحدو به إلى المغامرات التي ربما تؤدي إلى قتله لنفسه أو غيره.

ومع ذلك فالحرامي بطبعه جبان يخيفه الضعيف فضلاً عن القوي وذلك لمعرفته بأنه من شواذ المجتمع وأن الأنظمة والأوضاع الاجتماعية كلها تقف ضد ممارسته لهذه المهنة السيئة ممّا يجعله يشعر بذلة واستحقار مكانته الأجتماعية، ويقول المثل في ذلك:

السّارق ذليل(٣)

وبعض هذه النوعيات من النّاس يحاولون الاستمرار في ممارسة أعمالهم المنبوذة ويحاولون التّستر عليها بقدر استطاعتهم، ولهم طرق مختلفة في تنفيذ خُططهم، ودليلنا على ذلك ما تُردّده الأمثال في مثل هذه الحالات، والمثل القائل:

(*) من الأمثال المتداولة.

(١) الأبشيهي، جـ١، ص ٢١١.

(٢) أحمد تيمور، ص ١٠٧ / محمد صادق دياب، ص ٨٩.

(٣) عبد الكريم الجهيمان، جـ٢، ص ١٤.

الحرامي الشّاطر ما يسرق من جاره[1]

يوضح الطريقة الدنيئة التي يتبعها السّارق محاولةً منه لدفع الشّبهة عنه بممارسة أعماله بعيداً عن محلته المحيطة به.

وأما قولهم:

الحرامي ما له رجلين[2]

فذلك يعني كناية عن شدة سرعته عندما يسمع أي شيء سيؤدي إلى كشف أمره.

---

(١) هاني العمد، الأمثال الأردنية، ص ٢٠٠.

(٢) أحمد تيمور، ص ١٠٦. والمثل كما ذكره تيمور مخالف لقواعد اللغة العربية والمفروض أن يكون «الحرامي ما له رجلان».

٧- الكبر

الكَبْر هو نَظَر الإنسان إلى نفسه بالعلوّ على غيرهِ، والُمتكـبّر يرى نفسـه أفضل وأعلى من الغير فتحصل له هزّة وفرح. والآيات والأحاديث في الإسلام تُبيّن لنا مـوقف الإسلام من الكِـبَر والُمتكبرين. يقـول الله تعالى: ﴿سـأصرف عن آيـاتي الذين يتكبرون في الأرض بغـير الحقّ﴾[1]. وقال تعـالى: ﴿لا جرم إن الله يعلمُ ما يُسرون وما يعلنون إنّه لا يُحب المستكبرين﴾[2]. ويقول ابن مسعـود رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم: أنّه كان يتعوّذ من الشّيطان من همزه ونفثـه ونفخه، قال: همزه الموتة، ونفثه الشعـر، ونفخه الكـبرياء[3]. وقـال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كلّ ضعيفٍ متضاعف لو أقسـم عـلى الله لأبّـره، ألا أُخبركم بـأهل النـار؟ كلّ عتـل جـوَّاظ مستكـبر[4]. والكـبريـاء والعظمة من صفات الخالق سبحانه وتعالى والتكبُّر يؤدي إلى مخالفةِ الله عزّ وجلّ في أمره ونهيه، فالمتكبِّر بأنف من قبول الحق، وإذا قيل له اتق الله أخـذته العـزّة بالإثم.

ولما لظاهرة الكبر من أثر يلمسه المجتمـع فقد انعكس ذلـك الأثر في أمثـالهم المعبرة بوضوح لهذا المرض ـ مرض الكِبْر ـ وخُطرهُ ومـا له من سلبيـات لا تخدم المصلحة الخاصة والعامّة. ولمعرفة الناس الحقيقيّة بأنَ الكَبريَاء والعـظمة لا تليق إلّا بالخالق سبحانه وتعالى، قالوا فيمن يتكبّر على النّاس:

---

(١) سورة الأعراف، آية رقم ١٣٦.
(٢) سورة النحل، آية رقم ٢٣.
(٣) مسند الامام أحمد بن حنبل، جـ ٤، ص ٨٠.
(٤) صحيح مسلم، جـ ١٧، ص ١٨٧.

الكِبرةُ لله لا للعبد [1]

ويُضربُ المثل في ذمّ الكبرياء والتي لا تُؤدي إلى التواضع ولين الجانب بين النّاس.

ولمّا للكِبَر من آثار سلبيّة تدَاولَ النّاس المثل الدّارج:

كِبَر النَّفس قطع نصيب [2]

ومعنى المثل أن التّكبُّر على الغير يُؤدي في النّهاية إلى قطع نصيب المرء مهما كانت الأحوال ومهما ساعدت الظّروف.

ويتّفق مع هذا المثل في المعنى قولهم:

من اكتبر انثبر [*]

ومعنى انثبر أي تحطّم وخَسِر، وذلك لما يُشاهده النّاس في الغالب من عواقب وخيمة لِلمُتكبّرين.

ومن مساوىء الكبرياء أنّها تكون عاملاً مشجعاً للإنسان لاحتقار غيره ورؤيته للنّاس على أساس أنّهم أقلّ منه. وفي مثل هذه الحالة يقول المثل:

يا أرض اشتدي ما عليك حد قدّي [3]

ويُضرف المثل على لسانِ حال المُغتر بنفسهِ وقوّته، فهو يَتصوّر أنّه الوحيد الذي لا ينافسه أحد ولا يصل إلى منزلته غيره، ممّا جعل النقد الاجتماعي يتحامل عليه ويرفض سلوكه، وفي ذلك قالوا:

من أنت ومين أهلك [4]

---

(1) هاني العمد، ص ٤٣١.

(2) تيمور، ص ٣١١.

(*) من الأمثال المتداولة.

(3) هاني العمد، ص ٦٣٥.

(4) هاني العمد، ص ٥٩٢.

وذلك استهجاناً بأسلوب التكبُّر والإشارة إلى أنّ قيمة الإنسان لا تأتي بواسطة الكِبرياء والتعالي على الناس. ويفهم من المثل في قولهم «ومين أهلك» أنّ العرب يفخرون ويعتزون بالنّسب والعشيرة أكثر من اعتزازِ الإنسان بنفسهِ.

ومن الأمثال العاميّة في ذمّ الكبرياء قولهم:

الكِبرةُ اللّي ما هي لايقة مثل الحُبلى المتضايقة(1)

ويُضرب المثل لِلمُقلِّدْ الذي يُحاول أنْ يضع نفسهُ في موضعٍ لا يتناسب مع حجمه.

ولملاحقة المجتمع لمن يتعود الكِبرْ ويجعَلَهُ صفةً ملازمةً له حتى وهو في حالة البؤس، قالوا فيه:

يُحب الكبرة حتّى ولو على خَازُوق(2)

والمثلُ يضرُب لمن أُصيب بِداءِ الكِبْر والغرور الذي لا يستطيع التّخلص منه. ولأكثم بن صيفي في الكبر والغرور مثل مشهور يقول فيه:

التّغرير مفتاح البؤس(3)

والتّغرير هو حمل النفس على الغرور والكبرياء، والبؤس معناها الشدّة.

والمُصاب بداء الكبرياء قد لا يُؤثر على غيره أكثر من تأثيره على نفسه، لأنه بسلوكهِ الكبريائي يُنفّر النّاس من حولهِ حتى أقرب الناس إليه فيصبح هو ضحيّة أخلاقه ومعاملته السّيئة. ومثل هذه النوعيّة قد ينحصر غرورهم وكِبرياؤهم على أَنْفُسهُم وهم لا يعلمون. والمثل الدّارج في مثلِ هؤلاء يقول:

كِبرة الدّيك على عُرفهِ(4)

ويُضرب المثل لمن يصيبهِ داء الكِبرياء والغرور بمُجرّد حصولهِ على شيء تافه

(1) المصدر السابق، ص ٤٣١.
(2) المصدر السابق، ص ١٣٥.
(3) العسكري، جمهرة الأمثال، جـ ١، ص ١٨٠.
(4) هاني العمد، ٤٣٠.

يراه في عينه عظيماً أكثر مما يَـراهُ النّاس. زِد عـلى ذلكَ أنَّ تـأثير سلوكـه سيكون منحصراً على نفسهِ دون غيره مهما كان يتصوّر بأنّه قد أفاد من كِبريائه.

ويقول الأصمعيّ في الكِبْرياء: قال رجلٌ: ما رأيت ذا كـبرٍ قط الاّ تحوّل داؤه فيّ، يُريد أنّي أتكبّرُ عليه. وقال آخر: ما تاه أحدٌ قط عليّ مـرتين، يُـريد إذا تـاه مرّة لم أعاوده، ويقول الشّاعر:

يـا مُظهـرَ الكِـبْرِ إعجابـاً بصـورتِـه ... أنـظر خِـلافَـكَ إنّ النـتر تَـثريب
لـو فكّـر النّـاسُ فيـها في بـطونهمُ ... مـا استشعـر الكِـبْر شُبّـانٌ ولا شِيبُ
هـل في ابن آدم غير الـرأس مكُرمـةً ... وهـو بخمسٍ من الأقـذار مضروبُ
أنفٌ يسيـل وأذنٌ ريحهـا سَـهِـكٌ ... والعـين مُـرقصَـةٌ والثغرُ ملعـوبُ
يـا ابن التراب ومـأكول الـتراب غداً ... أقصِر فـإنّـك مـأكـولٌ ومشروبُ(١)

ويقول خير القائلين:

﴿ولا تصفـر خـدك للنـاس ولا تمشي في الأرض مـرحـاً إن الله لا يحب كـل مختال فخور﴾(٢) وقـال جلّ وعـلا: ﴿ولا تمشِ في الأرض مرحـاً إنك لن تخـرق الأرض ولن تبلغ الجبـال طولا﴾(٣). وفي قـوله تعـالى: ﴿يا أيّهـا الذين آمنـوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولانسـاءٌ من نساءٍ عسى أن يكن خيراً منهنّ. . .﴾ الخ(٤). والآيات القرآنية الكريمة وغيرها مما قيل في ذمّ الكبرياء تعتبر من أفضل المواعظ لبني الإنسان في الابتعاد عن ظاهرة الكبر والغرور.

وخير مثال على ذم صفة الكبر قول الشاعر:

تـواضـع تكن كـالنجم لاح لنـاظـرٍ ... عـلى صفحـات المـاء وهـو رفيـع
ولا تـكُ كـالـدّخـان يعلو بنفسـه ... إلى طبقـات الجـوّ وهـو وضيـع(٥)

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، جـ١، ص ٢٧٢/٢٧٣.

(٢) سورة لقمان، آية رقم: ١٨.

(٣) سورة الإسراء، آية رقم: ٣٧.

(٤) سورة الحجرات، آية رقم: ١١.

(٥) الهاشمي، جـ٢، ص ٤٨٠.

٨- الاعجاب بالنفس

العجبُ بالضم هو الزّهو والتّكبر، وهو كذلك رؤية الإنسان لنفسهِ بالتّمييز والعلوّ على غيرهِ من النّاس. والفرق بين العجب والكِبْر دقيق جداً، ويقول في ذلك الإمام الحافظ ابن الجوزيّ[١]: أنّ الكِبْرَ خلق باطنٌ يصدرُ عنه أعمال، وذلك الخُلق هو رُؤية النّفس فوق المتكبّر عليه، والكِبرُ لا يتصوّر إلاّ أن يكون هناك من يتكبّر عليه، أمّا العجب يتصوّر ولو لم يكن هناك أحد غير المعجب بنفسه[٢].

والعجبُ أحياناً يكون مصدر خدعة لبني البشر، ويقول الله تعالى في ذلك: ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث[٢]﴾. وقوله تعالى: ﴿ومن النّاس من يُعجبك قوله في الحياةِ الدنيا ويشهدُ الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام[٣].

وإعجاب المرء بنفسه أو بغيره من الصّفات المذمومة التّي أوجدت ردود فعل قويّة عند النّاس حتّى تداولوا فيها الأمثال التي تعكس آراءهم وموقفهم لمن يتصف بذلك. فقالوا الناس في من يعجب بنفسه أو ذويه:

زُيّن في عين والدٍ ولده[٤]

ويضرب المثل لمن يعجب برهطهِ وذويه، وقصّة هذا المثل أنّه قيل لعمر بن عبدالعزيز: لو بايعت لابنك عبد الملك لفضلهِ وشأنه وورعه، فقال: لولا أنّي أخشى أن يكون زُيّن في عيني ما يُزيّن للوالد من ولده لفعلت، وقد جاء المثل في

---

(١) السفاريني، غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، جـ ٢، ٢١٨.

(٢) سورة المائدة، آية رقم ١٠٠.

(٣) سورة البقرة، آية رقم ٢٠٤.

(٤) الميداني، جـ ٢، ص ٨٢ / العسكري، جـ ١، ص ٣٥٠ / ابن سلام ص ١٤٤.

عجز بيت من الشّعر أورده العسكري، ويقول البيت:

زُيّـن في عـين حـاسـديـه كـما زيّـن في عـينِ والـدٍ ولـده

ومن هذا أخذ أبو تمّام قوله:

ويسيء بـالإحسـانِ ظنّـاً لا كُمنْ هـو بـابنـه وبشعـره مَفتُـوُن(٢)

وقريب من هذا المثل قولهم:

حَميمُ الرّجُلِ أصلُهُ

وعند الميداني يقول المثل:

حَميمُ الرّجُلِ واصله(٢)

أي صديق الرّجل قريبه الذي من أصله أو أصدقائه، ويقال بأن أوّل من قال ذلك هو الخنابس بن المقنّع وكان سيّداً في قومه، وكان رجلاً من قومه يقالُ له كلاب بن فارع قد اعتدى عليه الأسد وهو مع غنمه فوافاه رجلان هما الخنابر ابن مُرّة وآخر يقال له حوشب، وكان الخنابر من أقاربه إلاّ أنه تخلّى عنه، ولكنّ حوشباً أعانه وحمل على الأسد بسيفه وقتله دفاعاً عن كلاب، فقال كلاب عنه هذا حميمي دون الخنابر. وعندما اختصما على تركته أنشد حوشب بقوله:

أحببتُ كـلابـاً حـينَ عـرّد إلفُـه وخَـلاّه مكبُـوبـاً عـلى الـوجه خَنبرُ

فـلمّا دعـاني مُستـغيثـاً أجبتـه عليـه عبـوس مُكفَهـرٌ عَضَنْفَـرُ

مـشيت إليـه مشي ذي الـعـزّ إذ غَـدا وأقبـلَ مختـالَ الخـطا يَتبخْـتَرُ

فلمّا دنـا من غرب سيفي حَبـوَتـه بـأبيض مصقـول الـطرائق يُزهـرُ

مقـطّع ما بـين الضلوع وحضنِـهِ إلى حضنِـهِ الثّاني صَفيـحٌ مُذكّـرُ

فخَـر صريعـاً في الـتّراب مُقَعّـراً وقـد زار منه الأرضَ أنفٌ ومِشفَـرُ

عند ذلك قـال الخنابس بن المقنّـع «حميم المرء واصله» وقضى لحـوشب بتركته(٣)، وأصبحت كلمته مضرِبَ الأمثال لمن يَعتزّ ويعجب بصديقه.

---

(١) العسكري، جـ١، ص ٣٥٠.

(٢) الميداني، جـ١، ص ٣٥٤/ الزمخشري، جـ٢، ص ٦٦/ ابن سلام ص ١٤٤.

(٣) الميداني، جـ١، ص ٣٥٤.

وشِـدّة الإعجاب بـالنفس أو بالقـريب قد تفـوق التصوّر الـواقعي لصفـات الموصوف، وفي مثل ذلك قالوا:

كلاًّ يشوف قِردَهُ غزال

أو:

الخُنفسة في عين أمّها بدر(*)

وذلـك كنايـة عن شِدّة الإعجـاب بالقـريب أو الصديق، ولكنّ الإفـراط في المدح والإعجاب قد يؤدي إلى نتيجة سلبيّة كقول المثل:

الزّيادة في الحد نقصان من المحدود

أو:

إذا جاور الشّيء حدّه انقلب إلى ضدّه[1]

ومع ذلك فـإن ظاهـرة الإعجاب بـالنّفس والتعصّب في الإعجاب بـالأقارب والأصـدقاء لا يمكن إنكـار وجودهـا، وتعتبر ظـاهرة حتميّـة فرضتهـا العلاقـات الإنسـانية والمعـايشة سـواء في داخلِ الأسرة أو بـين مجموعـة وأخـرى ولا يمكن نزعها أو الحدُّ منها، وأغلب ما يظهر الإعجاب فيما بين الأقـارب بعضهم ببعض خاصة الآباء بأبنائهم أو العكس بالعكس، ومثلٌ قديم يقول:

كلُّ فتاة بأبيها مُعجبةٌ

والمثلُ يرويه البعض بأنّه للأغلب العجـلي، ولكنّ معظم المصـادر تقولُ بـأنّه للعجفاء بنت علقمة السّعدي، وقصة المثـل الطريفـة هي أن العجفاء إجتمعت مـع ثلاث نسـوة فتحدثّن فقلن أيّ النِّسـاء أفضل؟ فقـالت إحداهنّ: الخـريدة الـودود الولـود، وقـالت الأخـرى: خـيرهنّ ذات الغنـاء وطيب الثنـاء، وحسن الحياء، وقالت الأخرى:خيرهنّ الجامعة لأهلها، الواضعـة الرّافعـة، قلن: فأي الـرجال أفضـل؟ قالت إحـداهنّ: الحفيّ الرضيّ غـير الخـطل البـطيّ، وقـالت

(*) من الأمثال المتداولة. والمصريون يقولون: «القرد في عين أمه غزال».

(١) العبودي، الأمثال في نجد، ص ١١٨.

الأخرى: الغنيّ المقيم فلا يشخص، والراضي فلا يسخط، وقالت الأخرى: هو الوفيّ السنيّ الذي يُكرم الحرّة، ولا يجمع الضرّة، فقالت إحداهنّ: وأبيكنّ. إنّكنّ في نعت أبي، فقالت العجفاء: «كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجبةٌ» فذهبت قولتها مثلاً. فقلنَ فأخبرينا عن أبيك، فقالت: كان يُكرم الجار، ويُعظّم الخطّار، ويحمل الكبار، ويأنف الصّغار، فقالت الأخرى: أبي والله عظيم الخطر، منيع الوزير، عزيز النّفر، فقالت الأخرى: أبي والله صدوق اللسان، حديد الجنان، رذوم الجفان، شديد الطعان، فقالت الأخرى: أبي والله كريم الفعال، كثير النوال، قليل السؤال، منيف المعالي، فتنافرن إلى كاهنة في الحي، فقالت: «كلّ ماردة بأبيها واحدة، ولنفسها حامدة» ولكن اسمعن: خير النساء المبقية على أهلها، المانعة المعطية، وخير الرّجال الجوّاد البطل، الكثير النفل، ولم تنفّر واحدة منهنّ[1].

ومن هذه القصة الطريفة يتضح أنّ من صفات الإعجاب كثرة المدح بها قد لا يكون صحيحاً، وكثرة المدح توحي للسامع بعدم توفّر الموضوعيّة في الشيء، والمثل الذي يوضح ذلك قولهم:

مادح نفسه كذّاب.. مادح نفسه إبليس

أو:

من مدحَ نَفسهُ كما من سبّها[*]

وذلك لأن المعجب بنفسه أو بغيره تجده غالباً ما يمتدح أفعاله وأقواله وهو يجهل في نفس الوقت أنّ هذه الطريقة قد لا تفي بما يقصده وإنّما تفقده احترام الناس له ومدى ثقتهم به.

ومن جُبِلَ على الإعجابِ بالنفس وأصبحَ يُمارس ذلك كالعادة التي لا تتغير قالوا فيه بالمثل:

---

(١) العسكري، جـ ٢، ص ١٤٢. / الميداني، جـ ٣، ص ٩/ الزمخشري، جـ ٢، ص ٢٢٨.

(*) من الأمثال المتداولة.

العجبُ قاتِلنا ليس بخاطرنا[1]

ومعناه أنّ إعجابنا بنفوسنا بلغ منّا مبلغاً عظيماً ولكن ليس ذلك باختيارنا بل هو طبع خلق فينا وأصبح من الصعب نزعه، ويضرب المثل لشديد الإعجاب بنفسه الذي لا يستطيع الإقلاع عنه.

---

(١) تيمور، ص ٢٤٠.

٩- الجبن

الجُبْن عكس الشّجاعة، والجبان هو ذلك الذي يلوذ بالفرارِ في حالة الحرب أو عند الأزمات التي تتطلب منه الوقوف بحزم ومقاومة الحدث والتغلب عليه. والجُبْنُ كغيره من الصفات الانسانيّة التي تلازم الفرد وتتأصّل فيه. والأفراد يختلفون في الطبائع فمنهم الشجاع ومنهم الكريم ومنهم البخيل ومنهم الجبان وهكذا. وصفة الجبن عند العرب مذمومة ومن يتصف بالجبنِ يفقد شيئاً من مكانته الاجتماعيّة. وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجبنِ في قوله: اللّهم إني أعوذ بك من الهَمّ والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدّين وقهر الرّجال[١]: ويقول العرب في وصف الجبان بأنّه: إذا أحس بعصفور طار فؤاده وإن طنَّت بعوضة طال سُهاده، يفزعُ من صرير الباب ويقلقُ من طنين الذُّباب[٢].

ولما لصفةِ الجبن من آثار على الفرد والمجتمع، تداول فيه النّاس الأمثال المعبرة عن مدى سلبية هذه الصفة ونتائجها. ومن هذه الأمثال قولهم:

إنَّ الجَبَان حتفُهُ من فوقِهِ[٣]

والحتفُ هو الهلاك أو الموت، ويُشير المثل إلى أنّ الهلاك للجبانِ أسرع منه إلى الشُّجاع إذا أتاه من حيث لا يستطيع رَدَّهُ، لأنّ من عادة الجبان الفرار ولذلك فإن الوسيلة التي لا يستطيع الفرار منها أن يأتيه القدر من السماء. ويُضرب المثل لمن لا يُنجيه جُبنه من المنية، وهذا المثل مأخوذ من بيت شعر

---

(١) صحيح البخاري، جـ ٤، ص ١٠٨.

(٢) الابشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، جـ ١، ص ٣٢٨.

(٣) العسكري، جـ ١، ص ١١٤/ ابن سلام، ص ٣١٦.

لعمرو بن أمامة حين أراد جُعيدٌ قتله فقال:

لقد عرفت الموت قبل ذوقِهِ إنّ الجبان حتفُهُ من فوقِهِ
كلُّ امرىء مُقاتِلٌ عن طوقِهِ والثّورُ يحمي جلدهُ بروقِهِ[1]

ولأنّ الجبن من الخصال الرّديئة عند العرب يقول خالد بن الوليد عند وفاته: ما في جسدي موضع شبرٍ إلا وفيه ضربة من سيف أو طعنة من رمح، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعينُ الجُبناء. وذهبت قولته «فلا نامت أعينُ الجُبناء» مضرب الأمثال لكلّ من يخشى الموت ويخافه.

ولأنّ تَصرُّفات الجبان معروفة بالتجربة حتى في وقت النّزال فالمثل يقول:

عصا الجبان أطول[2]

وذلك أنّ الجبان يرى أنّ طول العصا أرهب لعدوّه وتساعد على إبعاد أذاه إذا قاومه. والمثلُ يُضرب لمن يُرهِبْ ويُهدِّد وهو ليس في استطاعته عمل أي شيء. وصحة المعنى في هذا المثل يؤيدها ما قاله خالد بن الوليد في يوم اليمامة عندما دنا منها وخرج إليه أهلُها من بني حنيفة. فعندما رآهم خالد قد جرّدوا السّيوف قبل الدنّو، قال لأصحابه: إبشروا فإنّ هذا فشلٌ منهم. فسمعها مُجَّاعَةُ بن مُرارة الحنفي وكان موثقاً في حبسه فقال: كلاّ أيّها الأمير ولكنّها الهندوانية وهذه غداةٌ باردة فأبرزُوهَا لِتَلِينَ مُتونها، فلمّا تدانى القومُ قالوا له: إنا نعتذرُ إليكَ يا خالد من تجريد سيوفنا. والحكمة من هذه القصة هي أنّ الجبان من شدّةِ خوفه يشهرُ سلاحه من بعيد معتقداً أن ذلك سيساعد على هزيمة خصمه.

وعندما يُصاب الجبان بالذلّ والهوان ويخضع لعدوّه يقول العرب في مثل ذلك:

دَرْدَبَ لمّا عضّهُ الثقّافُ[3]

---

(1) ابن سلام، ص ٣١٦.

(2) الزمخشري، جـ ٢، ص ١٦٣/ الميداني، جـ ٢، ص ٣٤٥/ ابن سلام، ص ٣١٧.

(3) الزمخشري، جـ ٢، ص ٧٩.

والـدردبة هي الخضـوع والذّل، والثّقـافُ خشبة تسـوى بها الـرّماح، والمثـلُ يضُرب غالباً لرِجّلٍ يخضعُ عند الخوف فلا يستطيع الدّفاع عن نفسه.

ومن الأمثال الأخرى والتي قد تُؤدي نفس المعنى قولهم:

ودق العيرُ إلى الماء[1]

ومعنى ودق أي دنا من الماء، ويُضرب المثل للجبانِ يأنفُ الخضوع فـي أول الأمر ولكنّه يخضع ويستسلم في النهاية.

والجبانُ في بعض الحالات يقول أكثر ممّا يفعل، وعندما يتطلّب الموقف الحـزم والعمل فهو يلوذ بالفرار غير مبال بما توعد به غـيره وغير مبـال بما قـد يؤُثِر عـلى غيره. والمثل الدّارج في مثل ذلك:

الصّدق يُنبي عنكَ لا الوعيد[2]

أي أنّ الصّدق في الأمور ولقـاء الأعداء هـو الذي سيؤدي إلى تحقيق غـايتك ونصرك لا القول والتهديد والوعيد بدون صدق وعمل. ويضرب المثـال للجبان يتوعد ثم لا يفعل شيئاً.

ويتّفق المثل السابق مع قول العرب:

أوسعتهم سبّا وأُودُوا بالإبل[3]

ويُقـال هذا المثـل للجبان الـذي لا يستطيـع مقاومـة غيره إلاّ بتسليط لسـانه بالسّب واللّعن. وقصّة هذا المثل أنّ رجـلاً من العرب أُغـيرَ على إبلهِ فـأُخِذَتْ، فلّما تواروا صعد على أكمةٍ يشتُمهم، فلّما رجع إلى قومهِ سألوه عن ماله، فقال: أوسعتهم سبّاً وأودُوا بالإبل. وقال الشاعر في ذلك:

وصرت كـراعي الإبـل قـال تقسّمت فـأودى بها غـيري وأوسعتهم سبّـا

ويقال كذلك بأنّ أوّل من قال هذا المثـل «أوسعتم سبّا وأودُوا بـالإبل» كعب

---

(١) نفس المصدر السابق، ص ٣٧٤.

(٢) ابن سلام، ص ٣٢١/ الزمخشري، جـ ١، ص ٣٢٨.

(٣) العسكري، جـ ١، ص ١٠٦ / الزمخشري، جـ ١، ص ٤٣١/ الميداني، جـ ٣، ٤٢٦.

ابن زهير بن أبي سلمى، وذلك أنّ الحارث بن ورقاء الصيداوي أغار على بني عبدالله بن غطفان، واستاق ابل زهير وراعيه، ولمّا علم زهير هجا الحارث فقال كعب: أوسعتم سبًا وأودوا بالإبل، فذهبت قولته مثلا للجبان الذي لا يملك ولا يستطيع سوى الكلام.

وشبّهت العرب الجبان ببعض الطيور والحيوانات المعروفة بالذّلّ والخوف فقالوا:

أجبنُ من صَافِرٍ[1]

والصافر حيوان صغير من نوع الصراصير يتعلق برجليه في الشجر ويبقى طول الليل يصفّر حتى لا ينام فيأتيه حيوان أكبر منه فيأكله. وقالوا كذلك:

أجبنُ من صِفرِدٍ[2]

والصفرد طائر صغير يخاف من أي حركة، ويقول الشاعر:

تَـراهُ كالليـث لـدى أمـنـهِ ... وفي الـوغـى أَجبـنُ من صـفـردِ

وقالوا:

أجبنُ من نَعامةٍ[3]

لأنها إذا خافت من شيء لا ترجع إليه بعد ذلك، حتى لو هجرت بيضها بسببه.

---

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٤٤/ الميداني، جـ ١، ص ٣١٨.

(٢) الميداني جـ ١، ص ٣٢٩.

(٣) الميداني جـ ١، ص ٣٢٩.

١٠- الغدر والخيانة

الغدرُ والخِيَانَةُ من أرذل الصّفات عند بني الإنسان، ودينُنا الحنيف يَحُثّنا على الابتعاد عن هاتين الصفتين لما لهما من آثار سيئة على الفردِ والمجتمع على حدٍ سواء. قال تعالى: ﴿يا أيّها الذّين آمنوا لا تخونوا الله والرّسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾(١). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: آية المنافق ثلاث: إذا حدّثَ كذب، وإذا أوعدَ أخلف، وإذا أئتمنَ خان(٢). وقال أبو بكر الصّديق رضي الله عنه: ثلاث من كنّ فيه كنّ عليه: البغي والنكث والمكر، ويقول الشاعر:

غدرتَ بأمرٍ كنت أنتَ جذَبتنا ... إليه وبئس الشّيمة الغَدر بالعهدِ

وممّا قيل في أثر الغدر والخيانة أنّه لمّا حلف محمد الأمين للمأمون وهما وليّا عهد، طالبه جعفر بن يحيى البرمكيّ أنْ يقول: خذلني الله إن خذلته، فقال ذلك ثلاث مرّات، فقال الفضل بن الرّبيع: قال لي الأمين في ذلك الوقت: يا أبا العبّاس أجد في نفسي أنّ أمري لا يتم، فقلت له: ولِمَ ذلكَ أعزّ الله الأمير؟ قال: لأنّي كنت أحلف وأنا أنوي الغدر، وكان كذلك لم يتم أمره(٣).

والغدرُ والخيانة كغيرهما من الصّفاتِ الذّميمة ضُربت فيهما الأمثال التي تُعبّر عن موقف المجتمع من هاتين الصفتين. ولكُره العرب لهذه الظاهرة فقد شُبّهَ من ينتحل هذه الصّفة بأولئك المشهورين بها استهجاناً واحتقاراً بهم.

وقالوا في ذلك:

(١) سورة الأنفال، آية رقم ٢٧.

(٢) صحيح البخاري، جـ١، ص ١٥.

(٣) الأبشيهي، جـ١، ص ٢١٠.

أغدرُ من قيس بن عاصم [1]

وقيسُ بن عاصم كان مشهوراً بالغدرِ، وقيل أنّـه جاور بعض التّجـار فغدره وأخذ متاعه. ويقال أنّه جبى صدقة بني مُنِقر أيّام الرسول صلّى الله عليه وسلّم وعندما عَلِمَ بموتِ المصطفى قسّمها في قومه وقال:

ألا أبـلغـا عـني قـريش رسـالـةً إذا مـا أتتهم مُهـديـات الـودائـع
حَبْـوتُ بما صَـدّقت في العـام مُنقـراً وأيـأستُ مِنَهـا كـلَّ أطلس طـامـع

ويقول المثل الآخر:

أغدرُ من عتيبة بن الحارث[2]

ويقول فيه أبو عبيد: إنّ أنيس بن مرّة بن مرداس السّلمي نزل عند عتيبة في صِرمٍ من بني سليم، فشدّ على أموالهم فأخذها وربط رجالها حتى افتدوا، فقال عبّاس بن مرداش عمّ أنيس:

كَـثُرَ الضِّجَـاجُ ومـا سمعت بغـادرٍ كعتيبـة بـن الحـارث بن شـهـاب

وقالوا كذلك:

أغدرُ من كُنَاةِ الغَدر[3]

وهم بنو سعد بن تميم، وكانوا يُسمّون الغدر كيسـان، وفي ذلك يقـول النّمر ابن تولب:

اذا كـنت في سعــد وأمــك مِنْهُـمُ غـريبا فـلا يَغررُك خـالُكَ من سَعْدِ
اذا مـا دعـوا كيسـان كـانت كُهـولهم إلى الغــدرِ أدنى من شَبـابهم المُـردِ

وأحياناً يُشبّه الغادِرُ بالحيوانِ كما في قولهم:

أَغَرُّ من الدُبَّاء في الماء

أو:

---

(1) الميداني، جـ ٢، ص ٤٢٩/ العسكري، جـ ٢، ص ٨٧.
(2) الميداني، جـ ٢، ص ٤٢٩.
(3) الميداني، جـ ٢، ص ٤٢٧.

لا يغرنّك الدُبّاء وإن كان في الماء[1]

والدُبّاء هي القرع، وأصل المثل أن رجلاً تناول قرعاً مطبوخاً وكان حاراً فأحرق فمه، فقيل في ذلك: لا يَغُرنَّكَ الدُّباء وإن كان نشؤه في الماء، ويُضرب المثل للرّجلِ السّاكن ظاهراً الكثير الغائلة باطناً.

ويتّفق مع المثل السّابق بعض الأمثال العاميّة كقولهم:

يا ما تحت السّواهي دواهي

وقولهم:

يا ما تحت اللَفّة قرون مِلتفّة

أو:

تحت البراقع سمٌّ ناقِع[2]

والمقصود من هذه الأمثال جميعاً أخذ الحذر والحيطة من أولئك الذين يُظهرون الطّيبة للنّاسِ وهم في واقعهم من أخطرِ النّاس مكراً وخيانة. وتُضرب هذه الأمثال لأولئك الذين يتّخذون من ظواهرِ الأمور وسيلةً لإخفاء بواطِنها.

وعندما يَخدع المرءُ غيره بتوريطهِ في مشكلةٍ مّا عن طريق الإقناع والإغراء يقول العرب في ذلك:

فَتلَ في ذِروَتِه[3]

والذُّروة هي أعلى السّنام في الجمل وأعلى كل شيء، وعندما يكون الجمل أو البعير صعباً وشرساً في ركوبه أو ما شابه فإنّ صاحبه يَخْدُعه بالحكِّ في سنامه وغاربه الواقع بين العنق والسّنام ويفتل الوبر بينهما بأصابعه حتّى يؤُنسه ويخدعه فيتمكن منه فيَخطِمُه. وهذا المثل يقال للرّجلِ لا يزال يُخادع صاحبه حتى يَظفَرَ به. وينطبق هذا المثل على قصّة الخليفة العبّاسي أبو جعفر المنصور مع عيسى بن

---

(١) الميداني، جـ ٢، ص ٤٢٦/ العسكري، جـ ٢، ص ٨٤.

(٢) هاني العمد، ص ١٦٨. / تيمور، ص ٧٢/١٩٥/٤٣٠.

(٣) الزمخشري، جـ ٢، ص ١٧٩. / ابن سلام، ص ٨١.

موسى حين طَعّمه المنصور بالعهدِ غَدَر بهِ وقَدَّم المهدي عليه، فقال عيسى:

أينسى بنو العباس ذبي عنهمُ — بسيفي ونار الحرب زاد سَعيرُها
فتحت لهم شرق البلاد وغربَهَا — فدلّ مُعادِيهَا وعزّ نصَيرُها
أقطّع أرحاماً عليّ عزيزة — وأبدي مكيدات لَهَا وأثيرُها
فلمّا وضعتُ الأمرَ في مستقرّهِ — ولاحت له شَمسٌ تلألأ نُورها
دفعت عن الأمر الذي أستحقهُ — وأوسق أوساقاً من الغدرِ عِيرُها[1]

وللتحذير من أولئك الذين يتّصفون بالغدرِ والخيانة تداول النّاس الأمثال لتكون خيرَ مُرشدٍ للابتعاد والحذر ممّن يحملون هذه الهوية التّي تتنافى مع الأخلاق والقيم الإنسانيّة. ومن هذه الأمثال قولهم:

فلان ما ينحطّ في الحثل[2]

والحثل هو المكان الذي بين الجلد والثّوب عندما يُرَبطُ وسط البطن، وعادة ما يَستَخِدمُ الفلاّح ذلكَ عندما يضعُ بعض الثّمار فيه وقت جناها. ومعنى المثل أنّ فلاناً من الناس لا يؤمن جانبه ولا يُركن إليه، ويُضرب المثل للرّجل لا يؤمن غدرهُ وخيانته.

ومثلٌ آخر يعطي تقريباً نفس المعنى كقولهم:

فلان ما ينحط وراء القفا[3]

ومعنى المثل أنَهُ لا يجب الاعتماد على من لا يُؤتمن ومن يتّصف دائماً بالغدر والخيانة، وقد يُعطي المثل معنىً آخر وهو عدم التّهاون بفلانٍ من النّاس لأنّه يُمثّل الخطر إذا لم يحسب له أي حساب.

وفي الواقع أثبتت التّجارب بأنّ صاحب الغدر والخيانة ومُريد السوء لغيره

---

(١) الأبشيهي، جـ١، ص ٢١١.
(٢) عبد الكريم الجهيمان، جـ٢، ص ٢٠٩.
(٣) عبد الكريم الجهيمان، جـ٢، ص ١٩٣.

يكون هو ضحيّة عمله وهو الخسران في نهاية المطاف، والمثل الذي يشير إلى مثل ذلك يقول:

الحافز نازل والباني طالع

ويُلفظُ المثل أحياناً:

يا باني يا طالع يا فاحت يا نازل[1]

ومعنى ذلك أنّ من يعمل من أجلِ غدر النّاس وإيقاعهم في المشاكل فهو كالحافر في الأرض يعمل على نزوله وانحطاطه بين الناس، وذلك عكس فاعل الخير الذي وُصِفَ بالباني يعلو إلى فوق ويرفع بذلك منزلته بين أفراد مُجتمعه.

ويتّفق مع المثل السّابق في المعنى قولهم:

يا فاحت البير ومغطّيه لا بدّ من وقوعك فيه[2]

والمقصود بالمثل أنّ من يسعى لنصب المكائد للنّاس والغدر بهم فهو الذي سينال جزاء عمله السيىء، ويقول الشّاعر في ذلك:

ومن يحتفر في الشّرِ بئراً لغيرهِ   يَبِتْ وهو فيها لا محالةَ واقعُ

---

(١) تيمور، ص ٢٧٥/٤٢٠.

(٢) تيمور، ص ٤٢٧.

١١- الظلم وسوء عواقبه

الظَّلم هو الاعتداء على حقوقِ الغير وإلحاق الضّرر بهم، والاعتداء قد يكون على النفس أو المال أو الأعراض. والظّلم ظاهرة شاذّة في المجتمعِ الإنساني لا يرضاها أي إنسان على وجه البسيطة. والدّين الاسلامي يَحُثنا في كثيرٍ من المواضع على مقاومة الظّلمَ والحث على الابتعاد عنه. يقول الله تعالى: ﴿وسيَعلمُ الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[1]. وقال تعالى: ﴿الذّين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ أولئك لهم الأمن﴾[2]. وقال الرّسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ عندما بعثه إلى اليمن: إتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب[3]. وقال صلى الله عليه وسلم: من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقٍّ خُسِفَ به يوم القيامة إلى سبع أرضين[4]. ولولا قساوة تأثير الظّلم على المَظلوم لما أوصى صلى الله عليه وسلم بتجنب دعوة المظلوم. يقول الشاعر:

لا تظلمنّ إذا ما كنت مُقتدراً ... فالظّلم مصدره يُفضي إلى الندمِ
تنامُ عيناك والمظلوم مُنتبهٌ ... يدعو عليك وعين الله لم تنمِ[5]

ونظراً لعدم استحسان الظّلم للغير ونظراً لموقف المجتمع من ظاهرة الظّلم فقد تداول النّاس الأمثال الكثيرة في ذلك استهجاناً للظّلم وتحذيراً منه ووصف من يُمارس هذه الظاهرة بأبشع الصفات وأدناها. وفي ذلك قالوا:

---

(١) سورة الشعراء، آية رقم ٢٢٧.
(٢) سورة الأنعام، آية رقم ٨٢.
(٣) صحيح البخاري، جـ ٢، ص ٦٧.
(٤) صحيح البخاري، جـ ٢، ص ٦٨.
(٥) الأبشيهي، جـ ١، ص ١٠٥.

الظُّلمُ مَرتعُهُ وخيمٌ(١)

والـوخيم هو الثقيـل المُوبِىء، وجعـل الظّلم مـرتعاً لتصرّف الـظالم فيـه، ثمّ جعل المرتع وخيماً لسوء عاقبته سواء في الدّنيا أو الآخرة. وهذا المثل مأخوذ من قول الشّاعر:

البـغـيُ يـصـرعُ أهـلَه والـظّلمُ مـرتـعُـهُ وخـيـمٌ.

ومن شـدّة بُغض المُجتمعات الإنسـانيّة للظّلم ومن يتخـذه مسلكاً في حيـاته شبّه النّاسُ الظّالم بالحيوانات المؤذية، وفي مثل ذلك قالوا:

أظلمُ من حيّه(٢)

وهـذا المثـل من الأمثـال العربيـة القديمـة والتي لا تزال متـداولـة إلى اليـوم. ووُصفَ الظّالم بالحيّة لأنّها تدخلُ على الحيوانِ في جحرهِ فتأكله وتحتلُّ مكانه غـير مبالية بجهوده والمشقّة التي عاناها حتّى استقرّ في ذلك المكان بعيداً عن أعدائه.

وقريب الشّبه من المثل السّابق قولهم:

أظلمُ من ذئب(٣)

وأصـل هذا المثـل أنّ اعرابيـاً ربّى له ذئبـاً فلمّا شبّ افترس سخلةً لـه فقـال الأعرابي:

فـرست شـويهتي وفَـجَعـتَ طِفـلاً ونـسـوانـاً وأنـت لهـم ربـيـبُ
نشـأت مـع السِّخـالِ وأنت طِفـلٌ فـما أدراك أنّ أبـاك ذيـبُ
إذا كـان الـطِّبـاع طـبـاع سـوءٍ فـليس بِمُصـلحٍ طـبـعـاً أديـبُ

وقال آخر:

وأنت كـذئب السـوء ليس بـآلـفٍ أبَى الـذئـبُ الاّ أن يخـون وَيـظْلِمَا

(١) ابن سلام، ص ٢٥٩/ الزمخشري، جـ ١، ص ٣٣٠.
(٢) عبد الكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٦٩.
(٣) العسكري، جـ ٢، ص ٣٠.

وشَبَّه الظالم بالذئبِ لغدره وعدم التزامه بالأمانة رغم كل ما يقدم له من عناية ورعاية.

ولأن الظّالم يشعر في بعض الأحيان بالأسى والندم على عمله المشئوم فالمثل الدّارج يقول:

الظّالم نادِم

أو:

الظّالم نادِم ولو بعد حين[1]

ويُضرب المثل في التحذيرِ من الظُّلم وأنّ نتيجته النّدم ولذلك قالوا: بت مظلوماً ولا تبت ظالماً. وهذه الأمثال من الأمثال القديمة حيث ورد في كلام لابن المقفّع قال: «الظالم نادِم وإن مدحه الناس والمظلوم سالم وإن ذمّه النّاس».

وعندما يقعُ الظّلم على فئةٍ دون أخرى أو شخص دون آخر وهم جميعاً مُشتركون في المسئولية فإن ذلك ينعكس في الأمثال التّي يتداولها الناس مُعبّرين فيها عن آرائهم وفلسفتهم في ذلك، فيقولون:

ظُلم بالسّويّة عدل بالرعيّة[2]

وأصل المثل قديم ذكرهِ العجلوني في كتابه «كشف الخفاء» حول الأحاديث الدائرة على الألسن بلفظ «المساواة في الظلم عدل» ويضُرب هذا المثل في تهوين الشرّ إذا كان مشتركاً، وأنّ المصيبة إذا عمّت هانت وإذا خصّت تضاعفت آلامها. والمثل يشير إلى فلسفة المجتمع في المطالبة بالمساواة في المعاملة حتى لا يُظلم البريء مع الظالم.

وكثيراً ما يحدث أن يكون الأبرياء ضحايا غيرهم خاصة في حالة الحرب، وفي مثل هذه الحالة يقول مثل:

الحربُ غشومٌ[3]

---

(١) العبودي، الأمثال العامية في نجد، ص ٢٦٥.

(٢) العبودي، ص ٢٢٦/ عبد الكريم الجهيمان، جـ٢، ١١٦.

(٣) الزمخشري، جـ١، ص ٢٠٦.

وذلك لأنها تنال بالمكروه من لم يكن له فيها جناية، ومثله قول الشاعر:

فإنّ الحرب يَجنبها أُناس ويصلى حرّها قوم بُراءُ

وقريب من هذا المعنى قول النّابغة الجعدي:

ألم تعلموا ما ترزأُ الحربُ أهلها وعندَ ذوي الأحلام التّجاربُ
لها السّادةُ الأشَرافُ عليهمُ فتهلِكُهم والسابحات النَجائبُ
وتستلب المال الذي كان رَبُّه ضنيناً به والحرب فيها الخرائبُ

وهناك مثل عاميّ يُعطي نفس المعنى يقولون فيه:

ما في القبور من مُظلّمة(*)

والمقصود بالمثل أنّ هناك الكثير ممّن ظلموا وليس لهم ذنب اقترفوه. أمّا قولهم:

ظُلمات بعضها فوق بعض(١)

فهو مثل يُضرب إذا كان هناك جاهلٌ يرشد جاهلاً آخر، والمثلُ يُضرب إذا قام بالنصح شخص أقل علماً ودراية وفهماً من المنصوح نفسه.

ولأنّ الظّلم غير مُستحب، ويجب أن لا ينخدع الظّالم بالانتصار بما قامَ بِهِ من عملٍ، قال العرب:

إنّك لا تجني من الشّوك العنب(٢)

وهذا المثل لأكثم بن صيفي، ومعناه أنّ الظالم يجب أن يحذر التّباهي بإنتصاره لأن الظّلم لا يعتبر مكسباً لصاحبه، ويقول الشاعر في ذلك:

إذا وتَرْتَ أمرءاً فاحذر عداوته من يزرع الشّوك لا يَحْصدْ به عِنَبا

وغالباً ما تكون نتائج الظّلم عكسيّة وتؤدي بالظالم إلى أسوأ الأمور، والمثل الدّارج في ذلك يقول:-

---

(*) من الأمثال المتداولة.

(١) عبد الكريم الجهيمان جـ ٢، ص ١١٧.

(٢) العسكري، حـ ٢، ص ١٠٥/ ابن سلام ص ٢٧٠.

من حَفرَ مِغَواةً وقَعَ فيها [1]

والمغواة هي البئر تُحفر للذّئب ثم يُجعل فيها جَدي فيسقط الذّئب فيها طمعاً في الحصول على الجدي. ويُضرب المثل لكلّ من يريد إيقاع غيره في مأزقٍ أو مشكلة فيقع نفسه وينطبق بحقه القول: «على الباقي تدور الدوائر».

شبيهٌ بالمثلِ السّابق قولهم:

يا حافر حفرة السوء احذر تقع فيها(*)

وذلك لأن المكر المسيء لا يحيق الاّ بأهله. وأمّا قولهم:

الظّلم ظُلمات يوم القيامة [2]

فيحمل التحذير عن الظّلم وأنّ عواقبه وخيمة في الدار الآخرة، لذلك يجب الابتعاد عن الظّلم في الدّنيا احتسابا للنتائج التي سيجدها الظالم يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وفي حالة الانتصار على الظّالم تداول الناس الأمثال الدالة على ذلك، فقالوا:

هذه بتلك والبادىء أظلم [3]

ومعنى المثل أنّ ما حدث ما هو إلا الجزاء المناسب لما قُمت بهِ من عملٍ. ويقول الشّاعر:

وكنت إذا قومي غزوني غزوتهم فهل أنا في ذَا يا لهَمدان ظالمُ
متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حَمّياً تجتنبك المظالِمُ

---

(1) ابن سلام، ص ٢٧٠.

(*) من الأمثال المتداولة.

(2) عبد الكريم الجهيمان، جـ٢، ص ١١٧

(3) ابن سلام، ص ٢٦٧.

١٢- ردود الفعل السلبيّة

ردود الفعل السلبيّة هي ما ينعكسُ على المرءِ من سوء الجزاء أو العِقاب نتيجة ما يقوم به من عمل نحو غيره. وهي بمعنى آخر قيام الإنسان بالعمل مخلصاً في صالح غيره وتكون نتيجة ذلك وبالاً عليه على عكس ما كان يتوقعه من حُسن الجزاء. ومكافأة العمل الطيب بأحسن منه موضوع يحثنا عليه الدين الإسلامي، فيقول تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[1]. ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: من أتى إليه معروف فليكافىء به[2]. وبما أنّ سلبيّة النّتائج لا تتّفق مع المنطق ولا يمكن تَقبُّلها في أيّ مجتمع، فقد تداول النّاسُ الأمثال المُعبّرة عن مدى أثر في ذلك المعاملات بين النّاس ومكافأة كل امرىء بما يستحقّه. ومن أمثال العرب في ذلك قولهم:

ما لي ذنبٌ إلاّ ذنب صُخْرٍ[3]

وصُخْر اسم امرأة ذكَر قصّتها الأصمعي على أنّها صُخْر ابنة لُقمان العادي وكان أبوها لُقمان وأخوها لُقيم خرجا مُغيرين فغنم لقيم وأخفق أبوه، فسبقه لُقيم في العودة إلى المنزل، فعمدت صُخْر إلى جزورٍ من غنيمة أخيها فنحرتها وصنعت منها طعاماً يكون معداً لطمها يعود تُتحفه به. فلمّا عاد وعرف بأنّها صنعت طعاماً من غنيمة لُقيم لطمها لطمة قضت عليها، فسارت عقوبتها مثلاً لكل من يُساء إليه وهو بريء. وقال الشّاعر في ذلك:

أتجمع تهياماً بليلي إذا نأت وهُجرانها ظلماً كما ظُلِمَت صُخْر

---

(١) سورة الرحمن، آية رقم ٦٠.

(٢) مسند الامام أحمد بن حنبل، جـ ٦، ص ٩٠.

(٣) ابن سلام، ص ٢٧٢. / العسكري، جـ ٢، ص ٢٦١/ الزمخشري، جـ ٢، ص ٨٦.

وقال خفاف بن ندبة السُّلميّ:

وعبَّاسٌ يُدِبُّ ليَ المنايا ... وما أذنبتُ إلّا ذنب صُحْرِ

ومن الأمثال التي تفيد في هذا المعنى والمتداولة منذ القدم قولهم:

جزاء سنِمَّار[1]

وقصّة هذا المثل أنّ سِنِمّار، رجل روميّ الأصل، بنى قصر الخوَرنق بالكوفة وقيل بالحيرة للنّعمان بن امرىء القيس، فلّما نظر إليه النّعمان استحسنهُ وكَرِهَ أنْ يَعملَ مِثلَهُ لغيرهِ فألقاه من أعلى القصر فخرّ ميتاً، وقال عبدالعزيز بن امرىء القيس الكلبيّ في ذلك:

جزاني جزاه الله شرّ جزائه ... جزاء سِنِمّار وما كان ذا ذنب
سوى رصّه البنيان سبعين حجة ... يَعُلُّ عليه بالقراميد والسكب
فلمّا رأى البنيان تم سُحُوقه ... وآض كمثل الطود ذي الباذخ الصّعب
وظنّ سِنِمَّار متى تم أنّه ... يفوز لديه بالمودّة والقرب

فقال اقذفوا بالعلج من رأس شاهق فذاك لعمر الله من أعظمِ الخطب، ويضرب المثل لسوء الجزاء لمن يُبلي البلاء الحسن في إنجاز عملٍ مّا لغيرهِ وتكون نتيجة عمله في غيرِ صالحه.

وفي حالة مُعاقبة المرء بذنبٍ اقترفه غيره، فإنّ الأمثال العربية تحث على ضرورة معرفة الجاني حتى لا يؤخذ البريء بجرم المجرم. والمثل المتداول في مثل هذه الحالة يقول:

جانيكَ منْ يَجني عليك[2]

وهذا المثل يعبر عن وجوب الحذر في مُعاقبة المرء بذنب غيره، ومعناه أن لا تُنقل عقوبة الجاني إلى غيره من النّاس لأنّ الجاني هو المسؤل الأول والأخير عن قيامه بعمل الجناية. والمثل مأخوذ من شعر ذؤيب بن كعب بن عامر الذي يقول فيه:

---

(١) ابن سلام، ص ٢٧٣/ الميداني، جـ ١، ص ٢٨٣.

(٢) ابن سلام، ص ٢٨٣. / الميداني، جـ ١، ص ٣٠١.

جـانيـكَ منْ يَجني عليـكَ وقـد تُعْـدى الصِّحَـاحَ فتجـرَبُ الجُـربُ
والحـرب قـد تضـطر جـانيهـا إلى سـوء المضيـق ودونها الـرُّحـبُ[1]

ويؤيد ذلك قول الشّاعر:

جنى ابن عمّـك ذنبـاً فـابتُليت بـه إنّ الفتى بـابن عمّ السُّوءِ مـأخـوذُ

والأبيات الشّعرية في الأدب العربي كثيراً ما تُعبّرُ تعبير الأمثال في معانيها، ومثل ذلك شعر النّابغة الذّبياني في قوله:

حمـلت عـليّ ذنبـه وتـركتـه كـذي العُرّ يُكـوى غيره وهـو رَاتِعُ[2]

والعُرّ هو بعض القروح تُصاب بها الإبل في مَشافِرها، وكان العرب إذا فشى هذا الدّاء في إبلهم أخذوا بعيراً صحيحاً وكووه بحيث تَنظُرُ إليه الإبل فتبرأ جَميعُها، ويقول الكُميت في ذلك:

ولا أكـوى الصحّـاح بـراتعـاتٍ بهـنّ العُـرّ قـبـلي مـاكُـوينـا[3]

وللنّهي عن مُعاقبة المُحسن بالجزاء السيىء يقول المثل:

لا تبل في قُليبٍ شَرِبتْ مِنُه[4]

والمقصود بالمثل التّحذير من الذمّ والإساءة لمن يقوم بالعمل الطيّب ويسدي المعروف إلى غيره. والقُليب هو البئر، والتي يَجِبُ المحافظة عليها كمصدر للماء الذي نشربُ منه.

وعمل المعروف مع ضُعفاء النّفوس قد لا يكون مُجدياً، فبدلاً من الشّكر على ما قُدِّمَ لهم من معروف أو عمل طيب، أو على الأقل التزام الصّمت، تجدهم يقومون بردود فعل سلبيّة مثل العقاب أو أيّ نوع من أنواع الإساءة مكافأة لمن أسدَى إليهم معروفاً. والمثل المتداول في مثل هذه الحالة. يقول:

---

(١) العسكري، جـ١، ص ٣٠٧.
(٢) ابن سلام، ص ٢٧٣. / الميداني، جـ٣، ص ٤٩.
(٣) ابن سلام، ص ٢٧٣. / العسكري، جـ٢، ص ١٥٣.
(٤) الزمخشري، جـ٢، ص ٢٥٣. / الميداني، جـ٣، ١٥٢.

جزاء المعروف سبعة كُفوف(*)

وإذا لم يجُد عمل المعروف مع بني الإنسان فقد لا يجْدي مع الحيوان، والمثل الذي يؤيد ذلك يقول:

سَمّن كلبكَ يأكُلك(1)

وقصّة هذا المثل أنّ رجلاً من طَسْم ربّى له كلباً واعتنى بطعامه ورعايته رغبة في استخدامه للصيّد، فجاع الكلبُ يوماً وفقد اللّحم فجاء إلى صاحبه فوثب عليه وافترسه. ويُضرب هذا المثل لمن يُنكر المعروف ويسيء الجزاء لصاحبه.

ومثل الأمثال السّابقة أوجدت عند النّاس ردود فعل قوية ممّا جعل البعض من النّاس يُنادي بأنّ عمل الخير قد يُؤدي بصاحبهِ إلى ما قد يكره، ويقول المثل الدّارج في ذلك:

لا تعمل خير شر ما يجيك(2)

ويقال هذا المثل خوفاً من ردود الفعل السلبيّة التي ربّما تُسيء إلى المرء نتيجة فعله للخير. وهذا المثل في الحقيقة نوعاً من التشاؤم والظنّ السيء بالنّاس في حالة عمل الخير، إلاّ أن تداوله بين النّاس لا بد وأنّ فيه بعض جوانب الصّحة. ولو لم يكن هنالك بعض الحوادث التي تؤيد صحة الأمثال في كُفران النّعمة وسوء الجزاء لفاعل الخير لما تداول الناس هذه الأمثال في المناسبات الخاصّة بها. ومع أنّ لِكُلّ مثل قصة أو حادثة إلاّ أنّه مع مرور الزّمن قد ينسى النّاس معظم الحوادث التي ضُرب بموجبها المثل ويبقى القلّة منها مدوناً في كُتب الأدب أو في ذكريات الناس جيلاً بعد جيل.

(*) من الأمثال المتداولة.

(1) ابن سلام، ص ٢٩٦/ الميداني، جـ٢، ١٠٦.

(2) عبد الكريم الجهيمان، جـ٢، ص ٣٣٠. وما يزال هو المثل على ألسنة الناس في وقتنا الحاضر.

١٣- التسرع في الأمور

التسرّع بمعنى الاستعجال والعجلة سواء في القول أو العمل، وهي من العادات التي لا يحقق الإنسان بها أيّ نجاح. ومن يتخذ العجلة صفة لأعماله فهو الخسران في النهاية. والتسرع في الأمور يشمل أشياء كثيرة، فهناك التسرّع في الكلام وهناك التسرع في إنجاز الأعمال، وغالباً ما تكون نتيجة التسرع في كليهما سلبية لأنها لم تتم على أساس متين من التروّي والتريّث في الكلام والإتقان في العمل. وفي العصور الحديثة دخل في مضمار التسرّع نوع جديد من التصرّف الإنساني، هذا النوع هو السرعة أثناء قيادة السيارات وغيرها من الآلات المتحركة، ونتائج التهوّر في ذلك من أسوأ النتائج المتعارف عليها في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لما له من آثار وخيمة تجمع بين الخسارتين المادّيّة والروحيّة، ولو كان التسرع في الأمور والعجلة في اتخاذ القرار من المبادىء السليمة لما نهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك في مواضع كثيرة في كتابه الكريم. فيقول تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾[1]. وقال تعالى مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً﴾[3]. والعجلة غير مفضلة حتى في الدعاء إلى الله جل وعلا، فيقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي»[4]. وقال صلى الله عليه وسلم:

(١) سورة طه، آية رقم ٨٣.

(٢) سورة الأحقاف، آية رقم ٣٥.

(٣) سورة الاسراء، آية رقم ١١.

(٤) صحيح مسلم، جـ١٧، ص٥١.

«العجلة من الشيطان» .

والأمثال التي تداولها الناس في العجلة كثيرة ومتشابهة إلى حد ما في معظم المجتمعت الإنسانية لأنها تشكل قاسماً مشتركاً يؤدي إلى أسوأ النتائج في كل زمان ومكان، واستخدمت الأمثال في ذلك للعبرة والعظة التي قد تؤثر في العقلاء من الناس لتجنب هذه العادة السيئة.

وأحسن الأقوال وأفضلها في التعبير عن سلبية التسرع في الأمور قول المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف الذي أصبح مضرب الأمثال:

العجلة من الشيطان[٢]

وهذا الحديث الذي أصبح متداولاً بين الناس كالمثل ورد في حديث رواه البيهقي في شعب الإيمان ورواه الجاحظ في البخلاء في معرض كلامه لموسى بن جناح قال: لا تعجلوا فإن العجلة من الشيطان. وورد الحديث في باب البر في صحيح الترمذي، وذكر الجهشياري: أنّ ابراهيم بن ميمون الموصلي حصل على مال من قبل جعفر البرمكي فأشار عليه بعض أصحابه أن يشتري به ضيعة كان يتمنى شراءها فقال: العجلة من عمل الشيطان، دعني أستمتع بهذا المال مدّة. وروي عن حاتم الأصم أنّه قال: العجلة من الشيطان إلا في خمسة أشياء فإنها من السنة: إطعام الضيف إذا حل، وتجهيز الميّت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب[٣] .

ووصفت العجلة بأنها من عمل الشيطان لأنه دائماً يسعى لإغراء الإنسان بأي وسيلة يمكن أن تؤدي إلى انحرافه وإفساد عمله. والشيطان معروف عنه بأنّه عدو الإنسان منذ أن خُلِقَ آدم عليه السلام، فقد أُمِرَ بالسجودِ لآدم ولم

---

(١) الترمذي، باب البرّ، ص ٦٦.
(٢) هاني العمد، ص ٣٥٦./ العبودي، ص ١٧٠/ تيمور، ص ٢٤٠.
(٣) العبودي، ص ١٧٠/ عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ١٢٥.

يسجد، وتسبب في إخراجه من الجنّة، وأخذ على نفسه وعداً بأن يعمل على إغواء الإنسان عن طريق الهدى والحق. واستعمل الناس هذا القول (العجلة من الشيطان) كمثل يضرب لبيان مساوىء التسرع في الأمور والحث على التفكير وتقدير الأمور قبل تنفيذ العمل.

وممّا قاله العرب في سلبية التسرّع في الأمور:

العجلة مذمومة[1]

والمقصود بذلك أنّ الإنسان قد يستعجل في أداء عمله فيؤديه على غير ما يرام وقد يذهب كل ما قام به سدى وكأنّه لم يعمل شيئاً. وفي غير العمل فالعجلة في اتخاذ القرار عمل غير سليم، ومثل ذلك قطيعة الرحم والمواصلة بين الأقارب والأصدقاء. فقد يتسرع المرء الى قطيعة غيره من الأصدقاء والأقارب بسبب وشاية بلغته ثمّ يتضح له بعد ذلك أنّ الوشاية كاذبة ممّا يجعله يندم على تسرّعه في إعطاء الأحكام غير الصحيحة كل ذلك بسبب العجلة في اتخاذ قرار المقاطعة.

ولأن التسرّع في الأمور يؤدي إلى الضياع وعدم تحقيق الإنسان لرغبته فالمثل يقول في ذلك:

العجلة تنفر الحجلة(*)

والحجل نوع من الطيور التي توجد غالباً في المناطق الجبلية، وللحصول عليه يقوم القنّاصون بوضع أنواع من الحبوب في أماكن يكثر فيها هذا النّوع من الصيد، وعندما يعتاد الحجل هذا المكان يُخفي الصيّاد نفسه في مكان قريب يرى من خلاله الحجل وهو في مأمن من رؤية الحجل له. وبما أنّ هذا النّوع من الطيور شديد الحساسية بحيث إنّه إذا سمع أيّ صوت مزعج أو حركة بسيطة فإنّه يطير وينتقل الى مكان آخر، وعندما يتسرّع بعض الصيادين في حركته عند

---

(١) العبودي، ص ١٧٠/ عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ١٢٤.

(*) من الأمثال المتداولة عند سكان المنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية.

رؤية هذا النّوع من الطيور فإنّه يحدث صوتاً يؤدي إلى طيران الحجل. والمثل يضرب لتوضيح أثر العجلة في ضياع ما يتمناه الإنسان وما يصبو إلى تحقيقه.

ويتفق مع المثل السابق قولهم:

في التأني السلامة وفي العجلة النّدامة

أو:

من تأنّى نال ما تمنّى(١)

والمعنى في كلا المثلين واحد والمقصود أنّ الذي يتريّث في أموره ويسير في عمله بخطى ثابتة سيحقق هدفه وسينال مطلبه، وذلك عكس من يتخذ صفة السرعة في الأمور منهجاً له. وتضرب مثل هذه الأمثال للتريث والتأني في الأمور والسير فيها بحكمة وتعقل.

ومن الصفات المذمومة أن يتسرّع المرء في إطلاق الحكم على الشيء قبل معرفته الكافية عن ذلك الشيء حتى يكون حكمه صحيحاً أو قريباً من الواقع. ويقول المثل في ذلك:

سيله يسبق عجاجه

أو:

سيله يسبق وبله

أو:

سبق سيله مطره(٢)

والسيل معروف، والعجاج هو الرّيح الشديدة التي يصحبها الغبار، والوبل هو الرذاذ الذي ينزل من السّحاب. وتضرب هذه الأمثلة للسريع المتأثر الذي يفعل قبل أن يقول ويفتك قبل أن يهدّد ويسرع في اتخاذ القرار دون دراسة ومعرفة بمختلف الجوانب قبل ذلك.

---

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ٣، ص١٤٢.
(٢) عبد الكريم الجهيمان، جـ٢، ص ٣٠/٣٤.

وقد يقصد الإنسان من التسرّع في الأمور الإنجاز في العمل ولكنه لا يعلم أنّ تسرعه قد يؤدي إلى التعطيل وتأخير ما كان يستعجل إنجازه، والمثل الذي يعبّر عن ذلك يقول:

العجلة عطلة (١)

والمقصود بالمثل أنّ الإنسان المستعجل في أموره قد يقع في الإرباك أو السهو ممّا يجعله يستأنف ما شرع فيه مرّة أخرى وذلك يؤدي إلى تعطيل عمله وإضاعة وقته.

ومن الأمثال العربية القديمة التي تعطي نفس معنى المثل السابق قولهم:

ربّ عجلة تهب ريثا (٢)

والرّيث هو الإبطاء، ومعنى ذلك أنّ العجول لا يحكم الأمر فيحتاج إلى إعادته فيطول عليه، والمثل لمالك بن عمرو بن عوف بن محلم، وذلك أنّ أخاه عندما تزوج تسرّع في رحيله إلى مكان آخر ولم يسمع للنصيحة من أخيه مالك بالتريّث، فلم يلبث إلا يسيرا حتى عاد وقد أخذ أهله وماله، فقال مالك: «ربّ عجلة تهب ريثا» فذهبت قولته مثلا لمن يستعجل في تصرّفه بدون تأنّ وحكمة. ويقابل هذا المثل عند العامية قولهم:

تمشي وتدوم خير من آن تعدو ولا تقوم

---

(١) تيمور، ص ٢٤٠.

(٢) الزمخشري، جـ ٢، ص ٩٧/ الميداني، جـ ٢، ص ٣٦.

١٤- نقد الغير وتجاهل الذات

من الملاحظ أنّ البعض من النّاس لا يتورعون عن ذمّ الغير بالنقائص مُتجاهلين ما يتّصفون به منها أو من بعضها. واتباع هذه الطّريقة غير المشروعة والتي تتنافى مع الأخلاق والقيم السّليمة غالباً لا تُسيء إلى الموصوف أكثر من أثرها على القائلين بها. ويقول الله تعالى في محكم آياته: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهنّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يَتُب فأولئك هم الظالمون﴾[١]. وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوقِ ولا يرميه بالكفر إلاّ ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»[٢]. ويقول الشّاعر:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم[٣]

ولأن النّقد للآخرين يُؤثر على القائل والمقول فيه بالسّمعة السّيئة، فقد عبّرت الأمثال عنها في كثير من المناسبات حثّاً على تجنّب هذهِ الطريقة وفي نفس الوقت تشميتاً لمن يُمارسها، ومن هذه الأمثال قولهم:

كلّ عود فيه دخان[٤]

وهذا المثلُ يقال عندما ينتقد الإنسان غيره بشيء هو فيه، فيكون الرّد عليه بهذا المثل لكي يَكُفّ الحديث عن غيره. ويضرب كذلك مثلا للشّخص لا تظنّ

---

(١) سورة الحجرات، آية رقم ١١.

(٢) صحيح البخاري، جـ ٤، ص ٥٧.

(٣) الهاشمي، جـ ٢، ص ٤٢٥.

(٤) هانيء العمد، ص ٤٥٠. / عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ٢٨٦.

فيه شرّا فإذا عرفته على حقيقته اتضح بأنه غير ذلـك الشّخص الذي تتـوقع فيـه الخير والصلاح.

وعندما يَحتدّ النّقاش بين اثنين من النّاس ويبدأ أحدهما بـالتقريض في الآخـر. بقولِ السّوء والوصف الذّميم يكون الرّد عليه بالمثلِ القائل:

كل شاة معلّقة برجلها[1]

أي أنّ كلّ إنسان سيؤاخذ بذنبـه ولا يمكن أن يُؤاخذ بـذنبِ غيره. ويُضرب المثل للعدل والإنصاف ومعاملة المسيء بما يستحق، أما غيره من النّاس ،فذنبهم على أنفسهم وأنّهم كما يقول المثل:

كُلٌّ ذنبه على جَنبهِ[2]

وهذا المثل يحثُّ على عدم التَعرُّض لمشاكـل غيره بـالذمّ فكـلّ إنسان مسؤول عن ما جنته عليه يداه.

ووجهة نظر المـرء في غيره من النّـاس وحديثـه عن الغير تُشـير إلى بعض من صفاته التي يتميز بها نفسه، وقيل في مثل ذلك:

كُلّ يرى النّاس بعينِ طَبعهِ[3]

لأن من تتغلغل الشّكوك في نفسه يظنّ أنَ النّاس كلّهم ينظرون إليـه بريبـة، ولذلك فهو يُطلقُ أحكامه على غيرهِ وفقاً لما يتّصف بـه. والـذي يُضمِـرَ الإساءة للنّاس غالباً ما يظن أنّ النّاس يضمرون الإساءة لـه، والذي يحقد على النـاس ولا يُريد لهم الخير يظن أنّ الناس يبادلونه نفس مشاعره. والمثـل يُشير بذلك إلى أنّ الناس معادن فـالطّيب لا يـرى في النّاس إلاّ الجـانب الطيّب والخبيث يَنـظرُ إليهم بمثل ما يتّصف به نفسه.

ويتّفق مع المثل السّابق قولهم:

---

(١) السباعي، ص ٦٩/ عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ٢٨٩.

(٢) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ٢٩٢.

(٣) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ٢٩١.

كُلّ إناء ينضح بما فيه[1]

ومن يتّتبع عيوب غيره غير مبالٍ بما يتّصف به من العيوب فيقول فيه المثل:

كُلّ حب فيه سُوس[2]

والسُّوس دويبة صغيرة تُخلَقُ في الحبوبِ إذا طال عليها الزّمن ولم تحظى بالعناية والنّظافة الكافيتين، والمثل يُضرب للمرء يرى عيوب غيره مُتجاهلاً عيوبه.

وإذا لم يتورّع الإنسان عن النّقد والاحتقار لغيره ومدح نفسه أكثر من اللاّزم فالمثل يقول:

كُلّ إنسان في نفسهِ سلطان[3]

والمقصود من المثل أنّ لِكُلِّ إنسان كرامته وذاتيّته التي يعتقد أنّها أفضل من غيره من النّاس، ولذلك ليس من الواجب احتقار المرء لغيره مهما كانت صفاته، فقناعة المرء بحياته على الرغم مما يتّصف به موجودة وتصوّره بأنّه لا مثيل له ظاهرة لا يمكن إنكارها، وممّا قيل في مثل ذلك:

كل برغوث على قدّ دمه[4]

أي كل برغوث يَحملُ من الأحمالِ بمقدار ما فيه من الدّم، والمراد أنّه لا يخلو أحد من الهموم والمشاكل والمزايا الخاصة به سواء كان فقيراً أو غنياً أو معافى أو مريضاً.

وعندما يتباهى البعض بأنّهم أفضل من غيرهم مُتجاهلين السّلبيّات التي يتّصفون بها فإن ذلك مردّه إلى الغرور والإعجاب بالنّفس، والمثل الدارج الذي يُعبر عن هذه الحالة يقول:

---

(١) السباعي، ص ٧١.

(٢) عبد الكريم الجهيمان، جـ٢. ص ٢٩٥.

(٣) تيمور، ص ٣١٧ / السباعي ص ٧.

(٤) تيمور، ص ٣١٧.

كُلّ حارة ولها غجر[1]

والحارة هي المحلة ومكان السكنى، والغجر هم طائفة معروفة بالسّفاهة وسوء الأخلاق. والمراد بالمثل أنّ كُلّ مكان وكُلّ أسر وكُلّ مجتمع لا يخلو من وجود الصالح والطالح وأنّ وجود الفاسد ليس بدليل على رداءة الجميع.

وقد ينسى الإنسان نفسه وأسرته وما يتصفون به من بعض الصفات والأخلاق السيئة ويتعمد الحديث عن الغير بأرذل الصفات، وفي ذلك يقول المثل:

ولا شجرة إلّا وهزّها الرّيح[2]

.والمقصود بالمثل التّذكير لمن يُندّد وينتقد غيره في عملٍ ما أو تصرّف سلبي بأنّ مثل هذا العمل أو التصرّف موجود في كُلِّ أسرة وهي ظاهرة عامّة لا يخلو منها أحد. والمثل يُضرب لمن يتصوّر الكمال في ذاته والنّقص في غيره علماً بأنّه في الواقع يعيش نفس المساوىء التي ينفيها عن نفسه.

---

(١) تيمور، ص ٣١٨.
(٢) تيمور، ص ٣١٩.

١٥- إضمار السوء للغير

الإضرار بالناس من الأعمال التي تتنافى مع الأخلاق الإسلامية، وهي صفات الأشرار من الناس الذين لا يقر لهم حال ولا يهدأ لهم بال إلا بعد تحقيق الإساءة إلى غيرهم سواء بالقول أو العمل. وإضمار السوء للغير هو قيام المرء بتدبير المكائد وانتهاج أسلوب المكر والحيلة والخيانة لتوريط غيره من الناس في الشر. ولكن المتعارف عليه أن من يتخذ هذه الصفة في حياته مسلكاً، يعيش في الغالب حياة غير مستقرة وقد يجني ثمار عمله السيىء على نفسه. يقول الله سبحانه وتعالى في محكم آياته: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾[١]. ويقول تعالى: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾[٢]. ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: اذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها[٣]. ويقول كذلك: من يعمل سوءاً يجز به في الدّنيا[٤].

ولما لهذه العادة السيئة من أثر ملحوظ في حياة الناس فقد تداول الناس فيها الأمثال التي تحمل في كلماتها العبرة والعظة وتحث في معظمها على الابتعاد عنها. ومما قيل في أولئك الذين يهتمون بتدبير المكائد ضد غيرهم:

من حفر مغواة وقع فيها[٥]

---

(١) سورة فاطر، آية رقم ٤٣.
(٢) سورة النحل، آية رقم ٤٥.
(٣) صحيح البخاري، جـ ١، ص ١٧.
(٤) مسند الامام أحمد بن حنبل، جـ ١، ص ٦.
(٥) ابن سلام، ص ٢٧٠ / العسكري، جـ ٢، ص ٢٨٩.

قال أبو عبيد: أصل المغواة البئر التي تحفر للذئب ثم يجعل فيها جدى أو غيره فيسقط الذئب فيها من أجل الجدي فيصبح هو نفسه فريسة فيصاد.

ويلفظ المثل أحياناً بقولهم:

من حفر لأخيه حفرة وقع فيها

أو:

يا حافر حفرة السوء احذر تقع فيها(*).

والمقصود بالمثل أن من يحاول إيقاع غيره في مشكلة ما أو مصيبة، فغالبا ما تدور الدائرة عليه نفسه فيصبح هو المتورط في مثل هذه المشكلة أو المصيبة. ويضرب المثل للمكر السيىء لا يحيق إلا بأهله، وأن الذي يريد إيقاع غيره في المشاكل تكون النتيجة أن يبلى بما يريد أن يبتلي به غيره. ويقول الشاعر في ذلك:

فلرب حافر حفرة هو يصرع(١)

وقريب من المثل السابق قولهم:

عاد الرمي على النزعة

أو:

عاد السهم الى النزعة(٢)

والنزعة أي الرّماة، ومعناه رجع على الرّماة رميهم، ويضرب المثل لمن أراد شراً لغيره فوقع فيه.

والتعرّض للغير بالسوء قد يجعل لدى الطرف الآخر ردود فعل قوية وعدم استسلام لما قام به البادىء بالعمل السيىء وتكون النتيجة مضاعفة الجزاء للمبتدىء. وفي مثل ذلك يقول المثل:

(*) من الأمثال المتداولة.

(١) ابن سلام، ص ٢٧٠.

(٢) ابن سلام، ص ٢٧١ / الميداني، جـ٢، ص ٣٤٤.

من أعطانا بالمدّ أعطيناه بالصاع[1]

وينطبق هذا المثل على الخير والشرّ بالسواء، فمن عمل الطيب يكون جزاؤه بأحسن منه ومن عمل الخبيث يكون جزاؤه أكثر خبثاً. ويضرب المثل على أساس أن الجزاء من جنس العمل. ويقول في مثل هذه الحالة الشاعر الشعبي راكان بن حثيلين:

حريبنا حنا لعينه قذاها   وان كالنا بالمدّ نوفيه بالصاع[2]

وبما أن الجزاء من جنس العمل فكرة متعارف عليها وتحدث في معظم الحالات، تداول الناس المثل القائل:

من دق باب الناس دقّوا بابه

ومعناه أن من يعامل الناس بمعاملة سوف يعاملونه بمثلها أو أقسى منها. ويضرب المثل للخير يجزى بالخير والشرّ يجزى بمثله. وفي نفس الوقت يحث المثل على تجنّب الإضرار بالناس قولا أو عملاً. وقال في ذلك الشاعر الشعبي محمد ابن لعبون:

خذ ما تراه وخلّ عنك الخماكير   من شق ثوب الناس شقوا وزاره[3]

وقرين الإساءة إلى الغير، التشمّت على الناس فيما يصابون به من الأقدار ونوازل الدّهر. والشامت في هذه الحالة قد لا يختلف عن المسيء في تعرضه لما أصيب به غيره. ومن الأمثال العامية التي قيلت في مثل ذلك قولهم:

لا تفرح بالمصيبة في مصر تجيك تحت القصر(*)

والمقصود أن الشماتة على الغير في أمر من الأمور قد تؤدي بالشامت للتعرّض

---

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٣، ص ١٥٨

(٢) نفس المصدر، ص ١٥٨.

(٣) نفس المصدر، ص ١٣٧.

(*) من الأمثال المتداولة.

لما تعرض له غيره يوماً من الأيـام فيصبح مـوضع الشـماتة للغـير. ويضرب المثل كذلك للحث على الابتعاد عن تتبع أمور الناس ومشاكلهم.

ويتفق مع المثل السابق قولهم:

لا تشمت بأخيك يعافيه الله ويبتليك(1)

والمقصود بأن الشـماتة بمن أصـابته مصيبـة من مرض أو غـيره إنما هي إسـاءة للغير.وليست من أخلاق الـرجال وأن عـاقبتها سيئـة على الشـامت فقد يصـاب بمثلها أو أكبر منها.

والإسـاءة إلى الغير أو الشـماتـة بـالغـير قـد تؤدي إلى العـداوة التي لا تحمـد نتائجها، وتشعل الفتنة والبغضاء والقلق المستمر. ويقول المثل في مثل ذلك:

من عادى الرجال ما ينام الليل(2)

أي من أضمر السوء لغيره فقد أصبح عدواً، ومن أصبـح عدواً أتعب نفسـه وسهر الليالي خوفاً وقلقـاً من موقف الأعـداء منه. والمثـل يضرب في ذمّ الإساءة والمعاداة وتجنبها. ويقول الشاعر في ذلك:

ولم أر في الخـطوب أشـدّ هـولا   وأصعب من معاداة الرجال

وأما المثَل العاميّ القائل:

من قدّم فراش يقعُد عليه

أو:

من قدّم السبت يلقى الأحد قدامه(*)

فالمقصود أنّ من يضمر السوء ويعمل به ضدّ غيره فإنّه سينال جزاء عمله ولو بعد حين، ويشمل المثل كـذلك فعـل الخير مـع الغير سيكـون الجزاء من حبس

(1) عبد الكريم الجهيمان، جـ٣، ص ٣٣٥.
(2) تيمور، ص ٣٨٩.
(*) من الأمثال المتداولة.

العمل. وأشار القرآن الكريم الى مثل هذه الحالات في قوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾[1].

---

(١) سورة فصّلت، آية رقم ٤٦.

١٦- التدخل في شؤون الآخرين

تدخل المرء في شئون غيره من الأمور التي لا يجب التسرع فيها لما في ذلك من نتائج قد لا تكون مرضية. والتدّخل في شئون الغير قد تكون واجبة إذا كان في ذلك إنقاذ من هلاك، أو إصلاح ذات البين، أو كلّ ما نتيجته الخير والفضيلة ويقول الله تعلى: ﴿إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين إخويكم﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾[2]. وقال تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقةٍ أو معروف أو إصلاح بين النّاس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فَسوفَ نؤتيه أجراً عظيما[3]. وقال صلّ الله عليه وسلّم: ليس الكذّاب الذي يُصلح بين النّاس فَيُنّمي خيراً أو يقول خيراً[4]. وما عدا ذلك فإن التدّخل في شئونِ الغير قد يُؤدي إلى إشعال الفتنة وكشف أسرار النّاس، وإلحاق الضرّر بالنفس والغير وتحقيق كلّ ما لا يعود بالمصلحة على الفرد والجماعة على حد سواء.

والتدخّل في شئون الآخرين ظاهرة عامة لا يمكن إنكارها ومنتشرة في كلّ المجتمعات الإنسانية على مرّ العصور التّاريخية وعلى مختلف المستويات ابتداء من الأفراد والأسر وكذلك المجتمعات والشعوب. ولعموميّة هذه الظّاهرة وآثارها المباشرة وغير المباشرة، تداولّ النّاس فيها الأمثال الكثيرة والتي في الغالب تَحملُ صفة التّحذير من اتباع هذه العادة السيئة، وتعكس في نفس الوقت آراء النّاس وتجاربهم في هذا المجال، ومما قاله العرب في ذلك:

من تعرّض فيما لا يَعنيه لَقِيَ ما لا يُرضيه[5]

(١) سورة الحجرات، آية رقم ١٠.

(٢) سورة الأنفال، آية رقم ١.

(٣) سورة النساء، آية رقم ١١٤.

(٤) صحيح البخاري، جـ٢، ص ١١١.

(٥) تيمور، ص ٤٢٣. ومن لسان العامة «من تدخل فيما لا يعنيه ـ يسمع ما لا يرضيه»

والمقصود بهذا المثل أن لا يتسرّع الإنسان في بعض المواقف ويَزجُّ بنفسِه في بعض الأمور التي قد تُسيء إليه، لأن التزامه الحياد قد يكون من أفضل الطّرق التي بواسطتها ينجو من التورّط في المشاكل التي لا علاقة لهُ بها. ولولا التّجربة القاسية التي يُلاقيها من يُقحمْ نفسه فيما لا يخصّه، لما تداولَ النّاس هذا المثل.

ويتّفق مع المثل السّابق في المعنى قولهم:

يا داخل بين البصلة وقشرتها ما يَنوبك الا صَنّتها[1]

وصنّتها بمعنى ريحتها المزعجة، والمثل من الأمثال العاميّة، ويضرب عند تدخل المرء في ما يحدث بين الأقارب والأصدقاء وشئونهم الخاصة بهم وهو أمر قد لا يعنيه وقد يجني على نفسه بما يُسيء إليه من جرّاء تدخّله.

وهناك مثل آخر يؤدي نفس المعنى ولكنَّ ألفاظه مختلفة كما في قولهم:

لا تدخل بين العصا ولُحاها[2]

واللُّحا هي القشرة التي تكون فوق بما يُسيء إليه من جّراء تدخّله.

وهناك مثل آخر يؤدي نفس المعنى ولكنَّ ألفاظه مختلفة كما في قولهم:

لا تدخل بين العصا ولُحاها[3]

واللُّحا هي القشرة التي تكون فوق العصا، والمثل يصفُ التّدخل بالجسم الغريب اذا حل في مكان ليس من المعقولِ أن يكون فيه.

وحثاً لاهتمام المرء بنفسهِ وتحذيراً له عن التّدخل في شئون غيره يقول المثل:

لا تُدخِلْ عُصّك في شيء لا يَخُصّك

أو:

لا تُدخل نفسك فيها لا يَخُصّك[3]

---

(١) السباعي، ص ٩٧. / تيمور، ص ٤٢٣. / عبد الكريم الجهيمان، جـ٣، ١٧٢. وتقول العوام أيضاً: «ما ينوبك الا حرارتها».

(٢) عبد الكريم الجهيمان، جـ٣، ص ٢٧١. / الميداني، جـ٣، ص ١٨٥.

(٣) عبد الكريم الجهيمان، جـ٢، ص ٣٤١. .

والعصّ هو أسفل الظّهر، والمراد بالمثل أن لا يتدّخل المرء بأي شكلٍ من الأشكال في أمرٍ لا علاقة له به.

ولأن التدّخل في أمور النّاس لا يمكن أن ينجو الإنسان من آثاره حتى في أبسط الأمور قالت العرب بالمثل:

أردب ما هو لك ما تحضر كيلَهُ   يتغبّر دَقْنَك وتتعب في شِيلَهُ[1]

والأردب بالكسر مكيال معروف للحبوب، ومعنى المثل أنّ من يحضر كيل حبّ الغير فإنه لا يجني من ذلك سوى التعب والغُبار. ويُضرب المثل للتّحذير من التعرّض لِما لا يخص المرء، وأنّ بقاءه بعيداً عن السوء يحفظ له كرامته وعدم تعرّض النّاس له.

والمثل الذي يُؤيّد ذلكَ قولهم:

خلّيك في عُشّكَ ما يجي أحد يَنُشك[2]

وحتّى في حضور المناسبات كره العرب أن يُشارك الفردُ بحضوره بدون إذن أو دعوة سابقة، وقالوا في ذلك:

من جا على غير دعوة فقد قعد على غير فِراش[3]

والمقصود أنّ من قَدِمَ إلى مناسبةٍ مّا من غير أَنْ يُدعى إليها فقد استحق في هذه الحالة الجلوس على غيرِ فِراش تهاوناً بمنزلته لإقحام نفسه في أمرٍ أو اجتماع لم يُطلب منه أن يكونَ فيه.

ويشمل التدّخل في شئونِ الغير تسليط اللّسان على الآخرين بالشتائم والطعن فيهم. ومن الأمثال التي تداولها النّاس في ذلك:

لا يُحسن التّعريض الاّ ثلباً[4]

---

(١) تيمور، ص ٢١.

(٢) السباعي، ص ٩٢.

(٣) العبودي، ص ٣١٨. / عبد الكريم الجهيمان، جـ ٣، ص ١٢٧.

(٤) ابن سلام، ص ٧٩/ الزمخشري، جـ ٢، ص ٢٦٨/ العسكري، جـ ٢، ص ٣٧٩.

ويُضربُ المثل للسّفيه الذي يهتم بشماتة النّاس والطّعن فيهم. والمقصود بالثلب هنا هو الطعن في صفات الغير.

والذي تتأصّل فيه عادة التدّخل في شئونِ غيره تَجِدَهُ في الغالبِ يهتمّ بأمور غيره ويُجهد نفسهُ فيها أكثر من أصحاب الشّأن أنفسهم. والمثل الذي يَصفُ هذه الحالة يقول:

واحد شايل دقنه والثّاني تعبان(1)

والمثلُ يحمل تعبيراً واضحاً لمن يشغل نفسه بأموره غيره.

وفي حالة النّصيحة لمن يُهمل نفسه ويهتم بمسائل غيره يقول المثل العامي:

يا حامل همّ النّاس خلّيت همّك لمين (2)

وخلّيت بمعنى تركت، والمثل لا يختلف في معناه عن سابقه ولكنّه يأتي هنا بمعنى الاستنكار والاستغراب والنصيحة لمن يتخلى عن اهتماماته الخاصّة ويشغل نفسه بهموم ومشاكل الغير.

وأكثر ما يكون موضع الاستغراب هو عدم استطاعة المرء إصلاح نفسه ومع ذلك تجده واضعاً نصب عينيه تقويم غيره من النّاس وإصلاح أمورهم. والأمثال التي تصف هذه النوعية من الناس كثيرة ومنها قولهم:

عليل وعامل مداوي

أو:

يا طبيب طُبَّ نفسك(3)

والمعروف عند النّاس أنّ العليل وهو المريض يجب أن يخضعَ للعلاج تحت مراقبة الطّبيب فما بالك بممارسته مهنة الطّب وهو في حاجة ماسّة إلى معالجة

---

(1) تيمور، ص ٤١٢.
(2) تيمور، ص ٤١٢.
(3) تيمور ص ٤٣١/ ابن سلام، ص ٢٠٧. / الزمخشري جـ ٢، ص ٤٠٦.

نفسه. وحتى الطّبيب نفسه قد يُصاب بالمرض ويحتاج إلى طبيب اخر لمعالجته حتى الشفاء ليتمكّن من أداء واجبه نحو غيره. والمقصود من هذين المثلين أن يشغلَ المرءُ نفسه أولاً بما يخصّه قبل اهتمامه بشئون غيره.

ويتفق مع المثلين السابقين قولهم:

يا ليت الفَجِلْ يهضم روحه[1]

والفَجِلْ معروف عنه بأنّهُ يُسبّب الجشاء لمن يأكله مع الاعتقاد بأنّه يهضم الطعام، ومن يقول بالمثل فكأنّه يتمنى من الفجلِ أن يقومَ بهضم نفسه قبل أنْ يهضم مواد الطّعام الأخرى. والمثل يُضربُ لمن يُرجى اكتفاء شرّه قبل غيره، وقد يُضرب المثل في حالة خيبة الأمل لمن يُظنّ به النّفع وتكون النّتيجة الخوف من ضرره بدل نفعه.

(1) تيمور، ص ٤٢٤.

١٧- الحربُ

الحـرب هي القتال بـين فئتين من النّـاس سواء عـلى مستوى الأفـراد أو على مستوى الأمم والشعوب. ومعروف عن الحرب أنّها تُؤدي إلى نتـائج سلبيّـة على الـطرفـين المتنـازعـين في الأمـوال والأرواح وتَخلُق روح العـداء الـذي لا يخـدم المصلحـة لكّلٍ مِنهُـما. وفي الحـديث الشريف يقـول المصـطفى صـلّى الله عليـه وسلّم: لا تـرجعـوا بعـدي كفّـاراً يضـرِبْ بعضكم رِقـاب بعض[1]. ويقــول المصطفى كذلك: إذا تواجه المُسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهلِ النّار[2]. ويقـول الشّاعر زهير بن أبي سلمى في ذمّ الحرب:

ومـا الحــرب الا مـا علمتم وذقتمُ وما هو عنها بالحديث المرجّم
متى تبعثــوهــا تبعثــوهــا ذميـمــةً فتضرى إذا أضريتموها فتضرم

ولأنّ الحرب أحياناً لا تبقي ولا تذر فقد تشاءم النّاس منها لقسـوة ما يحـدث من نتـائج وخيمةٍ يتضرّر من جرّائهـا الأطفـال والنسـاء والشيـوخ، ممّـا جعلهم يتداولون فيها الأمثال الكثيرة التي عبّرت عن مشاعرهم وعكست آراءهم فيهـا. ومما قاله العرب في ذلك:

الحربُ غشُومٌ[3]

والغَشْم بفتـح العين وسكـون الشين هـو الظُّلم والغضب، والمقصـود بالمثـل التّأثير السلبي للحرب على من لم يكن له فيها جناية، ومثله قول الشّاعر:

---

(١) صحيح البخاري، جـ ٤، ص ٢٢٤.
(٢) صحيح البخاري، جـ ٤، ص ٢٢٤.
(٣) ابن قتيبـة، عيـون الأخبـار، جـ ١، ص ١٢٧. / العسكـري، جـ ١، ص ٣٥٨. الميـداني، جـ ١، ص ٣٦٦.

فـانّ الحـربَ يَجـنـبُـهـا أُنـاسٌ   ويـصـلى حَـرّهـا قـومٌ بُـرَاء

وقريب من هذا المعنى قول النّابغة الجعديّ وهو أجود ما وُصفت به الحرب:

ألم تعلموا ما تَرزأُ الحربُ أهلها   وعند ذوي الأحلام مِنَها التجارِبُ
لها السّادة الأشراف تأتي عليهمُ   فَتُهلكهم والسّابِحاتُ النّجائبُ
وتَستلبُ المال الذي كان ربّهُ   ضنيناً به والحرب فيها الخرائبُ[(1)]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن معد يكرب: أخبرني عن الحرب؟ قال: مُرّة المذاق إذا قَلَصتْ عن ساق، من صبر فيها عُرف ومن ضعف عنها تَلِفْ[(2)].

والحربُ كالنّار تَبدأُ من شررةٍ فتضرم فتصبح حرباً كبيرة تَفتِكُ بمن يشترك فيها، وتصلُ بهم إلى التّدمير والهلاك، وفي ذلك يقول المثل:

النّار مبدأها شرارة[(3)]

ويضرب المثل لعدم التهاون ببعض المواقف التي قد تتطوّر وتتضاعف حتى يصعب تلافيها بعد ذلك.

ويتّفق مع المثل السّابق قولهم:

الحربُ أولها الكلام

أو:

ربّ حرب شبّت من لفظة[(3)].

والمثل يُضرب لأخذ الاحتياط المبكر في الأمورِ التي قد تؤدي إلى حربٍ

---

(١) ابن قتيبة، جـ ١، ص ١٢٧.
(٢) ابن قتيبة، جـ ١، ص ١٢٧.
(٣) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٣، ص ١٧٣.
(٤) عبد الكريم الجهيمان، جـ ١، ص ١٧٣/ ابن قتيبه، جـ ١، ١٢٨.

شعواء في نهايتها. ويتفّق هذا المثل مع ما قاله نَصرُ بن سيّار للأمويين عندما كان عاملاً لهم في خراسان، حيث يقول في رسالةٍ أرسلها إلى أبي مسلم الخراساني:

أرى خلل الرماد وميض جمرٍ ويوشك أن يكون له ضِرامُ
فإنّ النّار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها الكلامُ
فإن لم يُطفها عقلاء قومٍ يكون وقودها جثث وهامُ
فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظٌ أُميّة أم نيامُ[1]

أمّا قولهم:

للحروب رجال يعرفون بها

أو:

يظهر للحربِ رجال[2]

فيعني أنّ الشّدائد والمحن لا يقوى على مُجابهتها الاّ من تعوّد على الشدائد والصّبر على نوازل الدهر، وبمعنى آخر أنّ للحرب رجالا كما أنّ للسلم رجالا كذلك ولا يصلح هؤلاء مكان أولئك ولا يصلح أولئك مكان هؤلاء.

وبما أنّ النّصر في الحروب قد يعتمد في بعضِ الأحيان على الدّعاية التي تخلق البلبلة في نفوس الأعداء وتؤدي بهم إلى الهزيمة، فإن العرب لم يتورعوا عن ضرب الأمثال التي تشير إلى استخدام هذه الوسيلة في حالة الحرب، ومثل ذلك قولهم:

نصف الحرب دهولة

والدّهولة بمعنى الدعاية والضّجيج بالنصر، ويُضرب المثل لتأثير الدعاية في مسار الحرب ممّا يؤدي الى انتصار فئة على أخرى. واستخدام الدعاية في الحرب يُعتبر وسيلة من وسائل الخداع التي غالباً ما تكون نتائجها في صالح من

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جـ ٩، ص ٩٢.
(٢) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٣/١، ص ٢٨٤/٢٧٣.

يستخدمها، وفي ذلك تداول النّاس قولهم:

الحربُ خدعة[1]

والمثـل مأخـوذ من حديث المصـطفى صلى الله عليـه وسلم في قولـه: الحربُ خدعة. ويحث هـذا القول عـلى استخدام كـل الوسـائل المُمكنـة التي من شأنها الوصول إلى النّصر وهزيمة الأعداء.

وقد تنتصر فئة على أخرى في الحـرب ولكنّها قـد تهزم في حـالة الاشـتراك في الحرب مرة ثانية، ويقول المثل في مثل ذلك:

الحربُ سِجالٌ[2]

والمساجلة أن تصنع مثل صنيع صاحبك، وقد ورد هذا المثل عندمـا قال أبـو سفيـان بعد وقعـة أحد: أعْـلُ هُبَلُ أعـلُ هُبل، فقـال عمر رضي الله عنـه: يـا رسول الله ألا أجيبه؟ قال: بلى يا عمر، قـال عمر: الله أعـلى وأجلّ، فقـال أبو سفيـان: يا بن الخـطاب إنّـه يـوم الصّمت، يـومـاً بيـوم بـدر، وإنّ الأيـام دول، وأنّ الحرب سِجَال، فقال عُمر: ولا سواء، قتلانا في الجنّة وقتـلاكم في النّار، فقـال أبو سفيان: إنّكم لتزعمون ذلك، لقد خِبنا إذاً وخَسِرنَـا. والمثلُ يضرب للحـذرِ من الغـرور فالأيـام تتداول بـين النّاس فيـومٌ لـك ويـومٌ عليـك حتّى في حـالـة الحرب.

(١) صحيح البخاري، جـ ٢، ص ١٧٤.

(٢) الميداني، جـ ١، ص ٢٨٠.

الفصل الثالث

أمثال في الصفات بين السلب والإيجاب

المزاح - الصدق والكذب - الحظ والتعاسة - محاسن الاخلاق ومساوئها - العادة السفر.

١- المـزاح

التفكّهُ والمُزاح من الأمـورِ الطّبيعيـة التي جُبلت عليها النّفس الإنسـانيّة. ولا يمكن على الإطلاق أنْ يعمـد الإنسان إلى الجـديّة في حيـاته بصفـة مستمرة دون الحاجة إلى الترويح الـبريء عن النفس بين فتـرةٍ وأخرى مجـدداً بذلـك حيويتـه ونشاطه مِمَّا يُعانيه من العناء في الأعمال اليوميّة. والمزاح كأحد الوسائـل المرغـوبة لإعـطاء النّفس فرصـة الارتياح، إلاّ أنّـه ينبغي التّمييز بـين نوعـين من المزاح: فهناك المزاح الجائز وهناك غير الجـائز، والمـزاح الجائـز أو المرخّص بـه هو ذلـك الـذي لا يتّصف بـالسفـاهـة والإثم والفـواحش ولا يَمسّ مشـاعـر الآخـرين، والعكس بالعكس للصنف الآخر. يقول الشاعر:

إن الصّـديق يـريـد بسـطك مـازحـاً ... فـإذا رأى مـنـك المـلالـة يـقصرُ
وتـرى الـعـدوّ إذا تـيـقّـن أنّـه ... يؤذيـك بـالمـزحِ العنيف يكـثرُ[1]

ولكـثرة مـا يتحـدث بـه النّـاس عن المُـزاح أصبحت لهم تعبـيرات خـاصّـة استخدمت أمثالاً بعضها تشجع على المُزاح والبعض الآخر تحذر منـه، خاصة إذا كـان المُزاح في غـير مكانـه المناسب، وفي ذلـك قالـوا فيمن يُكثر مـزاحه بـدون تعقّل:

الدعابة تُذهب المهابة

والدعابة هي المُزاحُ، فإذا عُرفَ بها الرّجل قَلّت هيبته في أعين الناس. وقـالَ خالد بن صفوان التميمي وهو من فصحاء العرب المعدودين:

---

(١) الأبشيهي، جـ٢، ٢٦٣.

المزاحُ سِبَابُ النَّوْكَى [1]

والنّوكى جمع أنوك وهو الأحمق والسِّباب أي المُسَابّة.

وقال عمر بن عبد العزيز: إيّاك والمزاح فإنّه يجر القبيحة ويورث الضغينة. ومعنى ذلك أنّ المزاح قد يَجرُّ الإنسان إلى العداوة والبغضاء، إذا زاد عن الشيء المعقول والمقبول. وفي مثل هذا قالوا:

كثرة المزاح تَجلبُ العداوة

فليس الجميع على مزاج واحد، وهناك من يقبل المزاح وهناك العكس، وهناك صاحب القلب الطيّب والروح المرحة وهناك الشّرير الذي لا يطيق ولا يحتمل المزاح. وفي مثل هؤلاء قال العرب:

لا تُمازحِ الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فيجترىء عليك [2]

وقيل إنّ بعض الخُلفاء عرض على رجلٍ خلّتين يختار أحدهما، فقال الرّجل: كلاهما وتمراً، فغضب عليه وقال: أعندي تمزح، فقال الشاعر:

أمّا المُزاحةُ والمراء فدعْهما ... خُلُقانِ لا أرضاهما لصديق
إنّي بَلوُتهما فلم أحمدهُما ... لمجاورٍ جاراً ولا لرفيق [3]

وقال بعض الحكماء: تَجنّب سوء المزاح ونكد الهزل فإنّهما بابان إذا فُتِحَا لَمْ يُغلقا إلا بعد غمّ. وقال آخر:

لِكُلِّ شيء بذر وبذر العداوة المزاح [4]

وقالوا كذلك:

لا تُمازح الصبيان تَهُن عندهم

(١) ابن سلام، ص ٨٥.
(٢) ابن سلام، ص ٨٦.
(٣) ابن سلام، ص ٨٦.
(٤) الأبشيهي، جـ ٢، ص ٢٦٢.

وقال الشاعر في ذلك:

فـإيّـاك إيّـاك المـزاح فـإنّـه يجري عليك الطفل والرّجل والنـذلا
ويـذهب مـاء الـوجـه بعـد بهائـه ويـورث بعـد العـز صـاحبـه ذلاّ(١)

وهناك أقوال لبعض الحكماء ذهبت مذهب الأمثال بين النّاس، من ذلك ما قاله الأحنف:

كَثرةُ الضّحك تذهب الهيبة وكَثرة المُزاح تُذهب المروءة(٢)

ومع ذلك يصف العرب من تغلب عليه ظاهرة الحديث بالمزاح والنوادر المضحكة بقولهم:

المزّاح مرتاح(*)

وذلك اعتقاداً من السّامعين بأن هٰذه العادة جلبت عليه السّعادة وأنّه لا يعرف الأحزان والهموم كغيره.

ومع الأسف أنّ صفة المزاح التي من شأنها تسلية النّاس وإدخال السرور إلى قلوبهم قد ارتبطت أحياناً بالعمل السيىء الذي يؤدي إلى إزعاج النّاس والتّأثير على مُمتلكاتهم. فهناك من يمتهن المزاح لتغطية العمل السيىء كالسرّقة مثلاً، والمثل الشائع بالعامية يقول:

سارق مّزاح إن شُفته وإلاّ راح(*)

ومعناه أن ينوي الفرد سرقة شيءٌ ما ممن يعرفه فيتخذ من المزاحِ وسيلة لتحقيق غايته، فإن رآه الغير تظاهر بأنّه لا يقصد سوى المزاح وإن لم يره أحد أخذ بغيته وهذه أسوأ طريقة وأحقرها في المزاح.

---

(١) المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٦٢.

(٢) المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٦٢.

(*) من الأمثال المتداولة.

(*) من الأمثال المتداولة.

والمزاح البرىء المسلّي غالباً ما يكون محموداً ونادراً من يتصف به، وأفضل ما كان الإنسان مـرحـاً مرحفا في بيته ومع أسرته ولكن في حدود المعقـول والمقبول. ومما قيل في ذلك:

كُلّ امرىء في بيته صبيّ[1]

وضُرب مثلاً لحسن عشرة الرّجل لأسرته واستخـدامه أسلوب التفكّـه والمرح البريء بدلاً من الـتزمت والأخلاق السيّئـة، ويقول عمـر بن الخطاب رضي الله عنـه: ينبغي لِلرّجل أنْ يكـون في أهله كالصبي، فـإذا التمس مـا عنـده وُجِـدَ رجلاً، ولو أخذنا بمعنى المثل القائل:

لكل مكان مقام(*)

لاتضح معنى القول: كل امرىء في بيته صبي، لأن مكان العمل يختلف عن الحيـاة مع الأسرة. ولـو لم يتسم الإنسان بـالمرح والسرور والتفـاؤل مـع أسرتـه لأصبحت حياة الأسرة همّا وغمّا وشقاء.

ومع ذلك يجب على المرء أن لا يكثر من المزاح بـدون سبب يدعـو إلى ذلك، لأن المزاح إذا تجاوز حدّه كانت ردود الفعل عند الناس سلبية وغير مفيدة. ومن أبيات الشعر التي تحذر من ذلك قول الشاعر حسام الـدين الواعـظي في أبيات له:

ولازم الصمت لا تنـطق بفـاحشـة   وأكـرم الجـار لا تهتـك لـه حُـرُمـاً
واحذر من المزح كم في المزح من خطرٍ   كم من صديقين بعد المزح فاختصما[2]

ويقول الإمام عليّ الرضا:

من مـازح النـاس استخفـوا بـه   وكـان مـذمـومـاً عـلى مـزحتـه[3]

---

(1) ابن سلام، ص ١٥٩.

(*) من الأمثال المتداولة.

(2) الهاشمي، جـ ٢، ص ٤٣٥. وفي رواية افترقا.

(3) نفس المصدر ص ٤٣٣.

٢- الصدق والكذب

الصدق من الأمور التي يَحثُنا عليها الإسلام وله تأثير قوي في نجاحِ وتطوّر الفرد أو الأمة، ولا تقتصر أهميّة الصّدق في أمورِ الحياة الدنيا فقط بل تشمل كلّ ما يتعلّق بأعمال الإنسان التي يُقدّمها لآخرته. وفي الجانب الآخر نرى الكذب من أحقر الصّفات التي يجب أن لا يلتزم بها الإنسان، ويحثنا الدين الإسلامي على الابتعاد عنها لما لها من آثار سلبية على الفرد والمجتمع على حدٍّ سواء. لذلك ورد ذكر الصّادقين والكاذبين في القرآن الكريم والسّنة النبويّة وتداول الناس فيهما الأمثال التي تُشير بطريقةٍ مباشرة أو غير ذلك إلى أهميّة الصّدق والتّحذيرمن الكذب والتزام مبدأ الحياة الكريمة.

وفي الصّدق يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إتّقوا الله وكونوا مع الصّادقين﴾[1]. وقال تعالى: ﴿والذي جاء بالصّدق وصدّق به أولئك هم المتقون﴾[2]. وقال عمر بن الخطاب: عليك بالصّدق وإن قتلك. وقال إسماعيل ابن عبيد الله لمّا حضرته الوفاة وجمع بنيه: يا بنيّ عليكم بتقوى الله وعليكم بالصّدقِ حتى لو قَتَلَ أحدَكم قتيلاً ثم سُئل عنه أقرّ به، والله ما كذبت كذبةً قَطْ مذ قرأت القرآن[3]. وفي الصّدق والكذب يقول الحديث الشريف عن عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الصّدق برّ وإن البّر يهدي إلى الجنة وأنّ العبد ليتحرى الصّدق حتى يُكتب عند الله صِدّيقا وإن الكذب فجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإنَّ العبد ليتحرى الكذب حتى

(١) سورة التوبة، آية رقم ١١٩.
(٢) سورة الزمر، آية رقم ٣٣.
(٣) الأبشيهي، جـ٢، ص ٧.

يُكتب كذّابا[1]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب وإذا أوعد أخلف وإذا أؤتمن خان[2].

ويقول الشّاعر:

لا يكذب المرء إلاّ من مهانتهِ أو فعله السّوء أو من قلّةِ الأدبِ
لبعض جيفة كَلبٍ خير رائحة من كذبةِ المرء في جدٍ وفي لعبِ[3]

وفي الصّدق والكذب تداول الناس الأمثال الكثيرة التي توضّح فلسفة المجتمع وموقفه من هاتين الصفتين. فعندما يتصف شخص ما بشدّة إخلاصه وصدقه يقال له:

أَصدقُ من قَطَاةٍ

وقالوا كذلك:

سُبّني واصدُقْ[4]

ويعني ذلك بأن المرء لا يُبالي بأنّ يَسبّه الطّرف الآخر طالما بأنه سيقول كلاماً صادقاً. أمّا إذا قام الفرد بفعل الخطأ وكان ما قام به فاحشاً ثم اعتذر عن ذلك فإن اعتذاره لا يُبرّر عمله، وقال العرب في ذلك:

عُذره أَشدُّ من جُرمهِ

وقال بعض الحُكماء:

الصّدق عزٌّ والكذب خضوع

أمّا قولهم:

لا يكذب الرائد أهله[5]

---

(١) صحيح مسلم، جـ١٦، ص ١٦٠.
(٢) صحيح البخاري، جـ٤، ص ٦٥.
(٣) الهاشمي، جـ٢، ص ٤٧٩.
(٤) ابن سلام، ص ٤٦.
(٥) نفس المصدر، ص ٤٩.

فيعني ذلك توقّع الصّدق ممّن توكل إليه الأمور والمسئوليّة، والرائد هو الذي يُقدمّه القوم ليرتاد أو يبحث لهم عن ماء أو مكان أو منزل يلجأون إليه من عدو يطلبهم، فإن لم يتمكن من إعطاء المعلومات الصحيحة أصبح تدبيرهم على خلاف الصّواب.

أمّا قولهم:

إنّ الكذوبَ قد يَصدُقْ

أو:

مع الخواطي سهمٌ صائب(*)

فَتُضربُ عندما يتصف الفرد بالكِذب دائماً ويصَدقُ مرّة.

وهنا مثلٌ شائع يقول:

إن جئتَ تَكِذبْ أسنِد(١)

ومعناه أنّ الإنسان إذا أراد أن يكذب فعليه إسناد الخبر إلى غيره حتى لا يقع اللّوم عليه في حالة مخالفة الخبر للواقع. وفي المثل سخرية بالكّذابين اللذين ينسجون في الغالب من خيالاتهم أحداثاً وأقاويل ليس لها أيّ أساس من الصّحة.

ومن الأمثال العاميّة المتداولة في التّحري عن مدى صحة الكاذب قولهم:

وَصِّل الكذّاب لحدّ الباب

أو:

وصل الكذّاب إلى سدّة الباب(*)

والمراد من ذلك تقبّل أقوال الكاذب حتى النهاية التي ستؤدي في الأخير إلى كشف حقيقته بعدمِ صدقه فيما ذكر.

(*) من الأمثال المتداوله.

(١) محمد صادق دياب، الأمثال العامية، ص ٦٩.

(*) من الأمثال المتداولة.

وهنا مثلٌ شائع يقول:

ما ينوب الكذّاب الاّ سواد وجههِ

ويُضرب هذا المثل في ذمّ الكذب والتّذكير بما يقع فيه الكاذب من إحراجٍ وخزي.

وهناكَ فئة من النّاس تُهوّل الأمور وتَخْلُقُ منها أشياء مُصطنعة ومُبالغٌ فيها على خلافِ حقيقتها، وضُرِبَ لَهُم بالمثلِ القائل:

يَجعلْ من الحبةِ قُبّة[1]

لأن الكاذب يحاول أنِ يجعلَ من لا شيء شيئاً ويخْلُقُ من الأمورِ ما ليس فيها تعمداً ليثير المشاعر حول ما لا يَستحق ذكره. لذلك تناصح النّاس بعدمِ السّماع لمثل هؤلاء وإعتبار كلامهم لا قيمة له ولا معنى. وفي مثل هذه الحالة يقول المثل:

إسمع من هُنا وخَرّج من هُنا(*)

ويُقصد بالمثلِ عدم تصديق الشّخص الذي اشتهر بالكذب والمبالغة، وذلك بأن تسمع منه الخبر بأذن وتخرجه من الأخرى وأن لا يقام لكلامه حسابٌ ووزنٌ، فعمله هذا ليس فيه مصلحة ولا فائدة تعود على نفسه أو السّامع أو المجتمع بالخير والعمل النافع. ولنا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيث يقول المصطفى: أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر[2].

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٧٠.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٢) صحيح البخاري، جـ ١، ص ١٥.

٣- الحظ والتعاسة

الحظّ هو البخت والنّصيب وعندما يكون الإنسان محظوظاً فهو ذلك الإنسان الذي يحصل دائماً على احتياجاته بيسر وسهولة. وعكس الحظّ، التعاسة التي تُؤثر على سعادةِ الإنسان واستقرار حياته. والإنسان المتعوس في نظرِ النّاس هو ذلك الذي لا نصيب له في الحظّ ومميّزاته. ولأهميّة الحظّ والتّعاسة عند النّاس فقد تداولوا الأمثال في ذلك اعتقاداً منهم بتأثيرها على مجرى حياة البشر. وبما أن التّعاسة تكون أكثر ملازمة لكثيرٍ من الناس فقد حظيت بأكثر الأمثال قولاً فيها.

ومن الأمثال العاميّة في الحظّ قولهم:

ساعة من الحظ ما تتعوّض(1)

وفي المثل الحثّ على اغتنام الفرصة عندما تكون متاحة يتيسر للمرء عن طريقها قضاء حوائجه وما يعود عليه من نفع زمن حدوثها.

ولما للحظ من مميزات تعود على الإنسان بالخير والفائدة فالمثل يقول:

دِرهم حظ ولا قنطار شجاعة

أو:

وقيّة حظ ولا قنطار شجاعة(2)

وذلك على اعتبار أن الشّجاعة قد لا تلعب الدور الذي يُمكن أن يؤديه الحظّ والمرموز له بالقليل النّافع مقارنة بالكثير عديم الفائدة. ولولا تجارب النّاس

---

(1) أحمد السباعي، الأمثال الشعبية في مدن الحجاز، ص ٤١.

(2) أحمد السباعي ص ٣٤.

وملاحظاتهم لتأثير الحظّ على مجرياتِ الحياةَ لبني البشر لما قالوا بهذه الأمثال.

وأحياناً تلعب الصدفة أمراً عظيماً في محالفة الحظ والفوز بـالشيء دون البحث والعمل من أجل الحصول عليه، وفي ذلك قالوا:

رُبّ رميةٍ من غيرِ رام

أو:

مع الخواطي سهمٌ صائب(١)

والرّمي عند العرب هو المَثلْ أو الإشارة، .والمَثلْ هو وضع علامة مّا كهدف في مكان بعيد لممارسةِ تصويبه بالبنادق، ويتبارى في ذلك غالباً رجال القبائـل، وقد يحدث أَنْ يُصاب الهدف بالصّدفة ويُحتسب فوز للرّامي علماً بعدم إصابته فعليّاً، ولهذا قال العرب بالمثل السابق. وينطبق هذا المثـل على كـلّ أمرٍ يفـوز به الفـرد نتيجة الصّدفة أو الحظّ.

أمـا من لم يساعـده الحظّ في أموره فهـو في نظر المجتمـع من أولئك التّعسـاء الـذين تُواجههم العَقَبـات في كلّ أمـورهم سواء بقصـد أو غير ذلـك. وفي هذه الفئة ضربت الأمثال الكثيرة الدّالة على هذا المعنى، فقالوا في الأمثال العاميّة:

قليل البخت يلاقي في الكرشةِ عظمة

أو:

قليل البخت يلاقي في الفشّةِ عظمة(٢)

والبخث هو الحظ والمقصود بالكرشة هي معدة الحيوان المجتر التي هي بمثـابة المعدة للإنسان، والمعدة والفشّة بطبيعة الحال خالية من العظام ولكنّ القصد من المَثلِ أن التّعيس معرض للكثيرِ من العقباتِ والعراقيل التي قد لا تحدثُ لغيره.

وكثيرٌ من الناس يعتقدون أنّ الحظّ يلعب دوراً هاماً في نجاحِ الفرد في أعماله

---

(١) ابن سلام، ص ٣١٢.

(٢) السباعي، ص ٦٥/ محمد صادق دياب، ص ٧٩.

وأنّ المحظوظ سوف لا يُواجه ما يواجهه المتعوس من عراقيل وعقبات في سبيلِ ما يقومُ به، ولذلك قالوا في قليلِ الحظ:

المتعوس متعوس ولو علّقوا على بابِه فانوس[1]

ومعنى المثل أنّ قليل الحظّ مهما بذل من جهدٍ فستظل احتمالات نجاحه محدودة، ومثل ذلك قولهم:

أن عمل ولاّ ما عمل متعوس وخايب أمل[2]

وأكثر من عدمِ توفيقه فيما يصبو إليه زيادة المشاكل وتورّطه في الخسارة في كلِ عملٍ يقوم به، وفي ذلك يقول المثل:

ما تطيح السّقيفة إلاّ على الضّعيفة(*)

أي أنّ المشاكل والأزمات عادةً تَحِلُّ بقليلِ الحظّ لتُضَاعِفَ عليه ما يُعانيه حتّى أنّه في حالة محاولته الاستعانة بغيرهِ خاصّةً ممّن يتفقون معه في التركيب الاجتماعي والاقتصادي، نرى المجتمع لا يرحم في استخدام الأمثال في وصفهم كقولهم:

إتلمّ المتعوس على خايب الرّجا[3]

وذلك نظراً للتّشابه الموجود بينهم في سوء الحظ وعدم التوفيق في نجاح أعمالهم.

وقد يجهد الانسان نَفسهُ في إنجاز عملٍ مّا، خاصّةً في الأعمال الجماعيّة، وعند التّحصيص للفائدة المرجوّة لا يحصل على ما كان يتوقّعه من جزاء عمله الذي كافح من أجلِ نجاحه، فيُقال عنه عند هذه الحالة:

طَلعَ من المولِد بغير حُمّصْ

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٧٩.

(٢) نفس المصدر السابق.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٣) محمد صادق دياب، ص ٧٩. / السباعي ص ١١.

أو:

خَرجَ من المولِد بغيرِ حُمّصْ(١)

والحمّص كـان في العادات القـديمة يـوزع على الحـاضرين في بعض المنـاسبـات الدّينيّة، ويُضربُ المثل لكلٍّ من يُجهد نفسهُ مشاركاً في إنجاز عملٍ ّما ويُحرم من عطائِه. ويتشابه مع هذا المثل في المعنى قوله:

العروسة للعريس والجري للمتاعيس(٢)

أي أن نتيجة العرس للعـروسين وليس للقـائمين بـه والجارين فيـه إلاّ التعاسـة والخيبة، ويُضربُ المثل للمهتمّ بأمرٍ مزاياه تعودُ على غيرِه.

وعندما تستمر المشاكل متواليـة على الفـردِ كان العـرب يعتقدون بـأنّه عـديم الحظّ واحتمالات بُعدْ الشّقاء عنه غير واردة، وقالوا في ذلك:

ربّنا ما يقطع بك يا متعوس يروح البرد يجي الناموس(٣)

وقَطعَ به معناه حرمه وأهمله، والمراد به هنا التّهكم، أي مـا زلت أيها الفقـير التّعِس موفور الشّقـاء غير محـروم منه إذا ذهب عنـك الشّتاء بـبرده أتاكَ الصّيف ببعوضه. ويُضرب المثل لمن يُلازمه الشقاء في كلٍّ الأحوال والأوقات.

والسّعـادة والشّقاء كـلاهما في الـواقعِ مُقـدر من الله سُبحانـه وتعالى، ولكنّ البشر دائماً يحاولون تعليل الأشياء ونسبتها إلى ما يُسَمّونه بالحظّ ومـا شابـه، وفي الغالب تكون أمثالهم في ذلك من باب المزاح والنّـوادر التي اعتادت المجتمعـات الإنسانية التّحدُث بها عندما يتطرّقون لأحوالهم الماديّة وحياتهم الإجتـماعية. وممّـا يدل على مدى اهتمام العـرب بمثل هـذه الأمثال وصيـاغتها بـالطريقـة الفكاهيّـة قـولهم في بعض الأمثـال بمـا لا يمكن أن يَحـدُث أو حتّى يُحتمـل حـدوثـه عـلى

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٧٩ / السباعي، ص ١١.

(٢) تيمور، ص ٢٤٣.

(٣) تيمور، ص ١٥٢.

الإطلاق، ومثل ذلك بيت الشِّعر الذي أصبح مثلاً:

كـلّما دقـيـت في أرضٍ وتـد   مـن رَداةَ الحظّ وافـتـني حـصَـاة[1]

ومن المعروف أنّه من المستحيل أنْ تُقابله حصاة في كلِّ دقّة يَدقُّها، ولكنّ القصد من البيت إعطاء مثال قويّ لسيىء الحظّ بأن الطّرق مسدودة في أي اتجاه يذهب إليه.

(١) عبد الله آل النوري، الأمثال الدارجة في الكويت، ص ٢٧٠.

٤- محاسن الاخلاق ومساوئها

الأخلاق من الصّفات المعنوية الملازمة لكل فرد، وهي على شقين: إمّا أن تكون حسنة وإمّا أنْ تكون سيئة والعياذ بالله تعالى. ومتى التزم الفرد بالأخلاق الحسنة كلّما كانت نتائج أعماله ناجحة ومثمرة ومنزلته بين الناس لها مكانة خاصة. وكلما كانت أخلاقه غير ذلك كلما ساءت أعماله وأصبح مبغوضاً من الناس ومنبوذاً بين أفراد مُجتمعه. ولأهميّة الأخلاق الحسنة يقول الله تعالى مخاطباً نبيِّه عليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿وإنّك لعلى خلقٍ عظيم﴾(١). وثناؤه جلّ وعلا على نبيّه بحسن أخلاقه وعظمتها لدليل كافٍ على أهميّة الأخلاق في حياةِ النّاس. ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «إن من أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقاً»(٢)، وفي رواية أخرى «إنّ من أخيركم أحسنكُم خلقاً»(٣). ويقول الشاعر أحمد شوقي في أهمية حسن الخلُق(٤):

وإنّما الأمم الأخلاق ما بقيت　　　فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا(٤)

والأخلاق في الواقع لها علاقة قوية بنظام المجتمع وتطوره والحفاظ عليه، وكم من أمّة في التاريخ أو بالأحرى أمم سقطت واندثرت ودمّرت بسبب انتشار مساوىء الأخلاق وعيوبها. وكم من أمم ارتفع شأنها وتطورت حضارتها بسبب نزاهتها والتزام مبادىء الأخلاق الفاضلة في نُظمِ الحياة فيها. ومسئولية الفرد تتعدد بتعدد الجهات التي يرتبط بها ويعتبر مسئولاً أمامها، فهو في أخلاقه مسئول

---

(١) سورة القلم، آية رقم ٤.
(٢) صحيح البخاري، جـ ٢، ص ٣٠٧.
(٣) صحيح البخاري، جـ ٤، ص ٥٥.
(٤) الشوقيات.

أمام نفسه وأمام أسرته وأمام مجتمعه. ولذلك امتدح النّاس كل من حسُنت أخلاقه وذمّ الناس كلّ من ساءت أخلاقه، وأصبح هناك الكثير من النّاس يُضربُ بهم الأمثال في حُسن الأخلاق أو العكس بالعكس.

والتزام المرء بأخلاق فاضلة نحو نفسه لا تخرج عن التزامه بالصبر والحلم والصدق والأمانة والعدل في كل تصرّفاته، وفي ذلك تداول الناس الأمثال الكثيرة التي تحث الفرد على الأخلاق الفاضلة والتزام الإنسان بمحاسن الأخلاق وترك مساوئها.

والتزام الإنسان بالأخلاق الفاضلة نحو أسرته يعتبر أمراً ضروريّاً ومهماً. ففي الحديث المرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».

ويقول الأصمعي أنّ من أمثال العرب في ذلك:

كل امرىء في بيته صبيّ[1]

وذلك في المفاكهة والأخلاق، وقد ورد في حديثٍ أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي فإذا التمس ما عنده وُجد رجلاً. ويقول زيد بن ثابت في ذلك: لكونه من أفكه الناس في أهله وأزمتهم إذا جلس مع القوم[2]. ومسئولية المرء في أخلاقه نحو مجتمعه لا تقل أهمية عن أخلاقه نحو نفسه وأسرته. وهي غالباً ما تشمل حُسن المعاملة للغير والابتعاد عن كلّ ما يسيء إلى غيره سواء في النفس أو المال أو العرض. وفي الحديث الشريف يحث المصطفى صلى الله عليه وسلم المؤمنين على حسن الأخلاق نحو بعضهم البعض في كلمات جامعة نافعة، حيث يقول عليه الصلاة والسلام: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره،

---

(١) ابن سلام، ص ١٥٩. الميداني، جـ ٢، ص ١٣٤.

(٢) ابن سلام، ص ١٥٩.

التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرىء من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[1]. وقد أورد البكري في حسن معاملة الناس قول أبي سليمان الخطامي الذي أصبح فيما بعد مثلاً:

ما دمت حيّاً فدار النّاس كلهمُ فإنّما أنت في دارِ المُدَاراةِ[2]

ويقول أبو عبيد إنّه روى في الحديث عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنهما قالا: خالِطوا النّاس وزايلوهم[3]. أي خالطوهم بالمعاشرة وحسن الأخلاق. وابن كثير في البداية والنهاية فسّر معنى زايلوهم بقوله: فارقوهم في الأخلاق التي لا تُرضي الله ورسوله[4].

وعندما يتحلى الفرد بأخلاقٍ فاضلة مع من حوله فإنّه يُصبح من دعاة التآلف والمحبة بين أفراد مجتمعه، ممّا يؤدي إلى اختفاء مظاهر التكلّف والرّسميات بينه وبين أصدقائه. وفي مثل هذه الحالة يقول المثل:

بين الأُلفة تَسقطُ الكُلفة[5]

ويضرب هذا المثل عندما تسقط التّكاليف بين الأصحاب، ويُصبح حُسن الخلق فيما بينهم هو العامل والرّابط الأساسي لعلاقتهم.

وعندما يتنكّر المرء للجميل والمعروف الذي سبق وأن قُدِّمَ له من صديقٍ أو نحوه، فإنّه يفقد بذلك حسن الأخلاق التي تفرض عليه الاحترام والتقدير لمن أسدى إليه معروفاً. وفي مثل هؤلاء ضربت الأمثال تنكيلاً بمن ينكر الجميل وحسن المعاملة، والمثل الدّارج في مثل ذلك يقول:

---

(١) صحيح مسلم، جـ ١٦، ص ١٢٠/١٢١.
(٢) ابن سلام، ص ١٥٧.
(٣) العبدري الشيبي، تمثال التمثال، جـ ٢، ص ٤٣٢/ الميداني، جـ ١. ص ٤٣٠.
(٤) ابن كثير، جـ ٢، ص ٣٢٥.
(٥) التكريتي، الأمثال البغدادية المقارنة، ص ٣٤٦.

إذا تملّت العدوَة قلّت المروّة[1]

والعدوّة هي المعدة، ومعنى المثل أن معدة الإنسان إذا امتلأت قلت قدرتها على العمل، وذلك قياساً على الرّجل الذي بعد أن أصبح في غنى عن حاجة غيره لم يعد ينظر إلى ما قُدم له من عون ومساعدة من أصدقائه عندما كان في أمس الحاجة إليها في وقت سابق. وعلى الرغم من معرفة الكثير من النّاس لردود الفعل السلبيّة ممن لا أخلاق لهم، فهم لا ينظرون إلى ما يقومون به من جزاء أو مكافأة، وإنّما يزيدون عمل الخير بغض النّظر عن مدى استجابتهم لذلك. ويفسر مثل ذلك المثل القائل:

إعمل الطيّب واجدعه في البحر

أو:

إعمل الطيّب وارميه في البحر[2]

والمقصود أن تعمل الخير وأن تنساه أو تعمل الخير ولا تنظر إلى جزائه إلاّ من الله تعالى. وقد يكون من معاني المثل أنّك إذا عملت خيراً ورميته في البحر الذي يبتلعُ كل ما يُرمى فيه، فإنّ المعروف والعمل الطيّب له من القدرة ما يُخرجه من هذهِ التّهلكة. والمثل في عمومه يحثُّ على معاملة النّاس بالأخلاق الفاضلة والمعروف مهما كانت النتائج سواء إيجابية أو سلبية.

ومن الأخلاق الفاضلة أنْ يتّصف المرء بالحلم في معاملتِه لغيره وفي ذلك قالوا:

الحِلمُ سيّد الأخلاق

وغير الحلم يجب أن يكون المرء قدوة حسنة في ممارسته لأعماله قولاً أو عملاً، وفي ذلك يقول المثل:

---

(١) محمد صادق دياب، ص ١٠٧.

(٢) عبد الكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٧١.

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله[1]

وهذا المثل قديم وهو من شعر المتوكل بن عبد الله اللّيثي في قوله:

إبـدأ بنفسـك فـانهها عن غيّها ... فـإذا انتهت عنـه فـأنت حكيم
فهناك تعدل إن وعـظت ويقتدى ... بـالقـول منـك ويُقبـل التعليم
لا تنـه عـن خـلقٍ وتـأتي مثـله ... عيب عليـك إذا فعلت عـظيم[2]

ومعنى البيت الأخير هو عدم وجوب مخالفة المرء لأقواله وأفعاله وخاصّة لمن يحذر الناس من أخطار الأفعال والأعمال القبيحة والأخلاق السيئة وهو في نفس الوقت يُمارسها.

ومثل هذا المثل بيت الشعر القائل:

وغير تقيّ يأمر النّاس بالتقى ... طبيب يداوي النّاس وهو مريض

وهنـاك فئة من النـاس يسلكون في أخـلاقهم السّلوك المغايـر تمامـاً لـواقعهم الذي يعيشونه، وينطبق على هؤلاء المثل القائل:

فقير وأخلاقه تجارية[3]

ويُضرب المثل للفقير الـذي لا يعيش واقعه، فيحـاول أن يقوم بتقليـد الآخرين من أغنياء وغيرهم في سلوكهم وطرق معيشتهم وهذا ممّا يخل بأخلاق الفرد لعدم التزامه بالحدود التي لا تخرج عن ظروف حيـاته المعيشيـة والتي تنطبق مـع المثل القائل:

مدّ رجلك على قدر فراشك[*] وفي آخر: على قدر لحافك

---

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٣، ص ٣٣١.
(٢) العسكري، جـ ٢، ص ٤١١. وفي رواية عارٌ عليك إذا فعلت عـظيم وقيل أن هـذه الأبيات لأبي الأسود الدؤلي (الهاشمي جـ ٢ ص ٤٢٤).
(٣) محمد صادق دياب، ص ١٠٧.
(*) من الأمثال المتداولة.

وقد يكون المرء معدوم الإحساس والذوق الأخلاقي، وهو بذلك يفقد احترام الناس له ويصبح سلوكه شاذا وغير مرغوب فيه، ولذلك قيل:

لا إحسان ولا حلاوة لسان

وقالوا كذلك:

اللي ما يستحي يعمل ما يشتهي(*)

أي الذي ليس لديه ملكة الأخلاق والحياء فإنّ باستطاعته أنْ يُسيء إلى الغير في تصرفاته لأنه فاقد المبدأ الأخلاقي أصلاً.

(*) من الأمثال المتداولة.

٥- العَادة

العادة والتعوّد كلمة مشتقة من عوّد، وهي الاستمرار في ممارسة الشيء عملاً أو قولاً حتى يُصبح من طبع الإنسان. والمرء في الواقع يمرّ في هذه الحياة بتجارب وممارسات منذ أن يولد حتى يلاقي ربه عزّ وجل، وغالباً ما يتعوّد المرء على ممارسات وعادات تصبح متأصلة في نفسه لا يستطيع التخلي عنها أو نسيانها لشدّة التصاقه بها. وتعوّد الإنسان في جميع تصرفاته وأعماله قد تكون إيجابيّة وقد تكون سلبيّة، ولذلك من الصعوبة بمكان ابتعاده عن العادات السلبية لتأصلها في نفسه. وبما أن ظاهرة الإصلاح والتوجيه السّليم قد تلعب دورها في تحوّل الإنسان التدريجي إلى الأفضل والابتعاد عن العادات السيئة رغم شدّة تأثره بها، إلاّ أنّ الكثير لا يستطيعون الابتعاد عنها وليس لديهم القدرة على تحمل الإقلاع والفرار بعيداً عن ممارستها. وفي مثل هؤلاء ضربت الأمثال الكثيرة مُعبرة بالحكمة والموعظة وموجزة في التّعبير والنطق، معلنة للسامع الأثر العظيم للعادات السيئة وسلبية نتائجها على الفرد والمجتمع، ومما قاله العرب في ذلك:

من شبّ على شيء شاب عليه

أو:

من شبّ على شيء مات عليه[1]

والمقصود أن العادة تتحكم في الإنسان وتسيّره، فإذا اعتاد شيئاً في بداية حياته استمرّت عادته معه ولازمته إلى آخر أيام حياته، فهو لا يستطيع التخلّي عنها والهروب من تأثيرها. ويضرب هذا المثل لتحكم العادات في النّاس وأنّ من

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٣، ص ١٣٢.

أَلِفَ شيئاً صار من الصّعب عليه أنْ يتخلّى عنه. والمثل مُتداول بين العامة بقولهم:

من عاش على مذهب يموت وهو عليه(*)

والمقصود بالمذهب الطريقة والعادة، وهذا المثل يؤدي نفس معنى المثل السابق. ويقال المثل غالباً عندما تتكرّر أخطاء المرء ولا يلاحظ عليه التغيير في سلوكه.

وعندما يتجنب المرء عادة السّوء ثمّ لا يلبث أَنْ يعود إليها فالمثل يقول:

عادت لعترها لميس(1)

والعتر يعني الأصل، ولميس اسم امرأة واللّام في لعترها بمعنى إلى، والمثل يُضرب لمن يرجع إلى عادة سوء سَبقَ وأن أقلع عنها. ويقول الأصمعي في مثل هذا المثل:

رجع فلان على قِرَواه

ومثله:

عاد فلان في حافرته(2)

وقرواه أي حالته أو طريقته الأولى، وكذلك الحافرة تعني الحالة الأولى، ومنه قوله تعالى: ﴿أءنا لمردودون في الحافرة﴾(3)، يعني إلى الحياة بعد الموت، والمثل يؤدي معنى الرّجوع والعودة إلى العادة السابقة. ويتفق مع هذا المثل في المعنى قولهم:

عادت حليمة لعادتها القديمة(4)

ويلفظ أحياناً:

(*) من الأمثال المتداولة.

(1) الميداني، جـ ٢، ص ٣٢١. / العسكري، جـ ٢، ص ٤٩.

(2) الميداني، جـ ٢، ص ٣٥٩. / ابن سلام، ص ٢٨٢.

(3) سورة النازعات، آية رقم ١٠.

(4) عبد الكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٣٧٨.

ويضرب المثل عندما تتأصل العادة في المرء ولا يستطيع تركها فيعود لممارستها. وحليمة وريمة من أسماء النّساء. وقيل في أصل المثل أنّ حليمة هذه كانت عند زوجها، وكان زوجها دائماً يشكو إلى أهلها من خصالها السيئة، وكانت في كل مرّة يشكوها إلى أهلها تتعهّد بأن تترك هذه الأخلاق، ولكنّها رغم ذلك تعود وتشكو وتتعهّد، فأطلق هذا الزّوج على زوجته هذا المثل الذي يدل على غلبة الطّبع على التطبّع.

وقد تكون العادة مستمرّة مع المرء فلا يتركها ويعود إليها فقط، وإنّما تستمر معه مدى حياته، وفي مثل ذلك قالوا:

العادة طبع

أو

العادة عضو[1]

أي أن ما يعتاده الإنسان يصبح لديه طبيعة لا مفرّ منها، أو كجزء من جسمه لا يمكنه التخلي عنه بطوعه واختياره. ويضرب المثل لمن عوّد نفسه عادة من العادات حتى تمكنت منه وأصبحت ملازمة له.

وقد يحاول الإنسان إصلاح نفسه والابتعاد عن مُمارسة بعض العادات السيئة التي لا تتفق ومجتمعه، إلاّ أنّ العادة وتأثيرها القوي في نفسه تجعله يعود إليها مرّة أخرى فيقع في نفس الأخطاء التي سبق وأن حاول الابتعاد عنها، عند ذلك يقولون:

العادة يا سعادة[2]

وسعادة اسم من أسماء النّساء، ويضرب المثل لمن وقع فيما سبق وأن حاول

---

(١) نفس المصدر، جـ٢، ص ١٢٠/١٢٢.

(٢) تيمور، ص ٢٣٥.

الابتعاد عنه. والمثل كأنه يقول إنّ الوقوع في الخطأ ليس بمستغرب نظراً لتعدّد حدوث ذلك.

ولتأثير العادة القوي على الإنسان واليأس من الرجوع والإقلاع عنها قال العرب:

العادةَ اللّي بالبدن ما يغسلها إلاّ القطنة والكفن [1]

ويضرب المثل لتوضيح مدى تحكم العادة في حياة الإنسان وإنّه من الصعوبةِ بمكان الإقلاع عنها.

وخشية من تعوّد الإنسان واستمراره في الإساءة إلى الغير قال العرب:

عادة السوء شرٌّ من المغرم [2]

ومعناه أنّ من عوَّدته شيئاً ثمّ منعته كان أشدّ تأثيراً من الغريم لأن الغريم قد ينتهي شرّه بدفع دينه أمّا صاحب العادة السيئة فقد يستمر فيها وتستمرّ إساءته معه.

ولما لتكرار العادة السيئة من أثرٍ قد يُشجّع على استمرارها، فقد فضّل الكثير من النّاس القضاء عليها ومقاومتها منذ البداية، وتعبيراً عن ذلك قالوا:

لو نُهيت الأولى لانتهت الثانية [3]

ويضرب المثل للرّجلِ يُسيء فيُحتَمل فيعتاد الإساءة مرّة ثانية، والمثل لابن أبي حجر الأيادي، وذلك أنّ الحارث بن أبي شمّر الغسّاني لطمُه لطمة فاحتملها ابن أبي حجر ثمّ أنّه لطمه مرّة ثانية فعندما قال: «لو نُهيتِ الأولى لانتهت الثانية» والمعنى لو انتقمتُ للأولى ولم أحتملها لما عُدت لِمثلِها، وَذَهَبَ قوله مثلاً لكل من لم يُردع مُنذ البداية حتى لا يعتاد عمل السّوء ثانية.

---

(١) هاني العمد، الأمثال الشعبية الأردنية، ص ٣٥٠.

(٢) الزمخشري، جـ ٢، ص ١٥٥. / ابن سلام ص ٢٨١.

(٣) الميداني، جـ ٣، ص ٨١. العسكري، جـ ٢، ص ١٩٧.

٦- السفر

السّفر هو الانتقال من بلدٍ إلى آخر، وعندما ينتقل الإنسان من مكان إقامته الأساسيّة إلى مكان آخر فانّ المسافر يُصبح غريباً على ذلك المكان، ويعيش حياة جديدة تختلف عمّا ألفه في موطنه السّابق نظراً لاختلاف النّاس والعادات والتقاليد. والسّفر في الغالب لا يخلو من المتاعب والمضار، وفي الحديث الشريف يقول صلى الله عليه وسلم: السّفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه فإذا قضى أحدكم نهمته فليعجل إلى أهله(١). ومع ذلك لا يخلو السّفر من الفوائد والإيجابيات، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: سافروا تصحّوا واغزوا تستغنوا(٢). أمّا من يسافر لأسباب لا تخدم الدّين والمصلحة الخاصة والعامة فإنّ ذلك النّوع من السّفر غير مرغوب فيه ويتعارض مع السّفر المباح والبريء. وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: العمل بالنية وإنّما لِكُلِّ امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأة ينكِحُها فهجرته إلى ما هاجر إليه(٣).

ولما للسّفرِ من إيجابيات فقد انعكست فوائده على ألسنة الناس بالأمثالِ المُتداولة بينهم والمعبرة بوضوح عن آثاره في كلّ زمان ومكان. وممّا قيل في ذلك:

الحركة ولود والسّكون عاقر

وذلك لما تؤديه الحركة من التعرّف على أشياء جديدة وجديرة بالاهتمام إذا

---

(١) صحيح البخاري، جـ ٢، ص ١٦٩.

(٢) مسند الامام أحمد بن حنبل، جـ ٢، ص ٢٨.

(٣) صحيح البخاري، جـ ٣، ص ٣٣٨. وفي رواية [إنّما الأعمال بالنيات.. الخ].

قورنت بالسكون الجامد والذي شبّهه المثل بالعاقر التي لا تنجب.

ويقول أحد الحكماء: السّفر يسفر عن أخلاق الرّجال لأنه يكشف مناقبهم ومدى تحمّلهم. وقال كعب بن مالك رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرّجل في غير رفقة، ومن ذلك قال الناس:

ابدأ بالرفيق قبل الطريق

أو

الرفيق قبل الطريق(*)

ومعنى ذلك أنّ المرء إذا أراد السّفر فإنّه من الضروري أن يبحث عن رفيق يصحبه في سفره لأن الإنسان في حالة البعد عن الأهل والأقارب ربما يتعرّض لما يُسيء إليه فلا يجد المعين وهو في بلاد الغربة في مكان قد لا يعرف عنه شيئاً.

وبما أنّ المُسافر يجهل في الغالب عادات وتقاليد المجتمع النّازح إليه مّما يجعله أقرب إلى الوقوع في الأخطاء ومشاكل المجتمع، فقد انعكس ذلك في الأمثال التي توضح موقف المُسافر من الغربة وآداب السلوك التي ينبغي أنْ يُراعيها في ذلك المجتمع الجديد. وفي مثل ذلك قالوا:

الغريب أعمى ولو كان بصيراً

وقالوا كذلك:

الأسد في بلاد الغربة جبان[1]

والمقصود أنّ الغريب مهما كانت فطنته وشجاعته فهو معرّض للوقوع في الأخطاء سواء أكانت عن قصد أو غير ذلك، وهو بذلك في أمسّ الحاجة إلى المساعدة والإرشاد لكي يتجنب المشاكل ومعوّقات التكيّف مع المجتمع النّازح إليه، والمثل الذي يصف هذه الحالة يقول:

الغُربة كُربة

(*) من الأمثال المتداولة.

(1) محمد صادق دياب، ص ٢٩.

أو:

الغُربة كُربة وهمّ للرّكبة[1]

ويضرب المثل في قسوة الغربة ومتاعبها، والمثل يحث في نفس الوقت المسافر على الالتزام إلى حد ما بعادات وتقاليد المجتمع المسافر إليه. والمثل الذي يشير إلى هذا المعنى بطريقة أوضح يقول:

يا غريب كُن أديب[2]

ومعنى ذلك أنّه إذا كان التحلي بحسن الأخلاق واجباً على الجميع فهو على الغريب أكثر وجوباً لأنّه يُعتبر ضيفاً على البلد أو المكان الذي يزوره، وبالتالي لا بد له من احترام نظام وقوانين ذلك المجتمع وعاداته وتقاليده.

وإذا لم يحترم الغريب القوانين والأنظمة في بلاد الغربة فهو ممّن لا يحترمها في بلاده، ويقول المثل في ذلك:

عويل بلاده عويل بلاد النّاس

والمراد أنّ الكسول الخامل في بلاده يظل كذلك حتى في بلاد الغربة، وكما أنّ العطار لا يصلح ما أفسده الدهر فإنّ الغربة كذلك تعجز عن اقتلاع العادات السيئة المستوطنة في نفس الغريب.

أمّا قولهم:

الغُربة تُعلّم[3]

فذلك لأن الغريب غالباً ما يعتمد على نفسه في تحمّل مشاق السّفر والصّبر على الشدائد فضلا على ما يكتسبه من معرفة بعادات الشعوب وحضاراتها وأساليب العيش فيها، وقيل في ذلك قديماً:

تغرّب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفريج همّ واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

(١) محمد صادق دياب، ص ٢٨.
(٢) محمد صادق دياب، ص ٢٧.
(٣) محمد صادق دياب، ص ٢٨.

والسّفر والغربة قديماً يختلفان تماماً عن ما هو عليه في الوقت الحاضر بسبب التطوّر في وسائل النقل وسهولة الاتصال، ولكن ما تزال الغربة هي الغربة والشوق للوطن هو نفسه بغض النظر عن ذلك الاختلاف. وعندما يزداد شوق الغريب لوطنه وأهله فإنّ المثل يقول في ذلك:

الغريب طالب بلاده[1]

ومن الأقوال المشهورة كذلك: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى بلد تواقة وإلى مسقط رأسها مشتاقة. وممّا يقول الشعر في حب الوطن:

بلاد ألفناها على كلِّ حالة ... وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
ونستعذب الأرض التي لا هوائها ... ولا مائها عذب ولكنها وطن[2]

(١) محمد صادق دياب ص ٢٨.
(٢) الابشيهي، ص ٢٦.

الفصل الرابع

الأمثال في الأحوال الاجتماعية

الصديق - الجار - الضيف - القضاء - العروسان
ليلة الزفاف - الزوجتان والحياة الزوجية - الاختيار
في الحياة الزوجية - أقوال عامة في الحياة الزوجية
الحرّ والعبد - هفوات الأمجاد وكبوات الجياد

١- الصَّـديق

كلمة الصّديق وكلمة الصّداقة كلّها كلمات مشتقة من صَدَقَ. وكلمة الصّديق إنّما هي تعبير قويّ لالتزام الإنسان بصفة الصّدق، وبذلك يجب أن يكون الصديق نموذجاً واضحاً لما تحمله كلمة الصّدق من معنى. فإذا كان الصّديق مخلصاً صادقاً في علاقتِه مع غيره فقد أصبح أخاً حميماً، وإذا كان غير ذلك فهو يفقدُ أسس الصّداقة الصحيحة. ومن ذلك أُنْزِلَ الصّديق المُخلص في صداقتِه منزلة الأخ، وقالوا:

رُبَّ أخ لمْ تَلِدْه أُمُّكَ[١]

وهذا المثل ما هو إلاّ تعبيرٌ للصّديق الذي تكون علاقته مع غيره في القول والعمل أكثر صدقاً وإخلاصاً من أخِ الإنسان لأبيه وأمّه. وأصل هذا المثل كما تَذكّر بعض المصادر للقمان بن عاد حيث رأى رجلاً مع إمرأة فاتّهمه وقال لها: من هذا؟ فقالت: أخي، فقال مجيباً لها: رُب أخ لمَ تَلِده أُمُّكَ، فذهبت قولته مثلاً. وسواءٌ أكانت هذه القصّة صحيحة أم لا فالمثل أصبح متداولاً بين النّاس ويُضرب في حالةِ إعانة الرّجل صاحبه ومساعدته بإخلاص حتى وكأنّه أخوه لأمّه وأبيه. ويقول أُبيّ بن حمام بن جابر:

أعاذلتي كم من أخٍ لي أَوَدُّهُ	كريمٍ عَليَّ لم يلدنيَ والِدُه
إذا ما التقينا لمْ يُريني ألِدُّهُ	ولكنّني مُثنٍ عليه وزائِدُهْ
وآخر أصلي في التَّنَاسُبِ أَصْلُهُ	يُباعِدُني في رأيِهِ وأُباعِدُهْ
يودُّ لَوَ أنّي كنت أوّل فاقدٍ	وأيضاً أَوَدُّ الوُدَّ أنّي فاقِدُه[٢]

أما الصّديق الذي لا يلتزم بواجب الصداقة قولاً وعملاً فهو غير صديق ولا

---

(١) الزمخشري، جـ٢، ص٩٣. / العسكري، جـ١، ص ٤٨١:

(٢) العسكري جـ١، ص ٤٨١.

يجب الاعتماد عليه في وقت الشدّة. وفي هذه النوعية يقول محمد بن إدريس الشّافعي:

إذا المرءُ لا يرعَاكَ إلاّ تَكلُّفا ... فدَعهُ ولا تُكثر عليه التّأسُّفا
ففي النّاس أبدَالٌ وفي التّركِ رَاحَةٌ ... وفي القلب صبرٌ للحبيب ولو جفا
فما كلُّ من تهواه يهواكَ قلبهُ ... ولا كلّ من صافيته لكَ قد صفا
إذا لم يكن صفو الودَادِ طبيعةً ... فلا خيرَ في خلٍّ يجيء تكلُّفا
ولا خيرَ في خلٍّ يخونُ خليلَهُ ... ويلقاهُ من بعدِ المودّةِ بالجفَا
ويُنكرُ عيشاً قد تَقادم عهدهُ ... ويُظهر سرّا كان بالأمس قد خفا
سلامٌ على الدّنيا إذا لم يكن بها ... صديق صدوقٌ صادِقَ الوعدِ مُنصِفا(1)

والأيام ونوازل الدّهر هي المحكّ الذي يُظهر الصّديق على حقيقته ومدى وفائه بموجبات الصّداقة. والمثل الدّارج في هذا الخصوص قولهم:

الصّديق الذي ينفع وقت الضّيق

أو:

الصّديق وقت الضّيق(*)

والمثل يحُث على التزام الفرد بمساعدة صديقه أو أصدقائه في السّرِ والعلن وعند الأزمات والمواقف الشديدة. وإذا لم يكن ملتزماً بذلك فهو صديق بالإسم لا بالفعل والعمل، والمثل في ذلك يقول:

ما كلّ صديق رفيق(*)

والمقصود في ذلك أنّ الأصدقاء ليسوا على نمط واحد، فمنهم الصادق المخلص ومنهم غير ذلك. وقد يعني المثل أنّ الأصدقاء ليسوا على حدّ سواء في الوفاء والصّدق ولذلك يجب على المرء أن لا يعطي أسراره لِكُلِّ صديق معتقدا بأنّه قد أمِن على سرّه، أو لا يعتمد وقت الحاجة على كلّ صديق مؤمِّلاً المساعدة عندما تَضطّره الأمور.

---

(1) ديوان الشافعي ص ٩٨. / الهاشمي جـ ٤، ص ٤٨٤/-٤٨٥.

(*) من الأمثال المتداولة.

(*) من الأمثال المتداولة.

وحتى في إسداء النّصيحة فالأصدقاء ليسوا على مستوى واحد من الاستقامة والرشد، فقد ينصح المرء صديقه ويحثه على الابتعاد عن شيء مّا ولكنه يجد مقابل الاستماع لنصيحته ردود فعل سلبية غير متوقعة. والمثل الدّارج في ذلك قولهم:

كلمة الصّديق حرشاء(*)

رحرشاء بمعنى خشنة، لأنّ المنصوح لا يثق أو لا يرغب الأخذ بنصيحة صديقه ويرى فيها الخشونة بل وربما ينظرُ إلى ناصحِهِ وكأنّه عدوٌّ له. وفي ذلك حذّر النّاس من نُصحِ هذه النّوعيّة من النّاس وقالوا:

لا تَنصحْ الجاهل يتَعدوى لك(*)

أي يصبح عدوّاً لك بعد الصّداقة التي كانت سائدة قبل ذلك. والمثل يحثّ على تجنّب نصح الجهلاء، ولكنه في نفس الوقت يدعو العقلاء إلى تقبل نصائح الأصدقاء وخاصة إذا كان النّاصح صادقاً مخلصاً في نصحه وإرشاده. وفي ذلك يقول أبو زيد الطائي:

وكنت إذا الصّديق أراد غيظي ... وشرّقني على ظمأٍ بريقي
غفرتُ ذنوبه وكظمتُ غيظي ... مخافة أن أعيشَ بلا صديقِ

وقال آخر:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً ... صديقك لم تلق الذي لا تُعاتِبُه
وإن أنت لم تشرب مراراً على القذى - ظمئت وأي النّاس تصفو مَشارِبُه(1)

وهناك من يستغلّ الصّداقة بينه وبين شخر آخر لتحقيق أغراضه ماديّة أو ما شابه ذلك. وفي ذلك ضُرب المثل القائل:

(*) من الأمثال المتداولة.

(*) من الأمثال المتداولة.

(1) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، جـ ١، ص ١٢٠. / الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، جـ ١، ص ٤٤٧.

الصّديق المخسّر العدوّ المبين[1]

ويضرب هذا المثل في حالة تأثير المادة على العلاقات بين النّاس.

وحّثاً لِلحِفَاظ على الصّداقة تداوِل الناس المثل القائل:

صاحبك القديم وصفه عديم

أو:

قديمك نديمك[2]

وذلك تعبيراً عن أهمية العلاقة القديمة بين الناس، وأنّ التّفريط في الصّاحب الأول قد لا يحل محله البديل المناسب. وتضرب هذه الأمثال للحث على أهمية العلاقات والروابط الاجتماعية القديمة بين الناس، وقد تغنّى الشّعراء في أهمّيّة تفضيل الصّاحب القديم حتى في الأشياء الماديّة والتي نورد منها التالي:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب الآ للحبيبِ الأولِ
كم منزل فيّ الأرضِ يألَفُه الفتى ... وحنينُهُ أبداً لأوّلِ منزلِ[3]

وقد يَعمدُ المرء إلى فكّ روابط الصداقة عندما تعمل التجربة دورها في الحياة. فهناك نوعية من الناس يهتمون بحفظ الصداقة في السّراء فقط ولكنهم عند الظروف الحاسمة والمواقف الحرجة لا تجد لهم أثراً ولا مساعدة أو غيرها، وفي مثل هؤلاء يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه[4]:

ما أكثر الأصحاب حين تعدهم ... ولكنّهم في النائبات قليل

ويقصد بالنائبات الكوارث والأزمات الشّديدة التي تمر على بني الإنسان في الحياة الدنيا.

---

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ٧١. وهذا المثل من الأمثال المتداولة عند العرب حتى اليوم.

(٢) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ٦٤.

(٣) ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي جـ ٤. ص ٣٠٣.

(٤) الهاشمي، جواهر الأدب، جـ ٢، ص ٤٢٤.

٢- الجَار

حسن الجوار من الأمور الهامّة في حياة الإنسان الإجتماعية، والإنسان بفطرته اجتماعي ولا يمكن أن يعيش منفرداً، وتقتضي ظروف معيشته الحياة بجوار جنسه من البشر. وقد حثّ القرآن الكريم وحثّت السّنة المطهّرة على أهمية الجار وفضله في مواضع متعددة. فيقول تعالى في سورة النساء: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب. . . ﴾ الخ الآية[1]، وفي الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورثه»[2]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»[3].

ورغم أهمية الجار وحق الجوار إلّا أن النّوعية فيهم قد تختلف من فرد إلى آخر. فهناك الجار الطيّب والذي يسعى الإنسان لمجاورته والعكس بالعكس. وفي بيان فضل الجار وأهميته تداول الناس الأمثال بناء على تجارب مرّوا بها أسهمت في تصوّرات المجتمع وإدراكه لما ينبغي أن يكون عليه الجار من السلوك والآداب التي تقتضيها المصلحة العامّة. ومن الأمثال الدّارجة في ذلك قولهم:

الجار قبل الدّار

أو:

إبدأ بالجار قبل الدّار

أو:

---

(١) سورة النساء، آية رقم ٣٦.

(٢) صحيح البخاري، جـ ٤، ص ٥٣.

(٣) صحيح البخاري، جـ ٤، ص ٥٤.

عليك بالجار قبل الدّار[1]

والمراد أنه قبل أن يبحث الإنسان عن الدّار التي سيقطنها وصلاحيتها يجب أن يعرف من هو ذلك الإنسان الذي سيكون جاراً له، ومما يُروى في هذا المجال أن أبا الأسود الدؤلي كان له جار كثير الأذى فكان يرمي أبي الأسود بالحجارة ليلاً، فلما عجز أبو الأسود في إقناعه عن العدول عن ما هو عليه باع داره وانتقل إلى مكان آخر. فقيل له: أبعت دارك؟ فقال: لم أبع داري ولكن بعت جاري، فذهبت قولته مثلاً. وكان بعض فقهاء الشّام يقولون إذا أردت شراء دار فاسأل عن جوارها قبل أن تشتري، وإذا أردت السّفر فاسأل عن الرفيق قبل الشخوص. وقال الأصمعي في الجوار:

بعت جاري ولم أبع داري[2]

ومعناه أنه كان راغباً في داره إلّا أن جاره أساء إليه فباع الدّار من أجله. وقيل إنّ النعمان بن المنذر سأل الصقعب بن عمرو الهندي، وكان من حكماء العرب: ما الداء العياء؟ فقال: جار السّوء الذي إن قاولته بهتك وإن غبت عنه سبعك. وقال الأصمعي كذلك في الجار إن من أمثال العرب ذلك:

هذا أحق منزل بترك[3]

ويضرب المثل لكل شيء أو منزل قد استحق أن يُترك بسبب الجوار السيء. وقال العرب أيضاً في جار السّوء:

لا ينفعك من جار سوء توق[4]

وعندما يحتاج الجار إلى تقويم جاره وإصلاح حالة رغبة منه في تفادي شرّه فالمثل الدّارج يقول:

أطلب لجارك الخير إن مانلت منه تكتفي شرّه[5]

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٨٣.

(٢) ابن سلام، ص ٢٧٨. الميداني، جـ ١، ص ١٠٤.

(٣) ابن سلام، ص ٢٧٨.

(٤) ابن سلام، ص ٢٧٧. العسكري، جـ ٢، ص ٣٩١.

تيمور، ص ٣١.

أمّا الجار الطيّب فإن الإقامة بجانبه مكسب والحرص على مجاورته مطلب، ومن أمثال العرب في ذلك قولهم:

من جاور السّعيد يسعد[1]

والمقصود بالمثل أنّ الجار الطيّب بطبيعته سيكون مصدر سعادة في كل أعماله لمن سيكون جارا له.

وقالوا كذلك في فضل الجار الطيب:

جارك القريب ولا أخوك البعيد[2]

ويضرب هذا المثل في بيان فضل الجار في وقت الشدّة. فهناك بعض الظروف التي قد يكون الجار فيها أجدى وأنفع وأقرب لنجدة جاره من الأخ الذي يقطن على مسافة بعيدة لا يستطيع مد يد العون والمساعدة وقت حاجتها.

وقد يكون الجار قاسياً في المعاملة بعض الشيء، ولكن تحمّله من قبل جاره أمر واجب يفرضه حقّ الجوار، ولربما أصلحته الأيام، وفي ذلك يقول المثل:

الجار ولو جار. أو: الجار جار وإن جار[3]

والمثل يحث على الصبر على الجار والتجاوز عن أخطائه بقدر الإمكان وذلك لكونه أقرب الناس بعد الأهل، وكذلك تقديراً لأهمية الجوار.

ولأهميّة الجوار وفضله يقول العرب:

الجار أولى بالشفعة[4]

وتداول الناس لهذا المثل ما هو إلاّ أخذ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: «الجار أحق بشفعة جاره»[5]. وتداول الناس لهذا الأثر إنّما يوضح أحقية المرء بالشيء من غيره نتيجة لعلاقة مّا تربطه به.

---

(١) تيمور، ص ٣٨٤.

(٢) محمد صادق دياب، ص ٨٣.

(٣) تيمور، ص ٨١. أحمد السباعي، ص ٢٥.

(٤) تيمور، ص ٨١.

(٥) مسند الامام أحمد بن حنبل، جـ ٢. ص ٢٠٢.

والجار الذي لم تصلحه الأيام ولم يتوقف استمرار معاملته السيئة لجاره يجب في مثل هذه الحالة تجنبه وعدم الاحتكاك به، وحثا على ذلك يقول المثل:

صباح الخير يا جاري أنت في دارك وأنا في داري(١)

ولعل المقصود من المثل هو تجنب التطرف في الإختلاف بالجيران لما يمكن أن يسبّبه ذلك من خصومة وشقاق.

وفي مجاورة الغير لمدّة طويلة ما قد يتسبب في تعود الإنسان على نمط من الحياة ربما يكون ايجابياً أو سلبياً، وفي مثل هذه الحالة يقول المثل:

من جاور القوم أربعين صباح صار منهم(*)

وهذا المثل ينطبق على الجار وعلى قرين المرء، لأن اقتران الإنسان بغيره لمدة طويلة، كفيل باقتناء العادات والتقاليد بما فيها الطيّب والخبيث.

ولأن أكثر ما يطلع على خصائص المرء وأسرته ومشاكله جاره، نظراً لقربه منه ومعرفته بكل ما يرد ويصدر إلى منزله، فقد عبرت الأمثال عن ذلكِ بقولهم:

جارك قُدّامك ووراك إن ما شاف وجهك شاف قفاك(٢)

والمثل في الواقع يحث على الحذر والحيطة من اطلاع الآخرين على المشاكل الأسرية الخاصة حفاظاً على سمعة الأسرة والتشهير بما يحدث فيها. وقد أورد الأبشيهي مثلاً يوافق في المعنى المثل السابق مثل:

جارك مرآك إنْ لم ينظر وجهك نظر قفاك(٣)

والمثل كسابقه يهدف إلى حث آلناس على التستّر في شئونهم الخاصّة بقدر الإمكان.

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٨٣. من الأمثال المتداولة. وآخر يقول أنت في حالك وأنا في حالي.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٢) تيمور، ص ٨١.

(٣) الابشيهي، جـ١، ص ٤٣.

٣- الضَّيف

الضَّيافة من الصَّفات العظيمة والمحبوبة عند العرب، وإكرام الضَّيف عندهم من الخصال الحميدة التي ترفع من مكانة العربي في قومه، وفي تاريخ العرب معلومات وفيرة ومشاهد عظيمة تثبت حقّ الامتياز للمواطن العربي اتصافه بهذه الصفة الكريمة، صفة الكرم. ومن كرماء العرب المشهورين حاتم الطائي وغيره الكثير. والكرم وإكرام الضَّيف من الأشياء التي حثنا عليها الدّين الإسلامي الحنيف، ففي الحديث الشريف يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[1].

ومن ذلك أصبح الكرم شعاراً يُفتخر به وأصبح الكريم مضرب الأمثال بين النّاس وقدوة صالحة لغيره. وتميّز الكريم في ذلك بإظهار البشاشة والسّعادة عندما يحل به الضّيف. ويقول الشّاعر في ذلك:

الله يعلمُ أنّه ما سرّني	شيء كطارقة الضّيوف النزّل
ما زلتُ بالترحيب حتى خلتني	ضيفاً له والضّيف ربّ المنزل[2]

ويقول سيف الدولة بن حمدان:

منزلنا رحب لمن زاره	نحن سواء فيه والطارق
وكلّ ما فيه حلال له	إلاّ الذي حرّمه الخالق[3]

ولأهمية الضّيف عند العرب تداول الناس فيه الأمثال الكثيرة بعضها تحت

---

(١) صحيح البخاري، جـ ٤، ص ٧٠.

(٢) الأبشيهي، جـ ١، ص ١٨٢.

(٣) الأبشيهي، جـ ١، ص ١٨٢.

على إكرامه وبعضها توضح طريقة معاملته والبعض الآخر تُحدّد زمن إقامته عند المُضِيف. وممّا قيل في الحثّ على الضيافة قولهم:

الضّيف ضيف الله

أو:

الضّيف ضيف الرّحمن[1]

ويضربان في حالة تواضع المضيف على اعتبار أنّ قدوم ضيفه عليه كان مقدّراً من الله تعالى حتى يثاب على إكرامه.

ومن عادات العرب أنّ الضّيف إذا نزل على المُضيف فإنّه يجب عليه الالتزام بآداب الضّيافة التي تُعطي المُضيف حقّ التصرّف في شئونِ ضيافته، وفي ذلك قالوا:

الضّيف أسير المعزب

أو:

الضّيف في حكم المُضيف[2]

والمقصود أنّ المُضيف هو وحده الذي يُمكن أنْ يُقرّر طريقة إكرام ضيفه وزمن إقامته. وبذلك يجب على الضّيف التصرّف وفق ما يرغب مُضيفه وأنْ لا يُسيء إلى مُضيفه بأيّ شيء وأنْ يلتزم بآداب الضّيافة طول مدّة إقامته عنده، ويقول الشّاعر في معنى ذلك:

لا ينبغي للضّيف أن يعترض — إن كان ذا حزم وطبع لطيف
فالأمر للإنسان في بيتهِ — إن شاء أنْ يُنصف أو أن يُخيف[3]

وقد يحدثُ أنْ يستضيف الإنسان أكثر من واحد، وفي الحالات النّادرة قد يختصم ضيوفه حول موضوع مّا، ممّا يجعل المُضيف في حالة حرج وقلق

---

(١) هاني العمد، ص ٣٣١.
(٢) هاني العمد، ص ٣٣٠.
(٣) الابشيهي، جـ١، ص ١٨٥.

واضطراب لما يحدث من تطوّرات لهذه الخصومة، وفي مثل هـذه الحالات تُحدّد الأمثال الموقف الذي يجب على المُضيف اتخاذه، فيقول المثل:

الضّيف على الضّيف مُطلق(١)

والمقصود بأنْ لا يتدخل المُضيف بين ضيوفه وما عليه إلاّ التزام موقف الحياد حتى لا يشعر أيّ طرف منهم بأنّه مع فئة ضدّ أخرى. والمثلُ يُضرب لمن يكون في موقفٍ يتطلب منه التزام الحياد في المعاملةِ مع الغير.

ومن آداب الضّيافة عند العرب أن لا يستغلّ الضّيف حسن الاستقبال وبشاشة المُضيف فيطيل الإقامة عنده لأن في ذلك تعطيل مصالحه وأعماله الخاصّة، والأمثال التي قيلت في مثل هذه الحالة كثيرة، ولنذكر منها على سبيل المثال:

الضّيف إذا أمسى وأصبح ممّا يفضح(*)

وهذا المثل من الأمثال العاميّة المتداولة والذي يحث الضّيف على عدم بقائه عند المُضيف مدّة طويلة قد تتسبّب في تعطيل مصالح كلا الطرفين.

وقالوا كذلك:

ضيف ساعة يريد سنة(*)

ويقال المثل عندما تطول إقامة الضيف ممّا يجعل المُضيف يتذمّر من طول إقامته فيعمل أي وسيلة يمكن أنْ يُشعر بها الضّيف بأنّ طول إقامته فيعمل أي وسيلة يمكن أنْ يُشعر بها الضّيف بأنّ طول إقامته أصبحت مُملة.

ومن العادات الشائعة في بعض المناطق العربية أنّ تقديم العود للضّيف بعد

---

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ٨٩.

(*) من الأمثال المتداولة.

(*) من الأمثال المتداولة. وفي الحديث الشريف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضّيافة ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحلّ له أن يثوي عنده حتى يحرجه». (صحيح البخاري، جـ ٤، ص ٧٠).

تقديم وجبة الضّيافة تعتبر من الوسائل التي يعرف بواسطتها الضّيف أو الضّيوف بأنه قد آن وقت الانصراف من منزل المُضيف، ومن الأمثال الشّائعة والتي تُعبّر عن هذه الصّورة قولهم:

ما بعد العود قعود(*)

والعود هو الطّيب المعروف الذي عادة ما يقدم للضّيف عند نزوله، وبعد انتهاء مراسيم الضيافة. والمثل يحث في معناه على تحديد زمن إقامة الضيف بمجرّد اكتمال ما قدم له المضيف من واجب. وهذا المثل ليس له قصة معروفة، ولكن يبدو أن البلاغة الكلامية لعبت دورها في ميلاده. فقد يحدث أنّ بعض البلغاء أطلق هذا القول في بعض المناسبات آخذاً وسيلة السّجع في اللغة تعبيراً للفكاهة، ثمّ تناقل الناس هذا القول حتى أصبح مثلاً يتداوله الناس في مناسبات مُختلفة.

ومن عادات العرب أن يكون الضّيف عاقلاً في تصرفاته سواء في كلامه أو مأكله أو مشربه أو في أيّ عمل يقوم به خلال إقامته ضيفاً على الغير. وإذا ما حدث من الضّيف ما يتناقض مع الأعراف المتداولة بين النّاس فإن ذلك قد يُسيء إلى مكانته ومنزلته عند مُستضيفه. وتُشير بعض الأمثال إلى نوادر فكاهية لبعض التّصرفات التي لا تتفق ومكانة الضّيف، من هذه الأمثال قولهم:

خُطّار سُقيان(١)

وكلمة خُطّار عند العرب بمعنى الضّيوف، وسُقيان هو سُقيان التوم من قبيلة الرّوقة. أحد قسمي عتيبة، وهو أحد أمراء هذه القبيلة. وقصة المثل: أنّ ثلاثة وفدوا على سُقيان فأضافهم، وقبل أن يأذن لهم بالأكل ذهب ليُنادي أحد أبنائه الكبار لمشاركتهم، ولكنّ أحدهم تسرّع وأكل فغصّ على مشهدٍ من ابن سقيان الصغير وأحد رجال القبيلة، وتنسّم الضّيف الآخر من الخجل بريح من بطنه،

(*) من الأمثال المتداولة. وقد أورد ذكره القشامي في كتيبه الصغير ص ٥٣.

(١) القشامي، ص ٢٠.

وقام الثّالث وتناول اللّبن وشربه، ثمّ أنّهم هربوا جميعاً من الخجلِ لأن ما قامـوا به يتنافى مع الأعراف الشّـائعة عنـد العرب. فـأصبحت فعلتهم هذه مثـلا عند العاميّة لِكُلِّ من يتعجّل في أموره، ولِكّلِّ من لا يحـرص على آداب الضّيـافة. ومع أنّ المثل له قصّة فكاهيّة.إلاّ أنه يحمل معاني مفيدة لها أهمية كبيرة على سلوك الإنسان ومدى تعجلّه في أعماله وتحمله للمواقف.

٤- القضاء

القضاء في اللّغة يعني الحُكم ومنه سُمّي القاضي حاكماً، والفقهاء يُعرّفونه بأنّه القول الملزم يَصدُر عن ولاية عامّة. وابن خلدون عرفه بأنه الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للمنازعات[١]. ويقول الزُّهري رحمه الله: القضاء إمضاء الحكم، وسُمّي الحاكم قاضياً لأنه يُمضي الأحكام ويحكمها ويكون قضى بمعنى أوجب فيجوز أن يكون سمي قاضياً لإيجابه الحكم على من يجب عليه[٢].

والقضاء مسئولية عظيمة أقرتها الشريعة الإسلامية حفاظاً على حقوق البشر من الضياع والاعتداء عليها. ولأهميّة هذه المهنة حدّدت الشريعة الإسلامية الشروط الواجب توفّرها في القاضي باعتباره المسئول عن تحكيم شريعة الله بين الناس. ومع أنّ مهنة القضاء شَرفٌ عظيم إلا أنّها من أخطر الأعمال لعظم مسئوليتها، وفي ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «من جعل قاضياً فقد ذُبح بغير سكين»[٣]. وقيل في هذا الحديث إنه لم يخرج مخرج الذمّ للقضاء وإنّما وصفه بالمشقة فكأن من وليه قد حُمِلَ على مشقةٍ كمشقة الذّبح.

وعلى مدى الزمن الطويل، ونظراً للتجارب التي مرّت بها المجتمعات في المعاملات مع بعضهم البعض فيما يتعلق بشئون القضاء، وما لوحظ أحياناً من اختلاف واضح بين قاض وآخر، حفلت الأمثال بالكثير من اللمحات عن القضاء موضحة فلسفة المجتمع في قضاياهم ومودعة في أمثالهم خلاصة تجاربهم

(١) محمد مدكور، معالم الدولة الإسلامية، ص ٣٢٧.

(٢) صحيح مسلم، جـ ١٢، ص ٢.

(٣) المغني، ابن قدامة، جـ ١١، ص ٣٧٤.

وآرائهم. ولنذكر في هذا المجال بعض هـذه النماذج من الأمثـال وغيرهـا لنعطي قدراً من الضوء على تلك الجوانب. ومما قيل من الأمثال العاميّة في ذلك:

الفاضي يعمل قاضي(*)

والمقصود بهذا المثل أنّ الفراغ من الأمور التي لا تخدم مصلحة الفرد الخـاصة ولا مصلحـة المجتمع العـامة، ولـه مساوىء كثـيرة تُؤدي في الغـالب إلى وقـوع الإنسان فيما لا يحمده، والسّبب في ذلك عدم وجود ما يشغله من الأمور النـافعة في حياته. فتجد من يتّصف دائماً بالفراغ في حياته فهو يشغل نفسـه بأمـور الغير وبالتالي يُؤدي إلى تعطيل مصالحهم. وغالبـاً ما تجـد الفاضي يُنصّبُ نفسـه حكماً في شئـون الناس ومنـازعاتهم وهـو غير كفء لـذلك ولا يعلم بمسـائـل القضـاء واختصاصاتـه، فأطلق النـاس على مثـل هؤلاء قولهم: الفـاضي يعمل قـاضي. أضف إلى ذلك أن البعض من الناس يلفظون المثل بقولهم:

الفاضي يعمي القاضي(*)

وذلك على اعتبار أنّ القاضي غالباً ما يكون مشغولاً بإنجاز معامـلات الناس فيما بينهم وأنّ أي إضاعة لوقته تُؤدي إلى تعطيـل مصالـح العباد، فلا يجوز ممن ليس لهم أي حق في معاملاتهم مـع الغير إشغـال وقت القاضي بمـا لا نتيجة لـه سوى مضيعة الوقت.

والمنـازعـات بـين النـاس في القضـاء وغـيره تقتضي أن يكـون هنـاك طـالب ومطلوب أو مـدَّعٍ ومُدّعَى عليه، ويحدث نادراً أنْ يكـون المطلوب هـو المسئول أو المقـرّر الذي سينـظر في القضية ويبّت فيهـا، وفي مثل هـذه الحالات تـداول الناس المثل القائل:

إذا كان خصمك القاضي من تقاضي

أو:

(*) من الأمثال المتداولة.

(*) من الأمثال المتداولة.

حاكمك غريمك إن ما طعته يضيمك[1]

والمثل يعكس بوضوح فلسفة المجتمع في مثل تلك النّوعية من القضايا اعتقاداً منهم بأنّ المسئول أو المقرّر طالما هو الطرف الثاني في القضية فقد يكون القرار الأخير في صالحه. ومثل هذه القضايا في الواقع غير واردة فعليّا ولكنها قد تحدث بنسبة محدودة لأن لكل قاعدة شواذاً.

ولوجود ظاهرة الاختلاف في السّلوك الإنساني بين فرد وآخر، فقد يسيء شخص لآخر بدون حق مشروع، وفي مثل ذلك يقول المثل:

لو أنصف الناس استراح القاضي[2]

ويضرب المثل للحث على حُسن المعاملة بين الناس والاستقامة في العمل وعدم الإضرار بالناس حتى لا يُساء إلى الغير بما لا يخدم المصلحة العامة.

واعترافاً بفضل القضاء في إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه قالوا:

ما يضيع حق وراه طلّاب

وقالوا:

الحق الذي وراه مطالب ما يموت

وكذلك:

الحق يعلو ولا يُعلى عليه[3]

وكل هذه الأمثال تحث على تجنب الظّلم والإجحاف بحقوق الغير لأنّ صاحب الحق هو المنتصر في النهاية. وفيها كذلك الحث على المطالبة بالحقوق المشروعة.

وتجنباً لشهادة الزّور تداول الناس الأمثال في ذلك للعظةِ والعبرة، فقالوا:

---

(١) تيمور، ص ١٠٠.

(٢) السباعي، ص ٧٦.

(٣) السباعي، ص ٢٨/ ١٣.

القاضي إنْ مدّ يده كثرت شهادة الزّور[1]

ومعناه أنّ تساهل القاضي في أخذ الرّشوة يؤدي إلى كثرة شهود الزّور للحاجة إليهم في الدعاوي الكاذبة، حتى قالوا في أثر الرّشوة:

الحقّ نطّاح[2]

ويُروى في أصل المثل أنّ رجلاً رشا بعض القضاة بـإوزة ولكنّ خصمه تقـدّم للقاضي بشاة فحكم القاضي لصاحب الشّاة فقيل المثل.

وتحذيراً من الشّهادة بدون حق قال العرب في ذلك:

الشهادة عقبه[3]

أي لها عواقب وخيمة، فإذا شهدت لإنسان أو عليه فيجب الحذر من قـول غير الحق لأنه كما تَدين تُدان.

---

(١) تيمور، ص ٢٨٤.

(٢) تيمور، ص ١١٢.

(٣) تيمور، ٢١٣.

٥ – العروسان ليلة الزفاف

الزّفاف هو الفرح، والمقصود به تلك اللّيلة التي يتم فيها الـزّواج وفيها يبتهج الناس بدق الطبول والغناء إذا لم يكن فيه أمر محرم. ففي الحديث الشريف عن بشر بن المفضل عن خالد بن ذكوان قال: قال الربيع بنت معوذ بن عفراء: جاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حين بُني عليّ فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدّف ويندبن من قُتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد. فقال: دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين[١].

وفي ليلة الزّفاف غالباً ما يكون العروسان وكل من له علاقة بالزفاف في جوّ من المرح والسرور والفكاهة. ومع ذلك قد يحدث أنْ يقع العروسان أو أقاربهم في بعض الأخطاء التي تتم مراقبتها وتسجيلها من قبل المدعوون ثم يتناقلونها لتصبح بعد ذلك أمثلا يُضرب بها عند حدوث مثلها في مناسبات الزفاف. وبغير حدوث الأخطاء حظيت مناسبات الزواج في مختلف المجتمعات بأقوال مشهورة أصبحت على مرّ الزمن أمثلا متداولة. ومن الأمثلة التي تداولها الناس في مثل ذلك قولهم:

إذ دقّت الطّاسة تجي ألف رقّاصة[*]

ومعنى المثل أنه من المتعارف عليه أنّ الناس دائماً يتهافتون على مكان العُرس أينما كان رغبة في الاستمتاع بالفرح والمشاركة فيه أو حبّاً للاستطلاع، وعندما

---

(١) صحيح البخاري، جـ٣، ص ٢٥١.

(*) من الأمثال المتداولة.

تقام الأفراح والمناسبات في الزّواج غالباً ما يكون تجمع الناس قلة في البداية وكثرة في النهاية. وبما أنّ أفراح الزّواج تُعرف عادةً بدقّ الطّبول والمزمار، فإنّ مُجرد سماعها سيجعل الناس على معرفةٍ بمكان الفرح والتوجه إليه جرياً على العادة المتعارف عليها عند الجميع. وهذا المثل يتناسب مع أوضاع المدينة أمّا في القرية نظراً لاختلاف البيئة واختلاف الوسائل المستخدمة فمثلهم يقول:

إذا دقّ المنقار صار الصّف مقطار(*)

والمنقار هو أداة خشبيّة تستعمل للضرب بها على الدفّ، والمقطار يقصد به مجموعة من الناس تصطف جنباً إلى جنب في حالةِ العرضةِ الشعبّية والتي تُعتبر من الأمور الأساسية في المناسبات، والعرضة غالباً ما تتميّز بها المجتمعات القبليّة، وتختلف في الشّكل والطّريقة من قبيلة إلى أخرى. وعندما يكون هناك مناسبة في أي مكان في القبيلة فالعادة المتبعة أنْ يتوافد إليها النّاس من كلّ القرى المجاورة بمجرد معرفتهم بمكان العرس أو المناسبة. لذلك يُشير المثل إلى أنّ توقع قِلّة الحضور في المناسبة غير موجود طالما أنّ هذه الوسيلة كفيلة بجلب انتباه الناس وتوافدهم.

وعادة ما يُطلق الناس على الوافدين للزفاف بقصد المتعة بالمتاعيس، أي الذي لا يهمهم الاّ المشاركة والتّعب والجهد وغيرهم المستفيد. وفي مثل ذلك قالوا:

العروسة للعريس والجري للمتاعيس(1)

وهناك عكس هؤلاء ممّن يفضلون البقاء بعيداً عن المناسبات اعتقاداً منهم بأن الحصيلة من اشتراكهم أو حضورهم الفرح سيكون في الغالب العناء والتعب الضّائع، وبهذا يعتقدون أنّ النّوم والبقاء بعيداً من أفضل الطرق التي سيحصلون بها على الراحة والهدوء، ومثل هذه الفئة يقولون المثل العامّي:

(*) من الأمثال المتداولة.

(1) السباعي، ص ٥٥.

نومه وتمطيطه أحسن من فرح طيطه

والمقصود بالتمطيطة التمدّد والرّاحة، والطيطة الجلبة والصيّاح. ويضرب المثل لتفضيل النوم المبكر على السهر حتى الصباح الذي هو مظهر من مظاهر أفراح الزفاف في المجتمع. ولأن العُرس يكون أكثر وضوحاً من الخطبة فإن المثل يقول في ذلك:

العُرس أبين من الخطبة(١)

أي أن العُرس أوضح من الخطبة لأن الخطبة في الغالب لا يعلم بها سوى الخاطب نفسه أو بعض أقاربه، أما العرس والمقصود به الزّواج فيكون علناً أمام أعين الناس ويعلم عنه الكثير من غير أقرباء الزّوج والزوجة. والمثل يُضرب للأمر الخفي إذا ظهر وانكشف موضوعه.

وفي الزفاف قد تكون العروس غير بارعة في الجمال ولكنها في نظر أمها تعتبر من أجمل الفتيات، وفي مثل ذلك أقوال شائعة تقول:

القرد في عين أمه غزال

أو:

الخنفس عند أمها بدر(٣)

والقرد حيوان معروف بشكله والخنفس دويبة معروفة سوداء أسمها الخنفساء من الفصيلة العنكبوتية، وهي قبيحة الشكل كريهة الرائحة، والمقصود أن كل مخلوق معجب بجنسه ونسله حتى القردة والخنفساء.

وقياساً على هذه الأمثال نجد كل من له صلة بالعروس كالأم والأقارب والجيران يرون فيها كل المحاسن التي لا توجد في غيرها وما ذلك الاّ لعلاقتهم بها وتعصباً لكونهم أقرب الناس إليها، والمثل الذي يؤيد ذلك يقول:

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٤٠.
(٢) عبد الكريم الجهيمان، جـ٣، ص ٣٤.
(٣) عبد الله آل النوري، ص ١٣٢.

مين يشهد للعروسة غير أمها وخالاتها وعشر من جاراتها(١)

وأم العروس بالذات لها وضع خاص في أيام زفاف ابنتها، وتكون غالباً في ليالي العرس مشغولة بالخوف على ابنتها من عدم اكتمال الأشياء التي تخصها أو قلقة بالتفكير في ما سيحدث لابنتها وقد انتقلت إلى مكان جديد وأسرة جديدة. وفي ذلك قالوا:

أم العروسة فاضية مشغولة(٢)

ويضرب المثل لمن لا يستقر على وضع معين وثابت عند المواقف التي تتطلب الحزم.

وفي ليالي الزفاف قد يحدث أَنْ تلعب الظروف دوراً قاسياً في فشل الزواج، ومثل هذه الظروف وفاة العريس أو حدوث أي عائق آخر يؤدي إلى انفصال العروسين. وللتجارب التي مرّت بها الناس في مثل هذه الظروف ضُربت الأمثال الدّالة على هذا المعنى والتي تعكس بوضوح أسلوب الصدق والموضوعية في مثل هذه الأمور، ومما قالوه في ذلك:

عروسة في المنصّة ما تدري لمن تُكتب(*)

ومعنى ذلك أنّ احتمال القدر وارد في التأثير على العريس بما لا يجعله زوجاً لعروسته ليلة الزفاف. ويُضرب المثل للإيمان بالقضاء والقدر وأنّ كل شيء قسمة ونصيب.

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٤٠.

(٢) محمد صادق دياب، ص ٣٩.

(*) من الأمثال المتداولة.

٦- الزوجتان والحياة الزوجية

الزّواج من اثنتين من الأمور التي أباحتها الشريعة الإسلامية كما ورد في قوله تعالى ﴿وأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنىً وثلاث ورباع فإن خفتم ألّا تعدلوا فواحدة. . . الآية﴾[١]. وفي الآية الكريمة إيضاح صريح بالإباحة ولكنّ الاستثناء ورد في حالة عدم الاستطاعة في العدل. وموضوع العدل بين الزوجتين من الصعب تحقيقه، وقد يعدل الإنسان في الأمور الماديّة ولكنّه لا يستطيع في غير ذلك. وحديث المصطفى أعظم دليل لتوضيح ذلك، حيث تقول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول: اللّهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني القلب[٢].

وحقيقة الأمر أنّ زواج المرء بزوجةٍ ثانية يحتاج إلى شيء من التوضيح. فالرّجل الذي أكرمه الله بالمرأة الصالحة ورزقه الله منها البنين والبنات وليس هناك ظروف صحية تمنع استمرار الحياة الطبيعية معها، فإنّ زواجه من أخرى ليس له المبرر الكافي لعدم توفر الواقعيّة في الأسباب وبذلك فإن احتمال وقوع المشاكل وعدم الوفاق بين الزوجتين أمرٌ مُحتمل. أمّا في حالة وجود الأسباب المقنعة كالعقم عند الزّوجة أو الظروف الصحيّة القاسية، فإن زواج المرء للمرّة الثانية سيحظى بالاستحسان والرضا سواء من الزوجة الأولى أو الثانية وذلك لأن أسباب الزّواج مقبولة وواقعيّة وبعيدة كل البعد عن هوى النفس مِمّا سيساعد على استقرار الأسرة وسعادتها.

---

(١) سورة النسا، آية رقم ٣.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ٦، ص ١٤٤/ المغني، ابن قدامة، جـ٨، ص ١٤٨.

وفي المشاكل الزوجيّة خاصّة ما يتعلق بالزوجتين نجد الأمثال وخاصّة العاميّة منها تحفل بالكثير من اللّمحات عن وضع الرّجل في حالة زواجه من اثنتين وعن طبيعة العلاقة بين الزوجتين وكذلك علاقتهما مع الزوج. فيقول العرب في حالة الزواج باثنتين:

زوج الاثنتين عريس كل ليلة(1)

ويُضرب المثل في حالة تسابق الضَّرَّتان على تدليل زوجهما وإرضائه بحيث تطمح كل واحدة منهما في الحصول على رضاه وكسب ودّه. وكثير من الناس يقول من باب الفكاهة أنّ ذلك من أهمّ مزايا الزّواج بزوجتين.

والنّاس ليسوا سواسية في الاستطاعة والعدل والإقدام على الزّواج، ولمعرفة المجتمع بذلك فمثلهم يقول:

زوج الاثنتين يا قادر يا فاجر(2)

والمقصود أنّ من يتزوج بامرأتين فإنّه يُفترض فيه أن يكون قادراً على الإنفاق عليهما والعدل بينهما وإلا فإنّه من العبث أنْ يقدم الإنسان على ما ليس في استطاعته القيام به.

وتحذيراً للزّوجة الأولى من قيام زوجها بالزواج عليها عندما يصبح غنياً قالوا:

إنزع ريش طيرك قبل ما يلف بغيرك (3)

والمقصود بالمثل هو حث الزوجة على الإسراف في مال زوجها وتبذيره حتى لا يتزوج عليها، ففي نظر البعض من النساء أنّ المال الزائد عند الرّجل قد يدفعه إلى الزّواج ولذلك يجب عليها أنْ تعمل على تبذير مال زوجها لتجنب حدوث ذلك. وواقع المثل للتندّر والفكاهة مقبول أمّا العمل به فمكروه وغير مُستحب

---

(1) محمد صادق دياب، ص ٤١.

(2) محمد صادق دياب، ص ٤١.

(3) محمد صادق دياب، ص ٤٧.

لما له من أثر على اقتصاد الأسرة وإلحاق الضّرر المادّي بالزوج بدون حق.

وهناك بعض الأزواج الذين لا يلتزمون الاستقامة والعدل في المعاملة بين زوجاته، فأحياناً ما يُظهر إعجابه وإخلاصه في المحبّة لِكُلِّ واحدة على حدة بدون علم الأخرى، وهذا أمر غير طبيعي ويؤدي إلى المشاكل وعدم استقرار أمور الأسرة، وأحياناً أخرى يتضح إجحافه علناً بحق إحداهما وغالباً ما تكون الزوجة الأولى هي كبش الفداء في ذلك. ولأنّ مثل هذه الأمور لا تخفى على الناس فلم يتورّع المجتمع من التدليل عن ذلك بالأمثال المعّبرة والدّالة بوضوح على مثل هذا التصّرف، ومثلهم في ذلك يقول:

طار طيرك ووقع في العش غيرك(*)

ويضرب المثل في حالة تَنكُّر المرء لزوجته الأولى وعدم الاهتمام بشئونها ورعايتها مقارنة بالزوجة الثانية.

وفي العادات الاجتماعية التي لا يمكن إنكارها يفضل الكثير من الناس أن تكون العروس بكراً، ويؤيد هذه الرغبة قول المصطفى صلى الله عليه وسلم في حديث عن جابر بن عبد الله قال: تزوجت امرأة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تزوّجت قلت نعم، قال أبكراً أم ثيباً، قلت ثيباً، قال: فأين أنت من العذارى ولعابها(1). ولكن الظروف كالطلاق أو وفاة الزّوج وما شابه ذلك تجعل من العروس ثيباً. وبما أن الأغلب ممّن يرغبون الزواج للمرة الثانية يجدون القبول والرضا بهم عند الثيبات أكثر منه عند الأبكار، أضف إلى ذلك أثر النظرة الإجتماعية القاسية التي تضع الثيب في الدرجة الثانية بعد البكر، فإنّ ذلك أوجد الفرصة للزوجات الأوائل وغيرهن لمزج الجد بالهزل والتفكّه في الأمثال، فقالوا:

الثيبُ عُجالة الرّاكب(2)

(*) من الأمثال المتداولة.

(1) صحيح مسلم، جـ ١٠، ص ٥٢.

(2) الميداني، جـ ١، ص ٢٦٩. / العسكري جـ ١، ص ٢٨٩.

والثيبُ هي التي ثابت إلى دار أبيها بعد الزواج أي رجعت إليه، والعُجالة هي ما تتعجله من شيء. ورغم قساوة المثل في معناه إلاّ أنّه يُضرب للحث على الرّضا بيسير الحاجة إذا أعوز جليلها حتى في حالة الزواج.

والنساء في الغالب أشدّ غيرة من الرجال وخاصّة مع بعضهن البعض، ولذلك حفلت الأمثال العاميّة بالكثير من المعاني التي تعكس بوضوح تصوّر المجتمع وتجاربه لهذا الجانب، من ذلك المَثل الشّائع:

نار الطّبينة تحرق ولو كانت في المشرق [1]

والطبينة هي الضرّة، والضرّة هي شريكة المرأة في زوجها، ويُضرب المثل كدليل على شدّة غيرة المرأة من ضرّتها ولو كانت تعيش على بُعدٍ منها.

ومثلٌ آخر له قصة طريفة توضح مدى أثر الغيرة في المرأة من ضرّتها، يقول المثل:

الضُرّة مُرّة [2]

وقصّةُ هذا المثل أن زوجين مُحبين لبعضهما إلاّ أنّهما لم يُنجبا، فأرادت الزوجة أن تظهر حُبّها لزوجها، فألحّت عليه أنْ يتزوج لينجب إبناً يحيا به ذكره وتزدان به حياته، لكن الزوج كان يكره إزعاج زوجته، فلما ألحّت عليه ثانية قال: سأفعل ثم سافر وعاد من سفرهِ ومعه ما ظنته إمرأته أنّها زوجه. ومرّت الأيام وكل واحدة في مكان، وفي يوم قريب من عودته من عمله دخل الدار ووجد الزوجة الأولى تبكي، فسألها ممّ تبكين؟ قالت: إن امرأتك شتمتني وقذفتني وعابتني بكل نقيصة عرفها الناس. فقال: قد كنت أخشى ذلك وسأضربها وأكسرّ رأسها بعصاي هذا أمامك، فما كان منه إلاّ أن قام بضرب الضرة المزعومة بعضاة فانكسرت فإذا هي جرّة، فقالت الزوجة وقد بُهتت بما فعلته: لا تلمني يا ابن عمّي فالضرة مُرّة ولو كانت جَرّة.

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٤٠.

(٢) عبد الله آل النوري، ص ١٩٦.

وأحياناً ما يُبالغ في بعض الأمثال عن شدّة كراهية المرأة لِضَرّتها، ومثل ذلك قولهم.

شريكة تَحرّ ولو في القبر[1]

والشّريكة هي الضرَّة وتَحرّ أي تؤذي وأذاها كالنّار، ويُقال بأنّ سبب هذا المثل أنّ رجلاً كان يمشي مع زوجته فمرّا بمقبرة فقال: هنا قبر زوجتي الأولى، وذهب ليزورها، فلمّا وصل القبر صرخت الزّوجة، فقال: ما بك؟ قالت: جُرحت رجلي، قال: ما جُرحك؟ قالت: بعظم زوجتك الأولى. والمقصود من المثل المبالغة في شدّة كره الزوجة لضرتها حتى في حالة الموت.

---

(1) عبد الله آل النوري، ص ١٧٦.

٧- الاختيار في الحياة الزوجية

اختيار الزوجة يُعتبر من الأمور الهامة في حياة الإنسان لما لذلك من أثر عظيم في بناء الأسرة والمجتمع. ومما يُؤيد أهميّة الاختيار ما ورد في السنّة المطهّرة من أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول: «تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا اليهم»[١]. وقال صلى الله عليه وسلم: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدّين تربت يداك»[٢]. وقال عليه الصلاة والسلام: «إنما النساء لعب فإذا اتخذ أحدكم لعبة فليستحسنها»[٣].

وللتجارب التي مرّت بالمجتمعات فيما يتعلّق بالحياة الزوجية ولأثر الاختيار في الزواج على قوام الأسرة، وُجدت الأمثال الكثيرة التي تعكس آراء الناس وملاحظاتهم وتقويمهم لهذا الجانب الهام في حياتهم. ومن الأمثال التي توضح أثر اختيار الزوجة قولهم بالعامية:

إنكح من قوم تجدهم على قبسك[*]

والنكاح بمعنى الزّواج والقبس يعني النّار، والمقصود أن ما تُنجبه الزوجة من بنين وبنات سيرثون صفات وعادات أقارب الزوجة من أخ وأب أو عم وخال وما شابه ذلك. وعندما يكون زواج المرء من أسرةٍ صالحة ذات حسب ونسب ولها كيانها الاجتماعي الطيب فإن ما سيكون له من الأولاد إنّما هم سلالة تلك

(١) المغني، جـ ٧، ص ٤٦٩.
(٢) صحيح مسلم، جـ ١٠، ص ٥١.
(٣) المغني، جـ ٧، ص ٤٦٩.
(*) من الأمثال المتداولة، وهذا المثل تتداوله في الغالب قبائل المنطقة الجنوبية بالمملكة العربية السعودية.

الأسرة الطيبة التي وفق في اختيار الزوجة منها. والعكس قد يحدث عندما يُسيء المرء الاختيار فيتزوج من أسرة معروفة بالسمعة السيئة والسيرة غير المحمودة، فسيتأثر نسبه بهذه النوعية لأن الفروع تتبع الأصول. وفي ذلك قال ابن الجوزي: ينبغي للعاقل أنْ ينظر إلى الأصول فيمن يُخالطه ويُعاشره ويُشاركه ويُصادقه ويزوجه أو يتزوج إليه . وإذا كانت الزوجة ممن لا أصل له فقل أن تكون أمينة وصالحة وكذلك ما تنجبه من الأطفال. ويقول في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني»[1].

ويقول العرب في وصف الأصيلة:

الأصيلة تنام مع زوجها على الحصيرة[2]

والحصيرة هي الفرشة البسيطة التي يكتفي باستخدامها البُسطاء من الناس والفقراء. والمقصود بالمثل أنّ الزوجة الأصيلة إذا وقع الاختيار عليها أصلاً كزوجة، فإنّها ستتحمل وتصبر مع زوجها على تقلبات الزّمن أو كما يقولون على الحلوة والمُرّة، فلا يُجزعها الفقر ولا يخدعها الغنى. أمّا قليلة الأصل فسرعان ما تتنكّر لزوجها في حالةِ الشدّة والظروف القاسية. ويقول الشّاعر في ذلك:

إذا تزوجّت فكن حاذقاً　　واسأل عن الغصن وعن منبته

وقال آخر:

وأوّل خُبث الماء خبث ترابه　　وأوّل خُبث القوم خُبث المناكح[3]

ويقول الشاعر في حسن اختيار الزّوجة:

صفات من يستحب الشّرع خطبتها　　جلوتها لأولى الأبصار مختصراً

---

(١) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، جـ٢، ص ٢٠٠.
(٢) محمد صادق دياب، ص ٣٩.
(٣) الابشيهي، جـ٢، ص ٤٢٩.

حسينةٌ ذات دين زانها أدبٌ ولو تكون حوت في حسنها القمر
غريبةٌ لم تكن من أهل خاطبها هذي الصّفات التي أجلوا لمن نظرا
بها أحاديث جاءت وهي ثابتة أحاط علماً بها من في العلوم قرا[1]

وأحياناً يُفضّل البعض اختيار الزوجة من غير الأقارب، وفي ذلك قالوا:

خُذ من الغرايب ولا تأخذ من القرايب[2]

والمثل يَحثُّ على الزّواج من خارج مُحيط الأسرة، ولعل السّبب هو تجنب الأمراض الوراثية التي قد تتركز في الأبناء عند زواج المرء من قريبة له تحمل نفس الخصائص الوراثية التي يحملها... أو لعلهم بذلك يحاولون أن يتجنبوا حدوث الخلاف في محيط الأسرة في حالة فشل الزوج والزوجة في استمرار حياتهم الزوجية. وهذا المثل لا يمكن أن يُؤخذ به كقاعدة عامة، ولكنّه لا يخلو من الإيجابية خاصة في بعض الحالات النادرة.

ويتعارض مع المثل السابق في المعنى بعض الأقوال التي لها وجهة نظر مُختلفة، منها قولهم:

نار القزيب ولا جنّة الغريب

وفي لفظ آخر:

نارك ولا جنّة غيرك[3]

والزواج من الغرايب لا يُقصد به ممن يحمل نفس العقيدة، ولكن المقصود من غير أقرباء الزّوج، أمّا من يختلف عنه في الدّين فقد وقف المجتمع من ذلك موقف عدم الرّضا والاستحسان لما له من نتائج لا تعود بالخير والصّلاح على الزوج نفسه والمجتمع بأسره. وفي مثل ذلك قالوا:

---

(1) الابشيهي، جـ ٢، ص ٢٤٩.
(2) محمد صادق دياب، ص ٤٤.
(3) السباعي، ص ٨٩.

الذي يتزّوج من غير ملّته يموت بعلّته[1]

وفي المثل الحث على الزّواج من المرأة المسلمة الفاضلة لاهميّة ذلك على الحياة الزوجية وتربية الأبناء وتوجيههم.

ويتفق مع المثل السّابق قولهم:

اللّي ما هو على دينك ما يعنيك[2]

ويضرب المثل كنصيحة لمن يتزوج أو يوالي أو يصادق من ليس من أهل دينه أو ليس من طبقته أو على طبيعته أو خلاف مبدئه. وينطبق هذا المثل على الزّوج والزّوجة على حدٍّ سواء.

والاختيار في الحياة الزوجية لم يكن مقصوراً على اختيار الزوجة فقط وإنما يدخل في ذلك اختيار الزّوج كذلك. والشريعة الإسلامية لها موقف واضح من ذلك، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «لا تنكحوا النّساء إلاّ من الأكفاء ولا تزوجوهن إلاّ الأولياء»[3]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأمنعنّ فروج ذوات الأحساب إلاّ من الأكفاء، رواه الخلال بإسناده[4]. وقال رجل للحسن أنّ لي ابنة فمن ترى أن أزوجها؟ قال: زوجها ممّن يتقي الله عزّ وجل فإن أحبّها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها.

وأحياناً تختار الزّوجة ذلك الرّجل الذي لا يتناسب معها لعدّة أسباب، منها على سبيل المثال تأخير زواج الفتاة من قبل ولي أمرها ممّا يجعلها تتذمّر وتُعطي موافقتها في الزّواج على أي شخص يتقدّم لخطبتها، وفي مثل ذلك يُروى قِصّة طريفة لمثل معروف بين الناس يقول:

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٤٣.
(٢) عبد الله آل النوري، ص ٤٩.
(٣) المغني، جـ ٧، ص ٣٧٢.
(٤) المغني، جـ ٧، ص ٣٧٢.

زوجٌ من عود خيرٌ من قُعود[1]

وهذا المثل لبعض نساء الأعراب حيث يقول المُبرّد: حدثني علي بن عبد الله بن ابن عائشة قال: كان ذو الأصبع العدواني رجلاً غيوراً وله بنات أربع وكان لا يزوجهن غيره منه، فاستمع عليهنّ يوماً وقد خلون يتحدّثن فقالت إحداهن: لتقل كل واحدة منّا ما في نفسها ولنصدق جميعاً، فقالت كُبراهنّ:

ألا ليت زوجي من أناسٍ ذوي غِنى حديث شباب طيب النشر والذِّكِر
لصوقٌ بأكبادِ النّساء كأنّه خليفة حان لا يُقيم على هجرِ

وقالت الثانية:

ألا ليته يُعطي الجمال بهدية له جفنة تَشقى بها النيب والجزرِ
له حكمات الدّهر من غير كبرة تشينُ: فلا وان ولا ضرع غمر

فقلن لهن أنت تُريدين سيِّداً، وقالت الثالثة:

ألا هل تراها مرّة وحليلها أشمّ كنصل السّيف عين المهند
عليهمّ بأدواء النّساء ورهطه إذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقلن لها أنت تُريدين ابن عمّ لك قد عرفته. وقلن لِلصغرى: ما تقولين؟ قالت: لا أقول شيئاً، فقلن: لا ندعك وذاك، إنّك قد اطلعت على أسرارنا وتكتمين سرّكِ. فقالت: زوجٌ من عود خيرٌ من قُعود، فَخُطِبنَ فزوّجهنّ جميعاً. فذهب قول الصّغيرة مثلاً. ويُضرب المثل لمن يُفضّل الزّواج بأي كان بغض النّظر عن مدى توفّر الشروط في الزوج.

وفي العادات الاجتماعية الزّواج من كبير السّن شيء مألوف خاصّة إذا كان فارق السّن بين الطرفين متقارباً، ومن الأمثال التي تحكي تصور المجتمع في ذلك قولهم:

(١) الميداني، جـ ٢، ص ٨٣.
(٢) محمد صادق دياب، ص ٤٢.

شايب يدلّعك ولا شباب يولّعك[1]

ويُقصد بالمثل أنّ كبار السّن أكثر تدليلاً لزوجاتهم الصغيرات، فهم أكثرُ حِرصاً على كسبِ ودّهنّ ورضاهنّ ولعل ذلك مصدره إلى النّضج أو مراعاة الفارق الزمني والعقلي بين الطرفين.

ويختلف مع المثلين السّابقين في المعنى قولهم:

اللّي يتجوز أكبر منّه يا كُتر همّه[2]

والمثل يُستخدم لكلا الطرفين سواء الرّجل أو المرأة، إلاّ أنه في الغالب ما يكون مُوجّهاً إلى الرجل أكثر خاصّة وأن المتعارف عليه في المجتمع أنّ الرّجل في معظم الحالات يتزوّج من هي أصغر منه سناً. والخروج عن المألوف عادة ما يكون مصحوباً بنوعٍ من الحيرةِ والقلق... ولعل للنظرة الاجتماعية الشائعة في أن المرأة عُرضة للشيخوخة قبل الرّجل أثراً على مولد هذا المثل وشيوعه.

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٤٢.

(٢) محمد صادق دياب، ص ٤٢.

٨- أقوال عامة في الحيَاة الزوجيـة

الزّواج أو النّكاح مطلب ديني أقرّته الشريعة الإسلامية، بواسطته يستمر النّسل وتُعمّر الدّنيا ويتم تنظيم الحياة الاجتماعية بين الناس. ويقول الله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . . . الآية﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾[2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضّ للبصرِ وأحصنُ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم فإنّه له وجاء»[3].

والزّواج كغيره من الأمور الأخرى تداول الناس فيه الأمثال الكثيرة معالجين فيها جوانب مختلفة من حياتهم الإجتماعية وفقاً للتجارب التي مرّت بهم والظّروف التي أدّت بهم إلى النجاح أو الفشل في حياتهم الزوجية. فمثلاً قد يحدث أن يكون الزّواج مصدر شقاء للبعض لظروف خاصة بهم مِمّا يخلق التذّمر في نفوسهم من تلك الحياة الزوجية التي يعيشونها، وفي ذلك يقول المثل العامي:

جاءت العزبة تشكي لقت المتزوجة تبكي[4]

ومع أنّ مثل هذه الحالات نادرة الحدوث ولا يُقاس عليها عموماً، إلاّ أنّه لا يمكن إنكار ما يلاقيه البعض من متاعب تجعل من حياتهم الزوجية أكثر قساوة وأمرّ مذاقاً من حياة العزوبية لظروف خاصّة بهم، وهذا ما يؤيد الأمثال التي

---

(١) سورة النساء، آية رقم ٣.
(٢) سورة النور، آية رقم ٣٢.
(٣) صحيح مسلم، جـ ٩، ص ١٧٢.
(٤) محمد صادق دياب، ص ٤٥.

ذكرت في هذا الشّأن وما تحمله من معنى.

ويتفق مع المثل السّابق قولهم:

العزوبيّة ولا الجوازة العرّة[1]

والمقصود أنّ العزوبية خير من الزواج الذي يعرّ ويُشين. والعِرّة بالكسر هي الشيء المُشين والمُزعج، ويُضرب المثل لمن يتعثّر في زواجه ويتذكر عند ذلك أنّ العزوبية مقارنة بزواجه المتعثر أفضل.

ويتفق مع المثل السّابق قولهم:

قُعاد الخزانة ولا الجوازة الندامة

ويقول المثل العامي كذلك:

يا مجوّز ولدك عشان تستريح جاك الهمّ من صحيح[2]

والمثل الأخير يُضرب لبعض حالات الزّواج عندما تكون فيها زوجة الابن مصدر نزاع وتعب للأسرة.

وقد يعمد البعض إلى انتهاج مسلك الشدّة في الأيام الأولى من حياته الزوجية اعتقاداً بأنّ هذا الطريق سيؤدي إلى القضاء على المشاكل والخلافات الزوجية، ومن العادات القديمة والشائعة عند البعض حتى اليوم بأنّه من الضروري أن يكون الرّجل حازماً مع امرأته خاصّة خلال الفترة الأولى من الزواج حتى يكون عندها مَهيب الجانب مَسمُوع الكلمة، فإذا ما فرّط وتساهل ستكون النتيجة عكسية وهي تغلب الزوجة على زوجها وانقياده لتنفيذ أوامرها حسب طلبها. وفي مثل هذه الحالات لم يتورّع المجتمع من إبراز مثل هذه المعاني في أمثالهم العامية فقالوا:

إذبح بسّك ليلة عُرسك[3]

---

(١) تيمور، ص ٢٤٤.

(٢) محمد صادق دياب، ص ٤٥.

(٣) محمد صادق دياب، ص ٤٦.

والمثل في معناه يحث على مُعاملة الزّوجة بالحزم منذ البداية وتُجنّب الإفراط في التدليل والتساهل تجنباً للمشاكل والخلافات المستقبلية. ورغم أنّ الخلافات المبكرة بعد الزواج مباشرة قد تحدث بشكل نادر جداً إلّا أن المثل لا يخلو من السلبية خاصة في قساوة ألفاظه.

والخلافات الزوجية ظاهرة موجودة لا يمكن إنكارها والقول بعدم وجودها، ولكنّها تختلف من أسرة إلى أخرى حسب نوعية الخلاف ومدى تأثيره. وغالباً ما تؤدي الخلافات الزوجية إلى كثرة خروج الزوجة من منزل زوجها مما يزيد المشكلة تفاقما وتعقيداً، ومما يؤدي إلى نقمة المجتمع على هذه الظاهرة السلبية. وفي مثل هذه الحالة يقول المثل:

اللّي تطلع من دارها يقلّ مقدارها(١)

والمثل يُقال تحذيراً للمرأة من الخروج من بيت زوجها، وحثاً لها على تجنب هذه العادة السيئة لأن المجتمع لا يفضل هذه العادة ويقاومها ويحط من شأنها.

وفي العلاقات الزوجية لم تُهمل الأمثال بغض المجتمع لبعض الصفات الذميمة التي قد يسلكها الزّوج مع زوجته. ومثل ذلك قد يسلك الزوج منهج الكذب في بعض ما يذكره لزوجته من معلومات وهي بالتالي تنقل إلى أصدقائها أو جيرانها مثل هذه المعلومات والتي هي في الأصل غير صحيحة. والمثل الذي يشير الى ذلك يقول:

زوجها يكذب عليها وهي تكذب على الجيران(٢)

ومعنى ذلك أنّ الزوجة في الغالب تثق بكلام زوجها في كلّ ما يقوله، وعندما تنقل هي بدورها هذه المعلومات المغلوطة أصلاً تصبح هي نفسها في موضع الريبة أمام الغير بأنها كاذبة وهي في الواقع بريئة. والمثل لا يخلو من

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٤٤.
(٢) محمد صادق دياب، ص ٤٥.

الإشارة إلى أن ممارسة الزوج لهذا المنهج طريقة غير مفضلة لأنها تسيء الى مكانة الأسرة وسمعتها.

ولما لِلرّجلِ من طول الباع في القيام بشئون الأسرة والحفاظ عليها والحرص على استقامتها وسلامتها، ربط الناس بين الرّجل والمرأة في حسن تصرُّف الرّجل مع أهله وأنّ المرأة الصالحة لمن صلاح زوجها والعكس بالعكس، وشبهوا ذلك بالفرس التي تعدو في السِّباق فتفوز، كُلّ ذلك بحسن توجيه ولباقة الخيال في تربية فرسه وتدريبها التدريب الكافي الذي سيجعلها في مقدمة الخيول، والمثل التالي يشير بوضوح إلى فلسفة المجتمع في ذلك فقالوا:

الفرس من خيّالها والمرأة من رجّالها(1)

ورجّالها يعني زوجها ومعناه أنّ الفرس تتطبّع بتذليل مُدربها ومُذللها فإذا تغير أنكرته وكذلك المرأة تتأدب بتأديب زوجها وتتطبّع بطباعه فإذا ضعف أمامها استخفت به.

---

(1) آل نوري، ص ٤٧٩.

٩- الحرّ والعَبْد

الحرّ كلمة مُشتقة من حرّر بتشديد الراء، والحر عكس العبد، والعبد أصلاً هو أسير الحرب حيث كان من يُستأسر أثناء الحرب يُصبح عبداً، وعندما يُطلقُ سراحه يصبح حُرّاً. والعبد في الشريعة الإسلامية هو ملك اليمين، وقد حث الإسلام على عتق العبيد، فيقول الله تعالى: ﴿فتحرير رقبة﴾[1]. وقال تعالى: ﴿فك رقبة﴾[2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أعتق رقبة مؤمنة يعتق الله بكل إربٍ منها إرْباً منه من النّار حتى أنّه ليعتق اليد باليد، والرِّجل بالرِّجل، والفرج بالفرج»[3] والعتق من أفضل القرب إلى الله لأنّ الله تعالى جعله كفّاره للقتل والوطء في رمضان وجعله النبي فكاكاً لمعتقه من النّار.

ومع أن كلمة الحرّ أصبحت من الأمور المتعارف عليها بين الناس بأنها تعني تلك الصّفة المنافية للعبودية، إلاّ أنها كذلك تعني ذلك الإنسان الذي يتصف بالذكاء والفطنة وسرعة البديهة. ولما لوحظ من فروق واضحة في المعاملة وحسن التصرف من عدمه بين من عرفوا بالأحرار ومن عرفوا بالعبيد، تداول الناس فيهما الأقوال التي أصبحت على مرّ الزمن تصوّر وتحكي الطّبيعة لكل من يحمل هاتين الصفتين وتعكس آراء المجتمع وفلسفته نحوهما. ومن الأمثال العربيّة في ذلك قولهم:

العبد يُضرب بالعصا والحرّ تكفيه الإشارة

أو:

(١) سورة النساء، آية رقم ٩٢.
(٢) سورة البلد، آية رقم ١٣.
(٣) المغني، جـ١٢، ص ٢٣٣.

العبد يقرع بالعصا والحرّ تكفيه الإشارة[1]

ومعنى ذلك أنّ الرجلِ الذكي إذا صدر منه الخطأ فإنّه بمجرد الإشارة الخفيّة سوف يَعرفُ ما صدر منه فيتجنّب الوقوع في الخطأ. أمّا العبد الغليظ الطّبع البليد الإحساس فقد لا تكفيه الإشارة وإنّما لا بدّ من استعمال شيء محسوس مثل الضّرب أو القرع بالعصا ليتنبه إلى الطريق الخاطىء الذي يسير فيه وذلك لعدم وجود الإحساس المرهف لديه. ويقال في مثل هذه الحالة:

الحرُّ أشّر له والعبد طنقر له[2]

والطنقرة هي إظهار الصّوت لأنّ الإشارة ربّما لا تفي بانتباهه.

وقالوا كذلك في وصف الحرّ:

الحرُّ ما يصحب الدّيك[3]

والمراد بالحرّ هنا الصّقر، والديّك هو ذكر الدّجاج وذلك لما بينهما من الاختلاف في الطبائع وطريقة المعيشة، والحيوان في العادة لا يألف سوى أبناء جنسه. وقد يُضرب هذا المثل لصاحب العنصر الطيّب الذي يترفّع عن مُصاحبة بعض من تحوم حولهم الشبهات أو من لا يتفقون معه في الطبائع. .

وفي وصف الحُرّ بالصّقرِ قال العرب كذلك:

الحرّ يشبع بمخلابه[4]

والمقصود أنّ الصّقر لا تضيق الأمور عليه، فإذا عجز عن العيش من طريق سلك طريقاً آخر. وإذا لم يستطع أن يعيش عيشة الكفاف والمسالمة فإنه يلجأ إلى القوّة باستعمال مخالبه في سبيل الحصول على القوت. ويضرب هذا المثل لتوضيح اتساع مناهج الرزق للأقوياء.

---

(١) عبد الكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٢٧٢.

(٢) عبد الكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٢٧٢.

(٣) الجهيمان، جـ ١، ص ٢٧١.

(٤) الجهيمان، جـ ١، ص ٧٢.

وعُرِفَ الحرُّ بتحمله للشدائد والأزمات أكثر من غيره، وفي ذلك قالوا:

الحُرّحُرّ وإن مسَّهُ الضرُّ[1]

وذلك لأن الحُرّ بفطنته وذكائه سيتغلب على ما يتعرض له من مشاكل وسوف لا يستسلم لها مهما كانت صعوبتها، ويُضرب المثل للحثِّ على التحمّل والصّبر في زمن الشدة.

ولما لِلحّرِ من طبائع تَميّزه عن الآخرين، فقد ضُرب به المثل في حالة الثقة وتحمل المسئولية والوفاء بالوعد، وقيل في ذلك:

وعد الحرّ دين[2]

وذلك على أساس أن كلمة الحر تكفي بأن يفي بوعده بدون الحاجة إلى كتابة وثيقة تثبت ما عليه من دين أو غيره.

أمّا قولهم:

الحُرّ يُعطي والعبدُ يألمُ قَلبهُ[3]

فهو يوضّح مدى الفرق بين الحجر والعبد حتى في حالة الجود.والكرم. ومعنى المثل أنّ الحرّ بطبعه ميّال إلى السّخاء والجود مقارنة بالعبد الذي يشقُّ عليه جود غيره وهذا أبعد غايات البخل.

وفي وصف العبد بالحرِّ في بعض الحالات، فقد تداول الناس المثل القائل:

عبدٌ ما هو لك حرٌّ مثلك[4]

ومعناه أنّ العبد إذا لم يكن مملوكاً لك فهو في حكم الحُرّ بالنسبة إليك، ومما يؤيد المثل السّابق قولهم:

---

(١) الميداني، جـ١، ص ٧٢.

(٢) تيمور، ص ٤١٥.

(٣) ابن سلام، ص ٣٠٨. / العسكري جـ١، ٣٥٩.

(٤) تيمور، ص ٢٣٩.

عبدُ غيرك حرّ مثلك

أو:

ساواك عبد غيرك [1]

والمقصود كما يقول الميداني أنّ ابتعاد العبد عن أوامر ونواهي غير سيده يجعله في منزلة غيره في الحرية.

وللنظرة الاجتماعية القاسية على صفة العبودية أثر عظيم على إحباط منزلة العبد واتهامه بكل نقيمة حتى في حالة ارتفاع مستواه الاقتصادي وتوفّر المال لديه. والمثل الدال على ذلك يقول:

عبدٌ وحليّ في يديه[2]

والمثل يُضرب في هذه الحالة لمن يملك المال وهو لا يستحقه. وعند العسكري في جمهرة الأمثال يقول المثل:

عبدٌ وخليّ في يديه[3]

ويُضرب مثلاً للرّجل اللّئيم يفوّض إليه الأمر فيعيث فيه. وذُكِرَ أنّ نصيبا مدح بعض الأمويين مدحاً، فلمّا أُمِرَ ليدخل بيت المال ليأخذ ما يُريد، أخذ شيئاً قليلا وقال: خشيت أنْ يَصدقُ فيّ المثل، فَيُقال: عبدٌ وخليّ في يديه، فأُعْجِبَ به وأعطي مالاً كثيراً:

أمّا قولهم:

العبدُ وما يملك لسيّده[4]

فالمثل يُشير إلى ضرب من ضروب العبوديّة بين بني البشر. وقد يُقال للتواضع حيث إذا رأى شخص شيئا يُعجبه عند الآخر فيقول ذلك الشخص

---

(١) ابن سلام، ص ١٣٦. / الميداني، جـ ٢، ص ٣٢٢.

(٢) الميداني، جـ ٢، ص ٣٢٢.

(٣) العسكري، جـ ٢، ص ٥٤.

(٤) عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ١٢٣.

معرضاً عليه حاجته: العبد وما يملك لسيّده، مشيراً إلى أنّه شخصياً وما عنده من مالٍ ونحوه تحت تصرّف صديقه.

وكما وُصِفَ الرّجل وُصِفَت المرأة بنفس مُميزات الحرّ، فقالوا في ذلك:

حُرّةٌ صبرت في بيتها عمرت(١)

والمقصود من المثل أنّ المرأة العاقلة التي تتحمّل مشاكل بيتها وزوجها وتصبر على الظّروف القاسية، فإنها بمنزلة الحُرّ وأنّها هي التي ستفوز في النهاية وتستقر في دارها وتعمرها، وذلك بخلاف المرأة الهوجاء التي تنفر من أقل الأسباب فلا تُفلح في بناء أُسرتها.

وعندما يتّصف الرّجل بالمعاملةِ السيئة لغيره والنظرة المتعالية وإنزال من يعامله منزلة العبد، فقد قال العرب فيه:

لا حُرَّ بوادي عوف(٢)

والمقصود أنّ كل من أصبح في حوزته خضعَ له وذلّ. ويُضرب المثل لِلرّجلِ يسودُ القومَ، فلا يُنازعه أحدٌ منهم سيادته. ولهذا المثل قصة ذكرها الميداني والعسكري وابن سلام، وهي كما يقول أبو عبيد بأنّ المثل للمنذر بن ماء السّماء، قاله في عوف بن محلم الشّيباني وذلك أنّ المنذر كان يطلب زهير بن أميّة الشيباني بذحل، فمنعه عوف بن محلم الشّيباني وأبى أنْ يسلّمه، فعندها قال المُنذر: لا حُرَّ بوادي عوف، أي أنّه يَقهرُ كلّ من حلّ بواديه. وقيل بأنّ هذا المثل أُطلق على عوف نظراً لأنه كان يقتلُ الأسارى ولا يُعتقهم.

ولما يُمارسه العبيد من الأخطاء التي تجعل أسيادهم لا يتورعون في ضربهم إذا اقتضى الأمر، فقد أشارت الأمثال العربية إلى مثلْ هذه الأمور كما في قولهم:

لا تشترِ العبد إلاّ والعصا معه(٣)

---

(١) تيمور، ص ١٠٧.

(٢) ابن سلام، ص ٩٤. / العسكري جـ ٢، ص ٤٠٦. الميداني جـ ٣، ص ١٩٤.

(٣) ديوان المتنبي، ص ٤٣٣/٤٣٤. بيروت، ١٩٠٠ م.

وهذا المثل مأخوذ من بيت الشعر للمتنبي الذي يقول فيه:

لا تشتـر العبدَ إلاّ والعصـا معـه إنّ الـعبيـد لأنجـاس منـاكيـد

ويضرب هذا القول مثلاً لمن لا يؤدي واجبه إلاّ بعد استعمال الشدّة. وقد يضرب مثلاً لمن هو في الغالب مظنّة للأخطاء. وهذا البيت من الشعر والذي أصبح متداولاً بين الناس كالمثل مأخوذ من قصيدة المتنبي التي قالها عندما هجا بها كافور الأخشيدي عام ٣٥٠ هـ حيث يقول في مطلعها:

عيد بأيـة حـال عـدت يـا عيـد بمـا مضى أم لأمـر فيـك تجـديـد

إلى أن يقول:

إني نـزلت بكـذابـين ضيـفهـم عن القـرى وعن الـترحـال محدود
جـود الرجـال من الأيـدي وجـودهم من اللسـان فـلا كـانـوا ولا الجـود
أكلما اغتـال عبـد السـوء سيـده أو خـانـه فـلـه في مصر تمـهـيـد
صـار الخصي إمـام الآبقـين بهـا فـالحـر مستعبـد والعبـد معبـود
لا تشتـر العبـد إلا والعصـا معـه إن الـعبيـد لأنجـاس منـاكيـد
من علم الأسـود المخصي مكـرمـة أقـوامـه البيض أم آبـاؤه الســود

١٠- هفوات الأمجاد وكبوات الجياد

الحياة مدرسة تجريبية لِكُلِّ إنسان، فيها يبدأ المرء حياته من الدرجة الأولى من سلّم الحياة حتى يصل إلى نهايته بعد أنْ يَمُرّ بمراحل مُختلفة من الشدّة واللّين والفقر والغنى والمرض والصّحة والشقاء والسّعادة. وهناك من يصل إلى آخر السّلم وهناك من يصل إلى منتصفه وهكذا. وبما أنّ الحياة بمُرّها وحُلوِها تشملُ كُلَّ مخلوق على وجهِ البسيطة، فإنّ الكثير من النّاس تنتابهم العثرة أو العثرات خلال هذا الطريق الطويل. ومنهم من يستطيع التغلّب عليها ومنهم من لم يستطع وهذه سنّة الله في الدنيا. وأفراد المجتمع في كلِّ مكان وعلى مرّ الزمن يرقبون كلّ ما يحدث من تقلبات لبعضهم البعض فيتداولون فيها بالأقوال لتصبح على مرّ الزّمن أمثالاً تُقال عندما تأتي المناسبة الشبيهة بما حدث. ومن أقوال الأحنف الشريف في ذلك:

من عُدت سقطاتُه قَلّت عثراته[1]

وقيل في ذلك أنّ الأحنف بن قيس كان حليماً يُضرب به المثل، ولكنّه أخطأ مرّة وعُدّت له بها سقطة. وقِصّة ذلك أنّ عمرو بن الأهثم دسّ إليه رجلاً يُسفّهه فقال: يا أبا بحر ما كان أبوك في قومه؟ قال: كان أوسطهم وسيّدهم ولم يتخلّف عنهم. فرجع إليه ثانية ففطن أنّه من قبل عمرو بن الأهثم، فقال: ما كان أبوك؟ قال: كانت له فتوّة ومروءة ومكارم أخلاق ولم يكن أهثم سلاجا. وقال سعيد بن المسيّب ما فاتني الأذان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة ثم قام يريد الصّلاة فوجد الناس قد خرجوا من المسجد. وقال

(١) الابشيهي، جـ١، ص ٦٤.

قتادة ما نسيت شيئاً قط ثم قال: يـا غلام نـاولني نعلي فقـال الغُلام: النّعـل في رجلك[1].

ولولا معرفة الناس بأن الكمال لله تعالى وأن بني البشر خطاؤون لما قالوا بالمثل المشهور والمتداول في كلّ زمان ومكان في قولهم:

لِكُلّ جواد كبوة ولِكُلّ صارم بنوة ولكل عالم هفوة[2]

والبنـوة هي تجافي السّيف عن الضّربـة، والكبـوة هي العـثرة، والهفــوة هي الزّلة. والعامة يقولون:

إنّ الجوادَ قد يَعثُر[3]

ومعنى ذلك أَنّ الرجـل تَغلبُ على أفعـاله وأعـماله الأمـور الحسنة والأخـلاق الفاضلة ثمّ تكون منه غلطة تُحسب عليه. ويقول أبو عبيدة: إنّه ليس أحد يخلو من عيب يكون فيه، فإذا كان الغالب على الـرجل الإحسـان اغتفرت سقـطته. وفي الحـديث الشريف يقـول رســول الله صـلى الله عليــه وسلم: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلاّ الحدود»[4] وقوله كذلك: «لا حليم إلاّ ذو عثرة»[5] وإذا أخطأ الرجل مرّة وأصاب مرّة فالمثل يقول في ذلك:

شُخبٌ في الإناء وشُخبٌ في الأرض

وقيل:

شُخّب في الإناء وشُخب في الفناء[6]

والمثل مأخوذ من صفة الحـالب يحلبُ فيصيب مرّة فيسكب الحليب في الإنـاء ويخطىء مرّة فيحلب في الأرض. ويُضرب المثل في الرّجل الذي يصيب ويخطىء

(١) الابشيهي، جـ١، ص ٦٤.
(٢) ابن سلام، ص ٥١. / الزمخشري، جـ٢، ص ٢٩١.
(٣) ابن سلام، ص ٥١.
(٤) مسند الامام أحمد بن حنبل، جـ٦، ص ١٨١.
(٥) مسند الامام أحمد بن حنبل، جـ٣، ص ٦٩.
(٦) العسكري، جـ١، ص ٥٣٩.

في مُعظم تَصرُّفاته. ويقول الأصمعي في مثل ذلك:

هو يشوب ويروب[١]

ويثوب بمعنى يخلط اللّبن بالماء ويروب يُخثّره فلا يخلطه به. ومنه أخذ العرب قولهم:

فلان يشوب على أصحابه[٢]

وحسب ما إشار إليه الأصمعي في قوله السّابق فالمثل الأخير يُقصد به أنّ فلاناً يَخلط في كلامه الصّدق بالكذب.

أما قولهم:

يَشجُّ مرَة ويأسو مرّة[٣]

فمعنى ذلك يُفسد أحياناً ويُصلح أحياناً أخرى.

وإذا كان الرّجل ممّن يُعرف بالقول الثّابت والتصرّف الحسن ثم يُخطىء فيقولون في ذلك:

سكت ألفاً ونطق خلفاً[٤]

والخُلف هو السّقط في الكلام. ويقول الشّاعر في ذلك:

وكائن من صامت لك مُعجب زيادته أو نقصه في التكلّمِ[٥]

وهذا البيت يُقال أنه للأحنف بن قيس حيث جالسه رجل يطيل الصّمت حتى أُعجب به الأحنف ثم أنّه تكلّم فقال للأحنف: يا أبا بحر: أتقدر أن تمشي على شرف المسجد، فعندها تَمثّل الأحنف ببيت الشعر السّابق ذكره.

---

(١) ابن سلام، ص ٥٢. / الزمخشري، جـ ٢، ص ٤٣١.
(٢) ابن سلام، ص ٥٢. / العسكري، جـ ٢، ص ٤٢١.
(٣) ابن سلام، ص ٥٢.
(٤) العسكري، جـ ١، ص ٥٠٩. / الزمخشري، جـ ٢، ص ١١٩.
(٥) ابن سلام، ص ٥٥.

وعندما تكون الزلّة من العَالِمْ أو الرّجل الذي يُعرف بالخصالِ الحميـدة، تجد المجتمع أحياناً لا يغتفر هذه الزّلة وتجد الكثير يروّج لها ويقولون عنه بـالذمّ رغم أنّه كان في نظرهم سابقاً من المفضلين، والمثل الدارج في ذلك يقول:

إذا طاح البعير كثرت سكاكينه

وأحياناً يلفظ:

إذا طاح الثّور كثرت سكاكينه(*)

وذلـك أنّ البعير وهـو في صحّته ونشـاطه يصعب التغلّب عليـه والنيّل منـه، ولكنه عندما يُمسك به ويُنحر يتهافت عليه الجزارون بسكاكينهم للحصـولِ على أكبر قدرٍ مُمكن من لحمه. ويُضرب المثل للّرجل صاحب المكـانة والشـأن عندمـا يخطيء وتصيبه قـوارع الزّمن بسبب تلك الخـطيئة فيبـدأ ذوو النفوس الضعيفـة بالحديث عنه وعن سلبياته بينما كان قبل ذلك عندهم يوصف بالإيجابية في جميـع أعماله.

(*) من الأمثال المتداولة في معظم الأقطار العربية قديماً وحديثاً.

الفصل الخامس

الأمثال في الأحوال الاقتصادية

الدَّين - الاقتصاد والتبذير - التجارة
الفقر - قضاء الحاجة

١- الدَّيـــن

الدَّين هو ما يقترضه الإنسان من مالٍ أو غيره مدفوعاً بالحاجة الماسّة إليـه. والاستدانة ظاهرة يسعى الكثير إلى تجنّبها لأن من يستدين سيكون مسئولاً يومـاً من الأيام عن سداد دينه عاجلاً أو آجلاً. وقد يترتب على الاستدانـة من الناس أضراراً كثيرة خاصّة في حالـة عدم الـوفاء والاستـطالة في سـداد الدّين. لـذلك فضل الكثير الالتزام بحسن التدبير والاقتصاد في أمـور المعيشة حتى لا يجـد المرء نفسـه مضطراً يـوماً من الأيـام إلى الإستدانـة وسؤال النّـاس إلاّ عنـد الضّرورة القصـوى. ولأن تسديـد الدّين أمـرٌ واجب فهو بمثابـة الأمـانـة التي لا بـد من إعـطائها إلى صـاحبها. ويقـول الله تعالى في ذلـك: ﴿إنّ الله يأمـركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾[1] ويقول المصطفى صلى الله عليـه وسلم حثاً عـلى تسديـد الدّين: «لو كان لي مثل أحـد ذهباً مـا يسرني أن لا يمرّ عـليّ ثلاث وعنـدي منه شيء إلاّ شيئاً أرصده لـدين»[2]. وقال صـلى الله عليه وسلم: «اللّهم إني أعوذ بك من الهمّ والحــزن والعجــز والكســل والجُبْن والبخــل وضلع الــدين وغلبــة الرّجال»[3].

وفي الدّين تداول الناس الأمثال الكثيرة والتي تُعبّر عن مساوىء الدّين وآلامه وكيفية تجنبه وما ينتج عنه من سلبيات قد تنعكس على الـدّائن والمدين عـلى حد سواء. ومن هذه الأمثال قولهم:

فقر بلا دَين هو الغنى الكامل[4]

(١) سورة النساء، آية رقم ٥٨.

(٢) صحيح البخاري، جـ ٢، ص ٥٦.

(٣) صحيح البخاري، جـ ٤، ص ١٠٨.

(٤) تيمور، ص ٢٧٩.

وهذا المثل يُشير إلى مدى ما يشعر به المرء من كرامة وعزّة عندما لا يعرض نفسه للاستدانة من غيره حتى وهو في حالة الفقر. فحياته فقيراً وهو قانع وبعيد عن مشاكل الدّيون أفضل بكثير من كونه غنياً بسبب الاستدانة من الناس معرضاً بذلك حياته إلى القلق وعدم الاستقرار النّفسي.

وإذا اقترن عمل الإنسان بالاقتصاد والتوفير في أموره المالية وغيرها، فإن ذلك يساعده على تجنب الدّين وسؤال الناس، ويقول المثل في ذلك:

القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود(١)

ويضرب المثل للحث على الاقتصاد في الرخاء لوقت الشدّة حتى لا يحتاج المرء إلى الاستدانة من غيره ويكون في موقف لا يحسد عليه. ولأن الدّين من الأمور التي تُهدّد أمن الإنسان واستقراره، تداول الناس الأمثال التي تحذر من الدّين وآثاره المؤلمة. فقالوا:

ما وجع الاّ وجع العين ولا همّ إلاّ همّ الدّين(٢)

وقالوا كذلك:

الدّين سواد الخدين(٣)

وفي المثل الثّاني رمز العرب للدّين بالسّواد تشاؤما من أثره على الفرد.

ولأن الحاجة أحياناً قد تضطر المرء إلى الاستدانة من الغير، فإن المعاملة الحسنة بين الناس قد تخفف من سلبيات الدّين خاصة في حالة الالتزام بالوفاء من قبل المُستدين. والمثل الشّائع في ذلك يقول:

من أخذ وردّ ما يردّ(*)

أي أن قيام المستدين بالوفاء عندما يطلب منه، فذلك يُشجّع المُدين أو

(١) تيمور، ص ٣٠١.

(٢) هاني العمد، ص ٥٢٨. / عبد الكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ٣٣٧.

(٣) تيمور، ص ١٤٦.

(*) من الأمثال المتداولة.

التاجر على تلبية طلبه وقت حاجته طالما عُرِفَ المُستدين بالـوفاء عنـد حلول زمن السّـداد وحثا للوفـاء بسداد الـدّين حتى لا يتعثر الإنسـان ويجد من يعينـه ويفي بحاجته عندما تضطره الأمور إلى الاستدانة قال العرب:

تَديّن وازرع ولا تديّن وتبلع[1]

والمقصود أنّكِ إذا تداينت فليكن دينك لـلإنفاق عـلى زرعك حتى تتمكن أنْ تقضي دينك من إنتاجه. أمّا إذا تداينت لنفقتك وطعامك فقط فإنّ المال يـذهب وسوف لا تجد ما توفي يه دينك عند وقت طلبه. والمثـل يَحُث على الاستفـادة من الدّين فيما يعود على الإنسان بالنّفع والربح الذي يفي بحاجته وسداد دينه.

وعندما يستدين المرء غير مُبالٍ بوجوب السّداد فكأنه يُطبّـق المثل القائل:

الأخذ حلو والعطا مرّ[2]

أي إنّ المستدين يحلو له تلبية طلبه من الغير ولكنّه يكره الوفـاء بدينـه وينسى تلك المسـاعدة التي قُـدّمت له عنـدما كـان في أمس الحاجـة إليها. ويْؤيـد المثل السّابق قولهم:

عند العطا أحباب وعند الطلب أعداء[3]

وفي مثـل هذه الحـالات تجد بعض الأمثـال استخدمت في معـرض النصيحة لذوي الحاجات حثّاً لهم لاتباع أفضل الـطرق في معاملة أولئـك الذين يقـدمون لهم ما يطلبونه من مساعدة كدين أو نحوه. والمثل الدّارج في مثل هذه الحـالات يقول:

إذا كان صاحبك عسل فلا تأكله كُلّه(*)

ومعنى ذلك أن من أسدى إليك معروفاً أو قدّم لك ديناً فيجب عليك الوفـاء بالدين حتى لا تضع نفسك في موقف لا يستطيع الحصول على ما تطلبه. والمثـل

---

(١) تيمور، ص ١٧.

(٢) تيمور، ص ١٦.

(٣) تيمور، ص ١٦.

(*) من الأمثال المتداولة.

يحث على الوفاء بالدّين وعلى حسن المعاملة مع الغير.

وهناك نوعية من الناس تنتهج مسلك المماطلة في الوفاء بـالدّين مما لا يشجع الكثير من النّاس على قرضهم خـوفاً من ضيـاع حقوقهم، ويقـول المثل في هـذه الحالة:

السّلف تلف[1]

وهذا المثل من الأمثال العربية القديمة، ومعناه أنّ يَقرِضُ الأنذالَ والـذين من عادتهم المماطلة في الوفاء فإنه بذلك قد عرّض مـاله للتلف، فهم قـد لا يكتفون بالمماطلة في تسديد ديونهم بل إنهم لا يتورعون أحياناً من إظهار الحقد أو الـوفاء بالدّين وهم كارهون أو ربّما يصبح القرض إلى هذه النوعية في حكم المفقود.

والـدّين في الأمور غـير المادية لا يزال في نـظر الناس دينـاً يجب الوفـاء بـه. والمثل الذي يُفسّر ذلك يقول:

الدّقة عند الجار سلف[2]

والدَّقة بمعنى الضربة الواحدة أو الإساءة، والمقصـود هنا أن من يعمـل عملاً سـواء كان هـذا العمل حسنـاً أو قبيحاً فهـو دين سيكون الـوفـاء بـه من جنس العمل. والمثل كأنه يقول بأنّ الإحسان للجار أو الإساءة إليه كمثل إذا أقرضتـه قرضاً ستجد الوفاء به يوماً من الأيام إنْ خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ.

---

(١) العبودي، ص ١٢٣.

(٢) تيمور، ص ١٤٠.

٢- الاقتصاد والتبذير

الاقتصاد هو اصطلاح يُعبّر عن الترشيد في الاستهلاك وعدم إنفاق المال أو غيره بإسراف، والتبذير هو اصطلاح يعبر به لمن ينفق المال بإسراف غير معقول. وفي كلتا الحالتين فإنّ الاقتصاد الشّديد والتبذير الزائد عن الحد المعقول أمر غير مرغوب فيه ويتنافى مع سلوك الإنسان المسلم المعتدل في تصرفاته. والشريعة الإسلامية في هذا المجال تحث على اتباع أفضل الوسائل في الإنفاق حيث يقول تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾[1] وقال تعالى في وصف المبذرين: ﴿إنّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾[2]. ويقول صلى الله عليه وسلم: «فآت ذي القربى حقه ولا تبذر تبذيرا»[3]. وقوله كذلك: «ما عال من اقتصد»[4].

والنّاس في الاقتصاد والتبذير على ثلاث فئات: فئة تدعو للاقتصاد في المال وتندّد بالمبذرين ولا تستحسن تصرفاتهم، وفئة أخرى لا تكترث بالاقتصاد في المال وغيره دون مراعاة للمستقبل وتقلّبات الزّمن ومدى الاحتياج للمال وقت الشدّة، وفئة ثالثة اختارت الطريق الوسط بين الاقتصاد والتبذير. وفي الجميع تداول الناس الأمثال التي تشرح القيمة الاقتصادية لمن يحرص على المال ولا يمتهن صفة التبذير له وتندد في نفس الوقت بالآثار السلبية الناتجة عن التبذير ومدى أثره السيىء.

---

(١) سورة الإسراء، اية رقم ٢٩.

(٢) سورة الإسراء، اية رقم ٢٧.

(٣) مسند الامام أحمد بن حنبل، جـ٣، ص ١٢٦

(٤) محمد السفاريني، غذاء الألباب، جـ٢٢، ص ٥٣٠.

ومن الأمثال التي تحثّ على الاقتصاد في المال وغيره قولهم:

بق نعليك وابذل قدميك(١)

أي احمل نفسك في استبقاء مالك لئلا يرى الناس بك الحال السيء فتهون عليهم. ويقول سعيد بن المسيّب في ذلك: لا خير فيمن لا يجمع المال، فيقضي به دينه، ويصل به رحمه، ويكف به وجهه.

أمّا قولهم:

التمرة إلى التمرة تمر(٢)

فذلك يعني أن القليل مع القليل يكون كثيراً، وقصّة المثل أن أحيحة بن الجلاح دخل بستاناً له فرأى تمرة ساقطة فتناولها، فعوتب في ذلك، فقال: التّمرة إلى التّمرة تمر. ويّضرب هذا المثل لعدم الاستهانة بالشيء القليل فمن القطر تسيل الأودية. ويتفق في المعنى مع المثل السّابق القول الدّارج:

حافظ على القرش وإن سقط فإن السّيل من النّقط(*)

وحباً في المحافظة على المال والاقتصاد بقدر الإمكان قالوا كذلك:

ظلّم عليها تُنّور عليك(*)

وذلك عندما يخفي الإنسان نقوده في مكان أمين بعيداً عن أعين النّاس لتكون خير معين وقت الأزمة والحاجة إليها.

وقالوا كذلك:

القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود

وقيل كذلك:

من وفّر غداه لعشاه ما شمتوه أعداه(٣)

---

(١) الميداني، جـ ١، ص ١٥٧. / ابن سلام، ص ١٨٩.

(٢) تمثال التمثال، جـ ١، ص ٢٦٦.

(*) من الأمثال المتداولة في جنوب الجزية العربية.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٣) السباعي، ص ٦٥/٨٧.

ويعني ذلك أنّ الاقتصاد سيحفظ كرامة المرء في وقت الحاجة حتى يضمن عدم فرحة الأعداء عليه.

ويتفق مع المثل السّابق قولهم:

الدّراهم مراهم[1]

أو:

الفلوس تحيي النفوس[*]

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

إنّ الدراهم كالمراهم تجبر العظم الكسيرا
لو نالهن ثعيلب في جحره أضحى أميرا[2]

ويقول الشاعر كذلك:

ولكن العزمان أطال دائي وما مثل الدّراهم من دوائي

أما من لا يُعير للاقتصاد أي اهتمام ويقوم بالتبذير غير مبالٍ بالنّظر إلى عاقبة الإسراف والتبذير فيقال فيه:

يومه عيده[*]

والمثل يُضرب لمن ينفق ما يكتسبه من مال أولاً بأول دون الأخذ في الاعتبار مستقبله في حياته الاقتصادية. والمثل الذي يشير إلى قناعة تلك النوعية من الناس يقول:

إصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب[*]

وسلبية هذا المثل أنّه يحث على التبذير دون تدبير ومراعاة للظّروف الاقتصادية التي ربما تطرأ وتحدث على الإنسان ٍوهو لا يعلم بها. وينطبق هذا

---

(1) السّباعي، ص ٣٤.

(*) من الأمثال المتداولة.

(2) الهاشمي، جـ ٢، ص ٤٨٨. وفي رواية يقول البيت: في صبحه أضحى أميراً.

(*) من الأمثال المتداولة.

(*) من الأمثال المتداولة.

المثل على تلك النوعية من الناس الذين لا يقيمون وزناً للترشيد الاقتصادي.

أما قولهم:

فقير مات غني مات(*)

فإنّه يُضرب لمن لا يعير للاقتصاد أي أهمية مؤكدين على تفاهة الدّنيا في نظرهم.

أما أولئك الذين ينهجون الوسط بين الاقتصاد والتبذير فيقول فيهم المثل:

خير الأمور الوسط[1]

والمثل مأخوذ من الحديث الشريف القائل: خير الأمور أوساطها. وهذا المثل لا ينطبق فقط على المجال الاقتصادي وإنّما على شتى أمور الحياة سواء في المال أو المعاملة أو الكلام أو السلوك وما شابه ذلك.

ويؤيد المثل السّابق قولهم:

لا تكن ليناً فتُعصر ولا قاسياً فتُكسر(*)

ومعنى ذلك أنّ الوسط في كل شيء هو الأفضل، ويقول الشّاعر في ذلك:

عليك بأوساط الأمور فإنّها نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعبا

(*) من الأمثال المتداولة.

(١) الساعي، ص ٣٠.

(*) من الأمثال المتداولة.

٣- التجَارة

إلتّجارة هي البيع والشراء، وهي مهنة يمارسها الكثير من الناس في كلّ زمان ومكان، وتتميّز غالباً بأنها مهنة ناجحة إذا مارسها من يعرف خصائصها. ونظراً لأنّ هذه المهنة وثيقة الصلة بالمجتمع فقد تداول النّاس فيها أقوالاً كثيرة أصبحت على مر الزّمن أمثالاً شائعة تعكس النظرة الاجتماعية لهذا النّوع من العمل ومدى تأثيره على نفوسهم. ومن الأمثال التي قيلت في التّجارة ما يحمل معنى العمومية في البيع والشّراء، ومنها ما يتعلق بالبيع فقط وأخرى بالشّراء.

ومن الأمثال العامّة قولهم:

التّجارة على مكسب أو خسارة(١)

ويُضرب المثل لمن يفرح بالكسب ويجزع للخسارة، وفي المثل توضيح لأحوال التجارة وقابليتها للمكسب أو الخسارة وفقاً لظروف العرض والطلب.

وحثاً على المعاملة الحسنة بين البائع والمشتري يقول المثل:

بين البائع والمشتري يفتح الله(٢)

وعبارة «يفتح الله» تستخدم للإجابة على المشتري إذا لم يوافق البائع على ما عرضه المشتري من ثمن. والكلمة تحمل كذلك السّماحة واللّطف بين الطرفين. وفي الحديث الشريف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»(٣).

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٥٩.

(٢) محمد صادق دياب، ص ٥٩.

(٣) صحيح البخاري، جـ٢، ص ٧.

ولأنّ التّجارة غالباً ما تتعرّض للخسارةِ فيقول المثل في ذلك:

إذا طفر التّاجر يبحث في الدّفاتر القديمة(١)

ومعنى المثل أنّ التّاجر إذا أفلس فإنّه عادة ما يلجأ إلى التفتيش في سجلاته القديمة لعله يجد من لا يزال مديوناً له ببعض المال فيتفاضاه فيحل ضائقته المالية. والمثل يضرب لمن يستعين بالماضي لمواجهة مشكلات الحاضر.

أما قولهم:

التّجارة شطارة(٢)

فمعناه أنّ التّجارة لا يمارسها إلاّ من يعرف خصائصها وحساباتها وطريقة المعاملة التي تساعده على الإقبال عليها.

ونظراً لأنّ التّجارة قد تكون شركة بين اثنين فأكثر، فقد وصفت الأمثال طبيعة الشراكة وما يجب أن تكون عليه بقولهم:

شريكك في البضاعة ما يغشّك(٣)

والمقصود بالمثل أنّ من له مصلحة في أمر من الأمور مثل الذي للطّرف الآخر فيها فإنّه من المستبعد أن يستعمل الغش لأنّه لو فعل ذلك لألحق الضّرر بنفسه. ويُضرب المثل لمن يتحرّك في أمر مجهول العواقب وهو مشترك في نتائجه فهو بذلك لا يمكن أن يخدع شريكه ولا توريطه لاشتراكهما جميعاً في النتائج.

وللتسامح في حالة البيع نجد الأمثال تحث البائع على عدم التردد في البيع عند أوّل سومة مجزية، وفي ذلك يقول العرب:

أوّل سومة من ذهب(٤)

والمقصود بالمثل أن أوّل العروض أفضلها لأنّ التردّد والطّمع قد لا يتيح

---

(١) تيمور، ص ٧٠.

(٢) محمد صادق دياب، جـ ٦١.

(٣) عبدالكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ٥٠.

(٤) محمد صادق دياب، جـ ٦٠.

الفرصة مرّة ثانية لتصريف سلعته.

وقريب من المثل السّابق في المعنى قولهم:

بيع الصّبح ربح [1]

والمثل يقال للتفاؤل في البيع خاصّة في أوّل النهار ولو كان الرّبح قليلاً، فالتردّد في البيع عند سوم البضاعة يؤدي إلى تجمّد السّلع وبالتالي إلى كسادها وضعف جودتها والاستفادة منها، أو كما يقولون السّوم زهرة إذا طال عليها الزّمن ذبلت فلا بد من قطعها في حينها.

وفي الحثّ على عدم التردد في البيع حتى في حالة بيع العملة النقدية، فالمثل يقول:

بيع الذّهب واشترِ العتب [2]

والمراد بالعتب أي الدور، والمثل بمعنى آخر يَحثُّ على اقتناء العقار لما فيه من منفعة بدلاً من الحفاظ على الذهب وخزنه.

وفي حالة الشّراء نلاحظ الأمثال العربية غالباً ما تُعبّر عن تقييم السلعة بقيمتها على اعتبار أنّ ما غلا ثمنه يمتاز بالجودة مقارنة بالرخيص في قيمته. ومن ذلك قولهم:

اشتر لنفسك وللسّوق [3]

ومعناه اشتر الغالي فإنْ أمسكته انتفعت به وإن لم تردّه فبالإمكان بيعه وذلك لجودته. ورُوي في بعض الأقوال: إذا اشتريت جملاً فاشتره عظيماً فإن أخطأك نفعه لم يخطئك سوقه.

وقيل في شراء السّلعة الرّخيصة كذلك:

الرّخيص نغيص (*)

---

(1) عبدالكريم الجهيمان، جـ ١، ص ١٩٨.

(2) تيمور، ص ٦٨.

(3) ابن سلام، ص ٢١٣. / الميداني، جـ ٢، ص ١٦٣.

(*) من الأمثال المتداولة.

أو:

الرخيص مغيص

أو:

الرخيص مخيس [1]

ومعنى مخيس أي معفن، ومعناه أنّ الإقدام على شرا الرخيص فيه خسارة لأنّه لو كان جيداً لما بيع رخيصاً. والمثل يُضرب لمن يحرص على شراء الرّخيص من السّلع دون مراعاة للجودة.

ومن الأقوال العامّة في شراء الرخيص المثل الدّارج:

يا شاري الغالي بالدّون تحسبك الغابن وأنت المغبون[*]

وقيل كذلك في الرخيص:

الرّخيص بثمنه غال[2]

وذلك لأن الرخيص لا يفيد الاّ فائدة جزئية لأن شراء النوعيّة الجيدة ولو كانت غالية فهي تفيد أضعاف ما يفيده الرخيص.

وفي حالة التوصية بعدم شراء الرخيص يقول المثل:

لا تبيع رخيص قال لا توصّي حريص[3]

ويُضرب المثل للحاذق الذي لا يحتاج إلى توجيه فيما يوكل إليه من أعمال.

وأحياناً قد لا تلعب الجودة دورها في تصريف البضاعة خاصة عندما يكثر الطّلب ويقل العرض، وفي مثل ذلك يقول المثل:

حُسن السّوق ولا حسن البضاعة[4]

والمقصود أن رواج سلعة مّا لا يتوقف على جودتها فحسب ولكن للسّوق

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٦٠. /عبدالكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٣٨١.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٢) عبدالكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٣٨٢.

(٣) محمد صادق دياب، ص٦٠.

(٤) محمد صادق دياب، ص٦١.

دورها عندما يكثر الطّلب عليها.

وعندما يكثر الطّلب على سلعة مّا فقد يرتفع سعرها وبالتّالي يكثر التجّار من استيرادها، وفي ذلك قالوا:

الغلا جلاب [1]

أي أن ارتفاع الربح في بعض أصناف السّلع يُشجّع التّجار على جلبها.

وعندما تستخدم ألفاظ البيع والشراء لمقاصد أخرى فالمثل يقول:

حج وبيع مسابح [2]

ويضرب المثل لمن يسعى الى تحقيق غايتين في آن واحد. وهذا المثل يتّفق مع قولهم:

زيارة وتجارة [*]

ويعني المثل أولئك الذين يحجون أو يزورون وفي نفس الوقت يُمارسون الأعمال التّجارية أثناء تأديتهم لهاتين الفريضتين.

أمّا قولهم:

ما يمدح السّوق الاّ من ربح فيه [3]

فيقال عندما يمتدح المرء أي شيء عن طريقه منفعة ذاتية، فهو لولا مصلحته لما أشاد بذلك الشيء ومدحه، والمثل يُضرب لاختلاف نظرات الناس إلى الأمور بحسب مصالحهم الشخصيّة.

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٦٠.

(٢) محمد صادق دياب، ص ٦٠.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٣) عبدالكريم الجهيمان، جـ٣، ص ٣٤.

٤- الفقـر

الفقر ظاهرةٌ لا يمكن إنكارها وموجودة في كلّ مكان وزمان في أي مجتمـع من المجتمعات الإنسانية على وجه البسيطة منذ أن خلق الله تعالى آدم عليـه السلام وإلى أن تقـوم الساعـة. ووجود الفقـر أو الفقراء مـوضوع ليس فيـه شـائنـة ولا ينقص من حقّ الفقراء ومكانتهم أي شيء لأن الإسلام عزّز من مكـانةِ الفقـراء وأوعدهم بالخير والجزاء في الدّار الآخرة. يقول الله تعالى: ﴿يا أيها النـاس أنتم الفقراء إلى اللهَ والله هو الغنيّ الحميد﴾(١). وقال تعالى: ﴿إن يكن غنياً أو فقـيراً فـالله أولى بهما﴾(٢). وفي الحـديث الشريف أنّ رسول الله صـلى الله عليـه وسلم قال: «هل تـدرون أول من يدخـل الجنة من خلق الله عـزّل وجل؟» قـالوا الله ورسـوله أعلم، قـال: «الفقراء والمهـاجرون»(٣). وقـال صـلى الله عليـه وسلم: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلِها الفقراء واطلعت في النّار فـرأيت أكثر أهلهـا النساء»(٤).

والمجتمعـات الإنسانيـة لم تترك أي مجـال من مجالات الحيـاة إلاّ وأعطتـه قدر استحقاقه من الشّعر والنّثر والأمثال، والفقر كأحد مجـالات الحياة حـظي بأقـوال وأمثـال كثيرة منـد القدم وحتى اليـوم. واتصفت هذه الأمثـال بـالتفكّـه أحيـانـاً وبالرحمة والعطف أحياناً أخرى، وحفلت الأمثال بإعطاء المعـاني الكثيرة والمعـبّرة عن الفقر والفقراء والغنى والأغنياء، وسنقتصر هنا على ما ذكر في الفقر والفقراء لعلاقته بالموضوع.

---

(١) سورة فاطر، آية رقم ١٥.

(٢) سورة النساء، آية رقم ١٣٥.

(٣) مسند أحمد بن حنبل، جـ٢، ص ١٦٨.

(٤) صحيح البخاري، جـ٤، ص ١٢٢.

فقال العرب في الرّحمة بالفقير:

إضرب الفقير ولا تَشُقّ ثوبه

وهذا المثل يقال عندما تكون هناك بعض الأمور التي تقتضي قيام الفقير بها تجاه غيره رغم فقره، وعندما لا يستطيع تنفيذ التزاماته يقال لصاحب الأمر: إضرب الفقير ولا تَشُقّ ثوبه، استعطافاً ورأفة بالفقير الذي يمكنه تحمل الضرب في جسمه أكثر من استطاعته شراء ثوب جديد نظراً للعوز الذي يعيشه. وفي مثل ذلك قالوا أيضاً:

إيش ياخُذ الرّيح من فوق البلاط(*)

ولتطمئن نفس الفقير بأنّ الفقر لا يعيبه وأنّ سمعته لا يؤثّر فيها كونه فقيراً قالوا بالمثل:

اضرب صدر ولو كنت مُفلس(١)

فالفقر ليس عيباً في ذاتهِ يمنعُ الفقير من أخذ مكانه الطبيعي الذي يستحقّه في المجتمع. وقالوا في مثل ذلك:

صيت ولا غِنَى

ومعناه أن الذكّر الحسن ومعنوية الإنسان التي يحققها بكرمه وفضله لأعظم من الغنى الذي يفتقر صاحبه إلى أفضل الأشياء وهي الأخلاق، وهذا يتناسب مع قول الشاعر:

أماوَى أنّ المال غادٍ ورائحُ ويبقى من المالِ الأحاديث والذكرِ(٢)

وقال العرب:

الفقر حشمة والعزُّ إهانة(٣)

(*) من الأمثال المتداولة.

(١) محمد صادق دياب

(٢) تيمور، ص ٢٩٧.

(٣) تيمور، ص ٢٧٩

ومعنى ذلك أن الفقر حامل على الحياة والاحتشام وذلك لِقلّةِ الموجود، وأما العزّ والمقصود بـه الغنى فهو يُعـزى صاحبـه بما لا يُحمـد أحيانـاً وقد يحمله عـلى الاستهتار واللامبالاة بالغير وسوء الأخلاق، ممّا جعل الناس يقولون بالمثل:

تَقمّش وعِشْ فقيراً[1]

وفي المثـل سُخريـة من اهتمام النّـاس بالمظاهرِ واعتبـارها الأسـاس الأول في تقويم معاملتهم مع الأفراد، وقد يُنظر إلى المثـل من زاويةٍ أخـرى على أنّـهُ يحثُ على النظافةِ وحُسن المَظهرْ.

وحثـاً للفقيرِ عـلى الصبرِ والقنـاعة بمـا أعطاه الله بـدلاً من الخضـوعِ لبعض الأمـور التي قد لا تُحمـد، يقول أوس بن حـارثة لابنـه مالـك في وصية لـه: يا مالك، المنيّة ولا الدنيّة وشرّ الفقر الخضـوع وخير الغنى القُنـوع، ويتناسبُ مـع ذلك قولهم:

تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها[2]

ويقول أبو عبيد أن هذا المثل من الأمثال العربية القديمة، ومعنى المثـل: أن لا يكون المرء متأسفاً أو خـاضعاً بسبب شيء حصـل له، ويضرب المثـل للرّجل تصيبه الخُلّة والفقر وهو مع ذلك لا يتعرّض لما يدنسه من المكاسب.

وقد يكون الفقير مَضرِبَ المثل في السوءِ لسلوكه الشّاذ والغـير محمود، وقـالوا في مثل ذلك:

زَيّ فقراء اليهود لا دنيا ولا دين[3]

ويُضرب المثل للفقيرِ الفاسد الذي حُرم من مُتعةِ الدنّيا ولم يتمكن من تقديم العمل النّافع لآخرته، وقريب من هذا المعنى قول الشّاعر:

مـا أعـظمَ الـديـن والـدنـيـا إذا اجـتـمـعـا
وأقـبـحَ الـكـفـر والإفـلاس بـالـرّجـلِ

---

(١) محمد صادق دياب، ص ٦٦.

(٢) ابن سلام، ص ١٩٦/ ١٩٧.

(٣) محمد صادق دياب، ص ٦٧.

٥- قضاء الحاجة

عمل الخير واجب على كل مسلم ومسلمة، وأهم عمل يؤديه المرء نحو أخيه المسلم هو مساعدته وقضاء حوائجه. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى. . .﴾ الخ الآية(١). ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا، ثم شبّك بين أصابعه»(٢). وقال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»(٣). وقوله صلى الله عليه وسلم: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»(٤). وهناك الكثير من الآيات والأحاديث التي تحث على عمل الخير ومساعدة المسلم لأخيه المسلم وقضاء حاجته.

وبما أن كلمة الحاجة تحمل في معناها طلب المساعدة من فرد إلى آخر أو مجموعة إلى أخرى أو مجتمع بأسره إلى آخر، فقد أصبحت كلمة الحاجة متداولة بين الناس في أمثالهم التي تحمل معاني مختلفة حسب ظروفها وزمن وقوع أحداثها ونوعيتها.

ولأن الإنسان بطبيعته غير مُجبر في قضاء الحاجة لغيره وله حرية الاختيار في ذلك، فإنّ تقديم العون للآخرين غالباً ما يكون بقدر استطاعته، فقيل في مثل هذه الحالة:

---

(١) سورة المائدة، آية رقم ٢.

(٢) صحيح البخاري، جـ ٤، ص ٥٥.

(٣) صحيح مسلم، جـ ١٦، ص ١٣٥.

(٤) صحيح مسلم، جـ ١٤، ص ١٨٦.

أعط حبيبك ما جودك(*)

والمقصود أنّه غير مطالب بتقديم ما لا يستطيع تقديمه أو ما هو فوق استطاعته.

وعندما يكون المطلوب غير متمكن من تلبية دعوة الطالب نظراً لعدم توفّر الحاجة لديه فالمثل يقول:

فاقد الشّيء لا يعطيه(*)

والمثل يحث على تجنب الطّلب ممن لا يستطيع تقديم المساعدة للآخرين لأنّ النّتيجة معروفة مسبقاً بعدم القدرة على قضاء الحاجة لعدم تمكنه منها أو توفرها لديه.

وممّا يؤيد المثل السّابق قولهم:

ما تحت المنخل دقيق(*)

ومعنى المثل أنّه يجب تجنب سؤال الحاجة ممّن لا يستطيع قضاءها.

ومن المتعارف عليه أنّ المرء لا يطلب شيئاً ما من صديقه أو زميله الاّ وهو في أمس الحاجة إلى ذلك وإلاّ لما تقدم بطلبه، فتلبية طلبه في هذه الحالة ضرورة اقتضتها ظروفه القاسية، وفي ذلك قالوا:

من معه حب ما استلف الدقيق(*)

أي لو لم تكن هناك ظروف صعبة عند طالب الحاجة لما طلبها. فمن يملك الحب فهو يستطيع أن يطحنه ليصبح دقيقاً، ثم بذلك يكون في غنى عن طلب الدّقيق. والمثل يُضرب للحثّ على تلبية حاجة الإنسان لأنّه لولا الحاجة الماسّة إليها لما طلبها.

وقال العرب في اضطرار المرء لطلب الحاجة:

(*) من الأمثال المتداولة.

(*) من الأمثال المتداولة.

(*) من الأمثال المتداولة.

(*) من الأمثال المتداولة.

الحاجة لزّازة[1]

ومعنى كلمة لزّازة أي دافعة، تدفع المرء إلى كثير من الأمور التي لا يريدها ويرغب فيها ومنها سؤال الغير.

وقد تضطر الحاجة الإنسان إلى التفكير واختيار أفضل الطرق وأنسبها لقضاء حاجته، وفي ذلك يقول المثل:

الحاجة أمّ الاختراع

أو:

الحاجة تفتق الحيلة[2]

وفي هذين المثلين توضيح لحالة الاضطرار التي تخلق في الإنسان طبيعة البحث واستقراء أوجه العمل لاختيار أحسنها للوصول إلى قضاء حاجته.

وقد تكون حاجة المرء في مكان يتطلب منه الخضوع والتملّق لعدم وجود مخرج آخر يستطيع عن طريق قضاء حاجته. وفي هذه الحالة يقول العرب:

إذا كان لك عند الكلب حاجة قل له يا سيدي

وفي لفظ آخر يقول المثل:

إذا كنت مُحتاج للكلب سمّيه أبو الحارث

ولفظ آخر يقول:

بوس الكلب في فمه حتى تقضي حاجتك منه[3]

وأبو الحارث هي كنية للأسد، والمقصود من الأمثال السّابقة أنّ هناك بعض الظروف التي تضع المرء تحت رحمة غيره مما يؤدي به إلى اتباع أسلوب الذل والهوان لتحقيق مآربه. وهذه العادة وإن كانت مذمومة ولا يستخدمها الاّ

---

(١) عبدالكريم الجيهمان، جـ ١، ص ٣٦١.

(٢) عبدالكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٢٦٢/٢٦٣. /السّباعي، ص ٢٨.

(٣) الأكوع، جـ ١، ص ١٢٤/١٢٥.

ضعفاء النفوس إلاّ أنّها موجودة ولا سبيل إلى إنكارها رغم أنّها على حساب كرامة الإنسان.

ويتّفق في المعنى مع الأمثال السّابقة قولهم:

أسجد لقرد السّوء في زمانه[1]

ويقول الشّاعر في ذلك:

سجدنا للقرود رجاء دنيا — حوتها دوننا أيدي القرود
فما بلت أناملنا بشيء — علمناه سوى ذلّ السّجود

ومن الحاجات ما قد يتعذر تلبيته، ولذلك تداول الناس الأمثال التي تحذر من طلب الحاجة التي يتعذر الحصول عليها. وقالوا في ذلك:

تسألني برامتين سلجما[2]

ويُضرب هذا المثل للملتمس شيئاً لا يوجد، وأصل المثل أنّ امرأة طلبت من زوجها سلجما في قفر من الأرض يقال له: رامة، موضع قرب البصرة. والسلَجم هو أحد أنواع النبات، وفي قول الشّاعر «برامتين» فقد ضمّ رامه إلى موضع آخر أطلق عليه نفس الإسم فقال «برامتين».

وقريب من المثل السّابق قول الأغلب العجلي:

شرّ ما رام امرؤ ما لم ينل[3]

ومثل المثل السّابق في العاميّة:

من سأل صاحبه فوق طاقته فقد استوجب الحرمان[4]

وفي حالة قضاء الإنسان لحاجة أخيه فإنّه من الواجب أن تكون تأدية الحاجة كاملة غير منقوصة على اعتبار أن النقص سيكون له تأثير سلبي على مدى

---

(1) الأكوع، جـ ١، ص ١٢٥.
(2) ابن سلام، ص ٢٣٤. /الزمخشري، جـ ٢، ص ٣٧.
(3) الزمخشري، جـ ٢، ص ٣٥٦.
(4) ابن سلام، ص ٢٣٥.

الاستفادة الكاملة من هذه الحاجة. ومما يُؤيّد ذلك يقول العرب في أمثالهم:

أتبع الفرس لجامها[1]

ويضرب هـذا المثـل لمن يقضي الحـاجـة كلهـا ما عـدا جـزء بسيط منهـا. والمقصود بالمثل أنّه طالما جاد المرء بفـرسه لغـيره فاللّجـام أيسر وهو من الأشيـاء الضروريّة التي يجب أن يجود بها من الفرس لتتم المكـرمة. وقصّـة هذا المثـل أنّ ضرار بن عمرو الضبّي أغار على كلب فلما ظفر بهم سـاق في الغنيمة سلمى بنت وائل وكانت أمة لعمرو بن ثعلبة وهي أم النّعمان بن المنذر ومعها أمّها وأختاها، فطلب عمرو بن ثعلبة من غرار ردّهن، فردّهن ما عدا سلمى - وكانت أعجبتـه - فقال له عمرو «أتبع الفرس لجامهـا» فردّهـا، فتناقـل النّاس هـذه العبارة حتى أصبحت من الأمثال العربيـة المشهورة في هـذا المعنى، وتغنى في ذلك البحـتري فقال:

تـــرى أحجالـــه يصعـــدن فيـــه ... صعـــود الـبرق في الغيم الْجهـــام
ومـــا حسن بـــأن تهـديـــه فـــذا ... سليب السرج مـنـــزوع اللّجـــام
فـــأتمـــم مـــا مننـت بـــه وأنـعـــم ... فـــما المـعـــروف الاّ بـــالـتـــمام[2]

(١) الميداني، جـ ١، ص ٢٣٦. /العسكري، جـ ١، ص ٩٢.

(٢) العسكري، جـ ١، ص ٩٢.

الفصل السادس

موضوعات متنوعة

الأكل - فوات الأوان - التجانس - تباين الطبائع نوازل الدهر - الدنيا وماقيل فيها من الأمثال - الكلب وماقيل فيه من الأمثال - الذئب وماقيل فيه من الأمثال

١- الأكل

الأكـل هو مـا يأكله الإنسـان من طعام أو نحـوه وهـو من متـطلبـات الجسم الضّروريّـة لاستمرار الحيـاة. وقد ورد إسم الأكـل في القـرآن الكـريم في عـدة مـواضـع، فيقــول الله تعـالى: ﴿يـا أيهـا الـذين آمنـوا كلوا من طيبـات مـا رزقناكم﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾[2].

وبما أنّ الأكلِ ممارسة يومية لِكُلّ ِ فرد، ونظراً لتعدد استخدام هذه الكلمة في غير الطّعام والشّراب، فقد تداولها النّاس في كثير من الأمثـال في معـانٍ مختلفـة، في الشّبع والجوع والقناعة والظّلم وغير ذلك.

ومما قالوه في الشّبع قولهم:

همّه بطنه[3]

ويضرب المثل لمن يطغى ميله إلى الطعام على سائر اهتمامات الحياة الأخرى. فمن همّه كذلك تجده دائم البحث عن الولائم والمناسبـات التي يجد فيهـا غايتـه ويشبع فيها نهمـه حتى أنه ينسى كـل شيء بجانب ذلـك، فإذا وجـد بغيته نسي نفسه مما جعل الناس يقولون في مثل هؤلاء:

عند البطون تُنسى العقول

أو:

عند البطون تَعمى العيون[4]

---

(١) سورة البقرة، آية رقم ١٢٧.

(٢) سورة المائدة، آية رقم ٨٨.

(٣) محمد صادق دياب، ص ١٠٨.

(٤) عبدالله آل نوري، ص ٢٢٦.

أي إذا حضر الأكل فالعيون لا تنظر إلاّ له، أو أنّ الأذهان لا تُفكّر إلاّ فيه. وفي مثل هذه الحالات قد يَقدُم شخص عزيز على الآكلين فلا يرونه أو لا يردّون عليه السّلام لانشغالهم بالأكل، فيقول الزّائر عند ذلك: عند البطون تَعمى العيون أو يقول ذلك من فَطِنَ لما حدث من الحاضرين.

وعندما يُضرب الأكل مثلاً للقناعة بدلاً من النّهم المذموم فالمثل يقول:

أكل واحد يكفي عشرة[1]

أي طعام شخص واحد يكفي لعشرة أفراد إذا كانت القناعة موجودة عندهم. والمثل يحث على نشر الألفة والمحبة بين الناس وأنّ القناعة مصدرها النقاوة النفسيّة والرّوح الطيبة بين الأصدقاء. والمثل الشّائع الذي يعطي نفس المعنى يقول:

إذا صفيت النيّة اللقمة تكفي ميّة

أو:

اللقمة الهنية تكفي ميّة[2]

ومعروف بأنّ اللّقمة الواحدة لا تكفي شخصاً بعينه إلاّ أنّ المثل يحمل تعبيراً قوياً على أنّ الطعام الهني وإن قلّ فإنّه يكفي لعدد كثير خاصّة وهم تغمرهم المحبّة والأخوّة الصّادقة وبتعبير آخر يُقصد بالمثل أنّ النوايا الحسنة الطيبة تدفع إلى رفع الكُلفة بين الأصدقاء وبالتالي فإنّ قليل الطّعام يستطيع أنّ يُشارك فيه جميع الحضور.

ومثل ذلك قولهم:

لقمة تحت حيطة ولا خروف بعيطة[3]

والحيطة بمعنى الحائط والعيطة تعني الصّياح والجلبة، والمقصود أنّ حصول

---

(١) تيمور، ص ٤١.

(٢) تيمور، ص ٣٤٣. /محمد صادق دياب، ص ١٠٧.

(٣) تيمور، ص ٣٤٣

المرء على كسرة من خبز في ظل حائط خير له من خروف شهي يتبعه القيل والقال وكثرة السؤال. والمثل يُضرب للقناعة بالشيء القليل مع راحة البال على الكثير المحاط بالإزعاج.

أمّا قولهم:

شبعان ما دري عن جيعان(*)

فهو يُضرب للحث على الرحمة بالفقير وأنّ الأغنياء لا يعلمون ما يعانيه الفقراء لأنهم لا يعيشون نفس الظروف المعيشية ولا يقاسون الأمرين في سبيل الحصول على الرزق.

ولتأثّر الكثير من طبقات المجتمع بالمثل السّابق فهم يقولون:

الأكل في الشّبعان خسارة(1)

أي لا ينبغي إعطاء المرء ما يزيد على استحقاقه وما لا حاجة به إليه مقاربة بذلك الفقير البائس الذي في موضع المساعدة.

ولأنّ العادات الاجتماعية تفرض على الإنسان إذا دُعي إلى وليمة لا بد أن يكون يوماً ما هو الداعي بدلاً من أن يكون هو المدعو فالمثل يقول:

آكلة وانحسبت عليك كل وبحلق عينيك(2)

والمقصود أنّه ما دمت شرعت في الأكل فقد حُسبت عليك الأكلة شبعت أم لم تشبع فاستوف ما تُريده من الطعام. ويُضرب هذا المثل للدّعابة بين الأصدقاء، والمراد أنّك اليوم مدعو إلى هذه الوليمة وغدا ستكون الداعي، وبمعنى آخر أن ما لك سيكون عليك.

ولإيصال الأمور إلى نهايتها والإسراع في إنجازها يقول العرب:

(*) من الأمثال المتداولة.

(1) تيمور، ص ٣٠.

(2) تيمور، ص ٤١/ محمد صادق دياب، ص ١٠٩.

إذا ضربت فأوجع وإذا أكلت فاشبع[1]

وقالوا كذلك:

كل أكل الجمال وقم قبل الرّجال[*]

والمثل الأخير يقال دائماً عند وجبة الطعام التي يعقبها عمل، إذ يحُثُّ المثل على الإسراع في الانتهاء من الطعام استعداداً لبدء العمل لأنّه لا يبقى على الطعام بعد قيام الآخرين إلّا الكسول المتقاعس.

وللسخرية أحياناً يقول المثل العاميّ:

أكل وراحة يعقب ملاحة[2]

ويُضرب المثل للسخرية من الشخص الكسول الذي يعيش عالة على غيره دون أنْ يكلّف نفسه عناء البحث عن عمل يحقق له امكانية الاعتماد على نفسه.

وللحثّ على الاعتماد على النفس اتخذ الناس من الأكل مثلاً فقالوا:

اللّي ياكل على ضرسه ينفع نفسه[3]

وقد يكون أحياناً المثل بمثابة الوصيّة، وفي ذلك يقول المثل:

كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس[4]

وعندما قال العرب هذا المثل فهم نظروا إلى مردود العمل، فالأكل تابع لشهوة الإنسان وفائدته ستعود عليه وكذلك يجب أن يكون الخيار للفرد فيما يأكله لا النّاس أمّا ما يلبسه الإنسان فالمراد به التّزين للناس فليكن على ما يعجبهم.

أما قولهم:

---

(١) محمد صادق دياب، ص ١٠٢.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٢) محمد صادق دياب، ص ١٠٩.

(٣) السباعي، ص ٧٧.

(٤) السباعي، ص ٦٩.

كُل وسط وانعس طرف[1]

فمعنـاه أنّك إذا جلست عـلى الطعـام مـع قـوم فكن وسـطهم لأنّ مـا عـلى جانبيك يقومون لغسل أياديهم ويـتركونـك فتتضلع مع الـطعام مـا شئت، وإذا نمت فنم في الطّرف حتى لا يضايقوك إذا أردت القيام.

وأحياناً يتّخذ العرب مع الأكل رمزاً للسخرية والانتقاص من بعض العادات السيئة كالرّشوة مثلاً، ومثلهم في ذلك يقول:

اللّقم تورث النّقم[2]

أو:

من كبّر اللّقمة غصّ[3]

ومعنى غصّ أي يعـترض الطعـام في المريء فيمنعـه التنفّس، ومعنـاه أنّ من جعل لقمته كبيرة أكثر مما يستطيع ويتّسع حلقه فسوف لا يستـطيع بلعهـا. وكلا المثلين يُضربان لمن يطلب لقاء عمل يقوم به جزاء أكبر ممـا يستحق مما يؤدي إلى تـذمّر الطرف الآخر. وقد يفيدان أحياناً الاستهجان لمن يقوم ويقـدم على عمـل أعظم من قدرته.

(١) تيمور، ص ٣٢٧.
(٢) الميداني، جـ ٣، ص ١٣٣.
(٣) عبدالله آل نوري، ص ٣٥١.

٢- فوات الأوان

لِكُلِّ شيء أوان ولكل بداية نهاية، وهكذا شأن الحياة كلها. وأعمال الإنسان اليومية مرتبطة بأمور ماديّة ومعنويّة وواجبات جميعها لها نهايات لا يستطيع المرء إيقافها أو الحيلولة دون وقوعها مهما قام به من محاولات. ولإدراك المجتمعات الإنسانية لهذه الأمور الحتمية التي قدّرها الله سبحانه وتعالى على بني البشر، فقد تداول الناس الأمثال الكثيرة والمعبرة عن مدلول اليأس من المحاولة إذا انتهى الأمر. وقد تنوّعت الأمثال حسب طبيعة كل موضوع وزمان ومكان وقوعه.

ومن الأمثال العربية القديمة والتي لا تزال متداولة إلى اليوم قولهم:

قطعت جهيزة قول كلّ خطيب[١]

وقصّة هذا المثل أن قوماً اجتمعوا يخطبون في صلحٍ بين قبيلتين قتلت إحداهما من الأخرى قتيلا. وكانوا يسألون الرضا بالدية، فجاءتهم أمةٌ إسمها جهيزة فقالت: إنّ القائل قد ظَفِرَ به بعض أولياء المقتول فقتلوه، فقالوا عند ذلك: قطعت جهيزة قول كل خطيب. ويُضرب المثل للأمر إذا فات وليس هناك سبيل إلى إصلاحه.

ويتفق مع المثل السّابق في المعنى قولهم:

سبق السّيف العذل[٢]

ولهذا المثل قصّة عجيبة، فيُقال أن أوّل من قال هذا القول هو ضبّة بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر وكان له إبنان يقال لأحدهما سعد وللآخر سعيد،

---

(١) الميداني، جـ٢، ص ٤٧٤. /الزمخشري، جـ٢، ص ١٩٧.

(٢) الميداني، جـ١، ص ٣٥١. /العسكري، جـ١، ص ٣٧٧.

فنفرت إبل لضبّة تحت اللّيل فوجّه ابنيه في طلبها، فتفرقا فوجدها سعد فـردّها، ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحارث بن كعب، وكـان على الغـلام بُردان فسـأله الحارث إيّاهما، فأبى عليـه فقتله وأخذ برديه، فكان ضبّة إذا أمسى فـرأى تحت اللّيل سواداً، فقال: أسعد أم سعيد؟ فذهب قوله مثلا. فمكث ضبّة بذلك مـا شاء الله أن يمكث، ثم أنّه حجّ فوافى عكاظ، فلقي بها الحـارث بن كعب ورأى عليه بُردي ابنه سعيد، فعـرفهما، فقـال له: هـل أنت مُخبري مـا هذان الـبُردان اللّذان عليك؟ قال: بلى، لقيت غلاماً وهما عليه فسألته إيّاهمـا فأبى عـليّ فقتلته وأخذت بُرديه هذين، فقال ضبّة: بسيفـك هذا؟ قـال: نعم، فقال: فـأعطنيـه أنظر إليه فإني أظنه صـارما، فـأعطاه الحـارث سيفه، فلما أخـذه من يده هـزّه، وقال: الحديث ذو شجون ثم ضربه به حتى قتله، فقيل لـه: يا ضبّـة أفي الشهر الحرام؟ فقال: سبق السّيف العذل. فذهب قوله مثلا لكل أمر يصل إلى نهايتـه ولا يمكن مناقشته أو الرجوع فيه.

ومما تداوله الناس على كل لسـان في معنى المثل السّـابق قول المصـطفى صلى الله عليـه وسلـم: «سبقـك بهـا عُكّـاشـة» وفي هـذا الحـديث أنّ رسـول الله صــلى الله عليه وسلم قال: « يدخل الجنة سبعون ألفا من أمتي كلهم على صورة القمر ليلة البـدر، فقال عُكـاشة بـين محصن: أدع الله أن يجعلني منهم، قال: فـإنّـك منهم، فقـام أنصـاري، فقـال أدع الله أن يجعلني منهم، فقـال: سبقــك بهـا عُكاشة».

وفي بعض الحـالات يصل الأمـر إلى النهايـة القاسيـة التي تتجاوز الحـد ومن الصعوبة جدّا علاجه، وفي ذلك يقول العرب:

بلغ السّيل الزّبى(١)

والـزّبى جمع زبيـة، وهي حفرة كـان العرب يستخـدمونها لصيـد الحيـوانـات المفترسة أو المتوحشة، كانوا يحفـرونها في الأرض ويغطونها ويجعلون عليهـا بعض

---

(١) الميداني، جـ١، ص ١٥٨. /العسكري، جـ١، ص ٢٢٠.

الطعام فيراه السبع من بعيد فيأتيها فإذا استوى عليها انهشم غطاؤها فيهوي فيها. وفي حالة وصول السّيل إليها فإنّ مفعولها ينتهي وتُصبح غير فعالة. والمثل يُضرب للأمر إذا بلغ غايته في الصّعوبة ولا يمكن إصلاحه.

ومثل هذا المثل الكثير من الأقوال العربية التي تؤدي نفس المعنى مثل:

بلغ الحزام الطبيّين

بلغ منه المخنق

بلغ السّكين العظم

بلغ الدّماء الثّنن[1]

والطبيّين هما للفرس كالثديين للمرأة، وإذا اضطرب الحزام حتى بلغهما سقط السرج وذلك عند الهرب، والمخنق أي الحنجرة والحلق، والسّكين في العظم إذا تم قطع اللّحّم حتى تبلغ السّكين العظم، والثّنن يعني ثنن الخيل وهي شعيرات فوق الرّسغ والمقصود كثرة الدماء حتى تخوض فيها الدّواب إلى الثّنن.

وأما قول العرب:

كدَابغة وقد حَلِمَ الأديمُ[2]

فيُضرب للرّجل يشرع في إصلاح ما لا يصلح وقد انتهى أمره، وذلك أن الجلد إذا حَلِمَ فليس بعده إصلاح. وهذا المثل يُروى عن الوليد بن عتبة عندما كتب لمعاوية أبياتاً من الشعر منها:

ألا أبلغ معاوية بن صخر ... فإنّك من أخي ثقة مليم

قطعت الدهر كالسدم المعنى ... مهدر في دمشق ولا تريم

يمنيك الإمارة كل ركب ... بأنقاض العراق لها رسيم

فإنّك والكتاب إلى علي ... كدابغة وقد حلم الأديم

---

(١) الميداني، جـ١، ص ١٦٦/١٦٧. /الزمخشري، جـ٢، ص ١٣٠. /العسكري، جـ١، ص ٢٢٠.

(٢) ابن سلام، ص ٣٤٣. /الميداني، جـ٣، ص ٣٥.

وربما يعتقد البعض أنّ الأمر يُمكن علاجه وأنّ الأوان ما زال متاحاً للوصول إلى نتائج مفيدة، ولكنّ ما قُدّمَ من حلول لا يمت إلى الواقع بصلةٍ ولا يمكن تقبّلها أو حتى الصّبر عليها. وفي هذه الحالة يقول المثل العربي:

هذا أمرٌ لا تبرك عليه الإبل[1]

واختيرت الإبل لأنها إذا أنكرت الشيء نفرت منه وذهبت بعيداً عنه.

وفي بعض الأمثلة العاميّة ما يفيد بأنّ فوات الأوان ربما يكون مفيداً في بعض الحالات، ففي قولهم:

ما زل حدّه ما لنا بعدّه

أو:

اللّي فات مات[*]

فتحث على نسيان الماضي لأن في إثارة الأمور القديمة ما قد يحيي مشكلة أو ذكريات لا تخدم المصلحة الخاصة ولا العامة.

---

(1) الميداني، جـ ٢، ص ٤٧٩.

(*) من الأمثال المتداولة.

٣- التّجانس

التّجانس هو التّشابه بين شيئين أو أكثر في معظم الصّفات، ويشمل التّجانس بني الإنسان كما يشمل الحيوانات والطيور وما يصدر عنهم جميعاً من أعمال وأفعال متقاربة إلى حدٍّ ما. وقد ينتفي وجود التّجانس في الشّكل ولكنّه يوجد ويظهر واضحاً في العمل. ونظراً لوجود ظاهرة التّجانس بين أشياء كثيرة في هذه الحياة، فقد أثار ذلك اهتمام النّاس فظهرت أمثالهم معبرة وموجزة ودالّة على صفة التّجانس في الأعمال والتصرّفات لمخلوقات الله تعالى.

والأمثال التي تداولها الناس في ذلك كما سنرى في النماذج التالية تحمل الإيجابيّة والسلبيّة على حدٍ سواء. من هذه الأمثال قولهم:

النّاس أجناس[1]

وهذا المثل يُعبّر عن صحّة التّوافق والتّجانس بين فئات كبيرة من البشر والعكس بالعكس. ومعنى المثل أنّ النّاس ليسوا على درجةٍ واحدة من الصّلاح والتّقوى والأمانة والشّهامة والكرم، فقد يكون هُناك من يتّفقون في صفاتهم وهناك من يختلفون تمام الاختلاف في كثير من الأمور. والمثل يُضرب لتوافق أو تباين النّاس في الخلال والطبائع.

ومن أمثال العرب في هذا المعنى قولهم:

النّاس بخير ما تباينوا

والمقصود من المثل أنّه لولا تباين النّاس في الصّفات والطّبائع الحسنة منها والسّيئة لكانت الصّفة الغالبة فيهم هي الخير والصلاح.

---

(١) عبدالكريم الجهيمان، جـ٢، ص ١٧٥.

وبما أنّ كلّ جنس في هذه الحياة يجب بطبيعته التـآلف والانضمام لبني جنسـه سواء كان من فصيلة الحيوان أو الإنسان، تداول الناس المثل القائل:

الطّيور على أشباهها تقع

أو:

إن الطيور على أشباهها تقع[1]

وهذا مثل عربي قديم ولا يـزال متـداولاً حتّى اليوم، وهـو يُضرب لانجذاب الجنس إلى جنسه سـواء أكـان التّجانس جسـمانياً أو خلقيـاً. وغالبـاً ما يُضرب المثال للشّرير من النّاس عندما يسلك ويتصرّف في أعمالـه سلوك الأشرار فيصبح مثلهم في جميع تصرّفاته. وقد يُعطي المثل الجانب الحسن وذلك في حالة معاشرة ومخـالطة الإنسـان لخيَّار النّـاس وأطيبهم. ويقول الشّـاعـر الشّعبي عبـدالـرحمن الرّبيعي في ذلك:

ترى الجنس حول الجنس يا صاح مثلما   طيـور الهوى بـالجـو للجنس حـايمـة

ومن الأمثال التي تحمل الإيجابية والسّلبية في التجانس قولهم:

من عاشر القوم أربعين صباح صار منهم(*)

وكذلك قولهم:

من رافق المصلين صلّى ومن رافق المغنين غنّى[2]

وفي المثلين السابقين توضيح لتأثير الجليس على جليسه، وتأثير المجتمـع الذي يعيش فيه المرء عليه، فالإنسـان سريع التـأثير والتحـوّل، فكلّما اندمـج الإنسان بأي مُجتمع تأثّر به وبأخلاق أهله تأثيراً قوياً، وإذا كان جو المجتمع الذي يعيش وسطه صالحاً كُلّما أصبح المرء صالحاً وإن كان فاسداً تأثّر بذلك. وقد يعني المثل أنّ كلّ قوم تتماثل أخـلاقهم يلتقون ويمـتزجون ويكـونون طبقـة من المجتمع قـد

---

(١) من الأمثال المتداولة، وكذلك السباعي، ص ٥٢.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٢) عبدالكريم الجهيمان، جـ ٣، ص ١٣٨/١٣٩.

تكون صالحة وقد تكون غير ذلك.

وفي حالة انحراف المرء واتجاهه لمخالطة الأنذال واقتباس تصرّفاتهم وعاداتهم فالمثل الشّائع يقول:

البيض الفاسد يتدحرج على بعضه[1]

والمقصود أنّ من يحمل النّفس الشّريرة والعادات السّيئة تجده دائماً يبحث ويتّجه لمعايشة من يحملون نفس الصّفات، وذلك لأن صفاته تجعله لا يطيق احتمال الحياة مع الأخيار من النّاس. ويحثّ المثل في نفس الوقت على الابتعاد عن معاشرة ومخالطة الأشرار حتى لا يجري تأثيرهم مجرى الدّم فيُصبح مثلهم.

ولتوضيح أثر معاشرة الأخيار أو الأشرار على تصرّفات المرء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرّجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[2] وفي الحديث المرفوع عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما مثل الجليس الصّالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يُحذيك وإمّا أنْ تبتاع منه وإمّا أنْ تَجِدَ منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إمّا أنْ يُحرق ثيابك وإمّا أنْ تجد ريحاً خبيثاً»[3]. وكان لهذين الحديثين أثرٌ قويٌّ عند الناس في اختيار الصّاحب والرّفيق. ويقول الشّاعر في ذلك:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرينٍ بالمقارن مُقتدِ[4]

وعند التّشابه بين اثنين في صفاتهما الخلقيّة والعمليّة فالمثل يقول فيهما:

التقى الثّريان[5]

والثرى هو التّراب والنّدي فإذا جاء المطر الكثير رسخ في الأرض حتى يلتقي

(١) تيمور، ص ٦٧. /السّباعي، ص ٢٠.
(٢) سند الامام أحمد بن حنبل، جـ ٢، ص ٣٠٣.
(٣) صحيح مسلم، جـ ١٦، ص ١٧٨.
(٤) ابن سلام، ص ١٧٨.
(٥) ابن سلام، ص ١٧٧.

نداه، والنّدى الذي يكون في بطن الأرض، فهو التقاء الثرين. والمثل يُضرب في الرّجلين يكونان على شكل واحد.

ومن أقوال أكثم بن صيفي في ذلك:

إنّما الشيء كشلكه[1]

ويتّفق مع ما سبق من الأمثال القول المشهور:

وافق شن طبقة[2]

وهذا المثل لا يزال متداولاً على الألسن حتى اليوم، وله قِصّة طريفة حيث يقول الشرقي بن القطامي: كان شنّ رجلاً من دُهاة العرب، قال مرّة: والله لأطوفنّ حتى أجِدَ امرأة مثلي فأتزوجها، فسار حتى لقي رجلاً يريد قرية يريدها شنّ، فصَحِبَهُ، فلمّا انطلقا قال له شنّ: أتحملني أم أحملك؟ فقال الرّجل: يا جاهل كيف يحمل الرّاكب الرّاكب، فسارا حتى رأيا زرعاً قد استحصد، فقال شنّ: أترى هذا الزرع قد أُكِلَ أم لا؟ فقال: يا جاهل أما تراه قائما، فسارا فاستقبلتهما جِنازة، فقال شنّ: أترى صاحبها حيّا أم ميّتا؟ فقال: ما رأيت أجهل منك، أتراهم حَمَلوا إلى القبورِ حيّاً. ثم سار بالرّجل إلى منزله، وكانت له بنت يُقال لها طبقة، فقص عليها قصته، فقالت: أمّا قوله أتحملني أم أحملك؟ فإنّه أراد: أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا. وأمّا قوله أترى هذا الزرع قد أكل أم لا؟ فإنه أراد أباعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا. وأما قوله في الميّت، فإنّما أراد أترك عقباً يحيي بهم ذكره أم لا. فخرج الرجل فحادثه ثم أخبره بقول ابنته، إليه فزوّجه إيّاها، فحملها إلى أهله؛ فلّما عرفوا عقلها ودهاءها قالوا: وافق شنّ طبقة، وذهب هذه القولة مثلا لتوافقهما في الرّأي والتّفكير.

وقال الأصمعي في هذا المثل: هُم قومٌ لهم وعاء من أَدْم فتشنّن، فجعلوا له طبقا فوافقه فقيل وافق شنّ طبقة. وقال ابن الكلبي: طبقة قبيلة من إياد كانت

---

(١) ابن سلام، ص ١٧٧.

(٢) الميداني، جـ٣، ص ٤١٨./العسكري، جـ٢، ص ٣٣٦.

لا تُطاق، فوقع بها شنّ بن أقصى بن عبدالقيس فانتصف منها، فصار للمتّفقين في الشدّة وغيرها[1]. وسواء هذه الروايات صحيحة أم لا، فالمثل يبدو بأنَ له سبباً في ذكره واستمرار تداوله، ويهمنا في المثل ما يتضمّنه من معنى في حالة وجود نسبة كبيرة من التّشابه في الصّفات بين شيئين.

وهناك بعض الأمثال التي تضرب في حالة وجود التّشابه بين اثنين أو أكثر في الصّفات الخلقيّة لا السّلوكيّة والعمليّة. ومثل ذلك قولهم:

يخلق من الشبه أربعين[2]

أو:

كلّ عشرة من طينة[3]

والمقصود بهذين المثلين أنّ الصّفات الخلقيّة لمجموعة من النّاس تكون متقاربة بحيث لا تستطيع التّفريق بين هذا وذاك عند مواجهتهم.

وفي حالة التشابه بين إثنين في القول والعمل والسّلوك وحتى الشّكل فالأمثال تقول:

سعيد أخي مبارك

أو:

سعيد عم مبارك(*)

ولمعرفة الناس بأنّ كلّ شيء له ندّ يماثِله ويتّفق معه في معظم الصّفات، فقد تداولوا الأمثال في ذلك فقالوا:

لِكُلّ حق غلقة(*)،

وقالوا كذلك:

---

(1) الميداني، جـ ٣، ص ٤١٩.

(2) السباعي، ص ١٠٠.

(3) عبدالكريم الجهيمان، جـ ٣، ص ٢٦٨.

(*) من الأمثال المتداولة.

(*) من الأمثال المتداولة.

البقرة الخثاقة تلقى لها رفاقة[1]

والمقصود من ذلك أنّ المرء يجد غالباً من يتّفق معه في أخلاقه وصفاته وتصرفاته حتى ولو كانت هذه الأخلاق والتصرفات في غاية القبح والشّذوذ.

أمّا في حالة المساواة بين اثنين، وخاصة في حالة المنافسة بينهما فالمثل يقول:

سواسية كأسنان الحمار[2]

وقال في ذلك الشّاعر:

سواء كأسنان الحمار فلا ترى   لذي شيبة منهم على ناشيء فضل

ويتفق مع المثل السّابق قولهم:

سواء كأسنان المشط

وكذلك قولهم:

هما كركبتي البعير[3]

والمثل الأخير لهرم بن قطبة الغزاري قاله لعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل وقد تنافرا إليه، فقال لهما: أنتما كركبتي البعير تقعان معاً، ولم ينفر واحداً منهما على صاحبه ويقول أبو عبيد أنّ من أمثال العرب في الاثنين عندما يستبقان إلى غاية قولهم:

هما كفرسيّ رهان[4]

وغالباً ما يُضرب هذا المثل في حالة المنافسة الشّريفة. أما قولهم:

هما زندان في وعاء[5]

فيضرب للضعيفين يجتمعان وهما غالباً ممّن يتصف بالدّناءة والخسّة والصّفات الذّميمة. ومثل العامة في مثل ذلك قولهم:

---

(1) عبدالكريم الجهيمان، جـ ١، ص ١٩٣.
(2) الميداني، جـ ٢، ص ١٠٠، /العسكري، جـ ١، ص ٥٢٢.
(3) ابن سلام، ص ١٣٢.
(4) العسكري، جـ ٢، ص ٢٦٩.
(5) ابن سلام، ص ١٣٤. /العسكري، جـ ٢، ص ٣٥٨.

هما كحماري العباديّ [1]

والعباد قوم عرب نزلوا الحيرة وكانوا نصارى، منم عدي بن زيد العبادي، وكان لأحدهم حماران فقيل له: أيّ حماريك شرّ؟ قال: هذا ثم هذا، ويُروى أنّه قال حين سُئِلَ عنهما: هذا هذا، أي لا فضل لأحدهما على الآخر، وقال شاعرهم في ذلك:

رجسان مالهما في النّاس من مثلٍ ... إلاّ حمارا العباديّ الذي وصفا
مجرحان الكلى تدمى نحورهما ... قد لازما محرق الأنساع والأكفا

(١) الميداني، جـ ٢، ص ٥٦.

٤ ـ تباين الطبائع

الائتلاف والاختلاف في الطّبائع أمر لا يمكن إنكـار وجوده في جميـع مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وعند بني الإنسان بصفة خاصة نجد التوافق والإختلاف في الطّبائـع ناتـج عن عوامـل مختلفة منهـا الوراثيّـة ومنها المكتسبـة والتي أنتجت في النهاية ذلك الإنسان المتميّـز بصفاتٍ معينـة قد تتفّق مـع غيره وقـد تختلف. وفي الحـديث عن تباين الـطّبائـع عند بني الإنسـان فإن ذلـك يعني سوء التـوافق في الأخلاق والعادات بين اثنين أو أكثر. ومما لا شك فيه أنّ تباين الطّبـائع عن بني الإنسان له أثر كبير على مجريات الحياة الخاصّة والعامّة. ولذلك حملت إلينا كتب الأدب العـربيـة كثـيراً من الأمثـال التي تـداولهـا النّـاس في اختـلاف الصّفـات والطّبائع بين فرد وآخر، والتي تعكس في نفس الوقت أثر هذا التباين على الفرد والمجتمـع بصفة عـامّة. والأقـوال التي أصبحت مضرب الأمثال في هـذا المجال غالباً ما توحي بسلبيّة هذه الظّاهرة وعدم جدواهـا. وأورد ابن سلام من أمثـال العرب في مثل ذلك قولهم:

أنت تَئِقْ وأنا مَئِقْ فمتى نَتّفِقْ[1]

وعند العسكري يلفظ المثل:

أنا تَئِقْ وصاحبي مَئِقْ فكيف نَتّفِقْ[2]

ويقول أبو عبيد: التّئق السّريع إلى الشرّ، والمئق السّريـع إلى البكاء، وقـالوا كـذلـك: التئق الممتـلىء غضبـا، والمئق القليـل الاحتـمال أو الجـزوع من أدنى

---

(١) ابن سلام، ص ٢٧٨. /الميداني، جـ ١، ص ٧٧.

(٢) العسكري، جـ ١، ص ١٠٦. /الزمخشري، جـ ١، ص ٣٧٩.

مكروه. ويقال أن أصل المثل أنّ رجلين كانا في سفر فساءت أخلاقهما، فقال أحدهما ذلك. . والمثل يُضرب للرجلين المختلفين في الأخلاق والشّيم.

ويقول الأصمعي أنّ من أمثال العرب في تباين الطّبائع قولهم:

ما يجمع بين الأروى والنّعام[1]

والأروى على زنة فعلى وهي العنزة الجبلية التي غالباً ما تعيش في المناطق الصخريّة بينما تعيش النّعامة في مناطق السهول، ويُضرب المثل للشيئين لا يجتمعان لاختلاف نمط حياة كلّ منهما. ويقاس على ذلك التباين في الطّبائع والصّفات بين فرد وآخر.

وسوء الموافقة في الأخلاق والصّفات بين اثنين من النّاس تؤدي غالباً إلى عدم الجمع بينهما خاصّة في الحياة العمليّة لما يترتب على ذلك من سوء النتائج والإخفاق في النّجاح. والمثل المعبر عن هذه الحالة يقول:

لا يجتمع سيفان في غمدٍ[2]

وهذا المثل مأخود من بيت الشّعر لابي ذؤيب عندما قال:

تريدين كيما تجمعيني وخالدا وهل يجمع السيفان ويحك في غمد

ويتّفق مع هذا المثل قولهم:

ما يجتمع صولين في مربط واحد[3]

والصول هو الفحل من الحيوان والمقصود بالمثل أنّه لا يجتمع زعيمان في مكان واحد إلاّ وحصل بينهما شرّ وفتنة وتدبير مكائد. والمثل يُضرب للتنافس بين النظراء.

والتّباين في الطّبائع قد يلعب دوراً كبيراً في تحديد نوعية العلاقة بين فرد

(١) ابن سلام، ص ٢٧٩.
(٢) ابن سلام، ص ٢٧٩. /الميداني، جـ٣، ص ١٨٤.
(٣) عبدالكريم الجهيمان، جـ٣، ص ٤١.

وآخر، فقد يرفض الإنسان تكوين الصّداقة أو الاشتراك في عمل ما مع غيره نتيجة لعدم الموافقة في السّلوك والطّبائع فيما بينهم، ويقول المثل في ذلك:

لا يلتاط هذا بصفري [1]

والالتياط هو اللّصوق، والصّفر هنا بمعنى القلب. ويقول الكسائي: لاط الشيء بقلبي أي لزق به، ولا يلتاط بصفري أي لا يلصق بقلبي. ومعنى المثل أنّ فلاناً من النّاس لا يوافق خلقي وشيمتي. ويضرب المثل لسوء الموافقة في الطّبائع بين اثنين من النّاس. ويؤيد هذا المثل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «لا تراءى نارهما»[2]. والمقصود من الحديث نار المسلم ونار المشرك، أي لا يحل للمسلم أنْ يسكن بلاد الشرك فيكون معهم، بحيث يرى كل واحد منهما نار صاحبه. وقوله صلى الله عليه وسلم: لا تراءى يراد به النهي، وقد أصبح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مضرب الأمثال لكل من تتباين طبائعهم.

وفي حالة تباين الطّبائع والصّفات بين اثنين من النّاس، فإنّ الجمع بينهما غالباً ما تشوبه المنافسة وإضمار السّوء لبعضهما. ومن الأمثال العاميّة المتداولة في مثل ذلك قولهم:

من حُبّ العين في البصلة[*]

والعين كما هو معروف لها وظائف لا تتفق مع رائحة البصل ممّا يُعرّضها للإساءة في حالة الجمع بينهما. وهذا المثل ما هو الاّ تصوير حقيقي للأثر السيء والنتائج غير المحمودة عند الجمع بين العناصر المتباينة حتى في غير عالم الإنسان.

---

(١) ابن سلام، ص ٢٧٩.

(٢) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، الباب الخامس والتسعون.

(*) من الأمثال المتداولة.

٥ - نوازل الدهر

تعارف النّاس على نوازل الـدّهر بـأنها الكوارث والمحن التي تُصيب الإنسـان أو المجتمع من فترة إلى أخرى في هذه الدّنيا. وتعارفوا كذلك عـلى أنّ كلّ شيء في هذه الحياة مهما بلغ سينزل ويعود إلى ما كان عليه أو أقل من ذلك سواء على مستوى الأفراد أو المجتمعات والحضارات الإنسانيّة. فكم من حضارات عظيمة سادت وذاع صيتها ثم بادت وهذه سنّة الله في خلقه. فيجب أخذ العبرة والعظة الحسنة وأن لا ننظر إلى هذه الحياة البسيـطة المؤقتة متجـاهلين الدار الآخـرة وما يقربنا إليهـا من قول أو عمـل. يقول الله تعـالى في محكم آياتـه: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من إحدٍ... ﴾ الخ الآيـة[١]. وقولـه تعالى: ﴿ألم يـروا كم أهلكنا من قبلهم من قـرن مكّناهم في الأرض﴾[٢]. ويقـول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «من كانت الدّنيا همّه، فرق الله عليه أمـره، وجعل فقـره بين عينية، ولم يأته من الدّنيا إلاّ ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيتـه، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدّنيا وهي راغمة»[٣].

ولأن مـا يحـدث من كـوارث ومحن لبني الإنسـان أمـر معلوم بـالسّـماع أو المشاهدة، فقد تداول النّاس في ذلك الأمثال المعبّرة والموعظة والتي تحث عـلى أنّ مظاهر الدّنيا وزخرفها أمـور مؤقتة لا تلبث وأن تنتهي يـوماً من الأيـام ولا يبقى مع المرء الاّ عمله الصالح وأخلاقه الفاضلة والذّكر الحسن.

ويقول الشّاعر في عدم الإكترات بالمظاهر في هذه الحياة:

---

(١) سورة مريم، آية رقم ٩٨.

(٢) سورة الأنعام، آية رقم ٦.

(٣) سلسلة الاحاديث الصحيحة، جـ٢، ص ٦٧١.

إنّما الرّزق الذي تطلبه يُشبه الظّل الذي يمشي معك
أنت لا تُدركه متبعا وهو إنْ ولّيت عنه تبعك

وما أجمل ما قاله سليمان بن الضّحاك في ذلك:

ما أنعم الله على عبد بنعمة أوفى من العافية
وكل من عوفي في جسمه فإنّه في عيشة راضية
والمال حلو حسن جيّد على الفتى لكنه عارية
ما أحسن الدّنيا ولكنّها مع حسنها غدارة فانية (١)

والواقع أنّ ما يتعرض له المرء من مآسٍ ومشاكل دنيويّة هي مقدرة من الله تعالى، ولكن الطّبيعة البشريّة في رؤيتها للأحداث الدنيويّة التي تحدث بين فترة وأخرى أنتجت الأمثال التي أصبحت متداولة جيلاً بعد جيل. ويقول الأصمعي في ذلك:

كل امرىء سيعود مرئياً (٢)

أي تصيبه قوارع الزّمن فتضعفه.

ويقول العرب كذلك:

كل ضبّ عنده مرداته (٣)

ومرداته بمعنى حجره الذي يُرمى به، والمقصود بالمثل أنّ الآفات مع كل واحد ملازمة، وقد ضُرب المثل على الضّب لأنّه قليل التصرّف أو الهداية فهو لا يسكن في جحر إلاّ إذا كان عنده حجر ليكون علامة له إذا خرج منه فيهتدي به إذا عاد.

وقال العرب:

---

(١) الأبشيهي، جـ ١، ص ٣٠٩.
(٢) ابن سلام، ص ٣٣٥.
(٣) الزمخشري، جـ ٢، ص ٢٢٧.

من تجتمع يتقعقع عمده[1]

والمقصود بهذا القول أنّ النّهاية معروفة بالتّفرق مهما استمر وطال التماسك، وفي ذلك يقول عمرو بن معد:

وكلّ أخ مفارقه أخوه   لعمر أبيك الاّ الفرقدان

والأبيات الشّعرية التي تشير إلى مصائر الأمور والتي أصبحت متداولة بين الناس كالأمثال كثيرة ومنها على سبيل المثال قولهم:

كل ابن أنثى وإنْ طالت سلامته   يوماً على آلة حدباء محمول

وكذلك قولهم:

ما طار طائر وارتفع   الاّ كما طار وقع[2]

أي أنّ كل مرتفع عرضة للهبوط وكل هابط عرضة للارتفاع لأنّ الدّنيا لا تبقى على حال، فهي ترفع البعض وتخفض الآخرين، وفي هذا القول تحذير من تقلبات الزّمن ونوازله.

والمجتمعات عندما يضربون الأمثال في نوازل الدّهر إنّما ذلك نتيجة لما يشاهدونه بأعينهم لمن يتعرض لأزمات الدّهر ومآسيه، وبذلك انطبعت في أذهانهم وتفكيرهم التوقعات المستقبليّة لحدوث هذه الأزمات للبشر على مختلف المستويات. ولمثل هذه الحالات يقول المثل:

عش رجباً ترى عجباً[3]

وقصة هذا المثل أنّ الحارث بن عباد بن ربيعة طلّق بعض نسائه بعد ما أسنّ وخرّف، فخلف عليها من بعده رجل كانت تُظهر له من الوجد به ما لم تكن تُظهره للحارث بن عباد، فلقي زوجها الجديد الحارث بن عباد فأخبره بمنزلته منها، فقال له الحارث: عش رجباً ترى عجباً فأصبحت قولته مثلاً. ويقال

---

(١) ابن سلام، ص ٣٣٦. /العسكري، جـ ٢، ص ٢٧٣.

(٢) عبدالكريم الجيهمان، جـ ٣، ص ٥٦/٥٨.

(٣) ابن سلام، ص ٣٣٨.

كذلك أنّ أهل الجاهليّة كانوا يرفعون مظالمهم إلى رجب ثم يأتون فيه الكعبة فيدعون الله عزّ وجل، فلا تتأخر عقوبة الظّالم، ولذلك كان المظلوم يقول للظّالم: عش رجباً ترى عجباً. وأي من الأقوال صحيح فموضوع المثل واضح، ومعناه أنّ نوازل الدّهر لا بد منها وإن طال الوقت على ذلك، وإنّ الظّالم مصيره الفشل وإنّ الحقّ لا بد أنْ ينتصر. وكان العرب لا يشجّعون على التعالي والظّلم والكبرياء لأنّ نتائج ذلك وخيمة وعاقبتها غير محمودة، فالدّهر دول يومٌ لك ويومٌ عليك. وفي ذلك يقول الشاعر:

مَنْ يُرَّ يوماً يُرَّ بِهِ   والدّهر لا يُغتر به[1]

ويقول الأعشى:

شباب وشيب وافتقار وثروة   فللّه هذا الدّهر كيف ترددا

وآخر يقول:

ومن يُر يوماً بامرىء يَر، به   ومن يأمن الأحداث والدّهر يجهل

وكذلك:

ومن ير بالأقوام يوماً يره به   معرّة يوم لا تُوارى كواكبه[2]

والمقصود أنّه إذا أحلّ مكروه بالآخرين فيجب أنْ لا تسود الفرحة بذلك فقد يحلُّ المكروه يوما من الأيام بمن كان مسروراً برؤية ذلك عند الآخرين. ويقول في مثل هذه الحالة أبو العتاهية:

لئن كنت في الدّنيا بصيراً فإنّما   بلاغك منها مثل زاد المسافر
إذا أبقت الدّنيا على المرءِ دينه   فما فاته منها فليس بضائر

---

(١) الزمخشري، جـ٢، ص.٣٦٢.
(٢) الزمخشري، جـ٢، ص ٣٦٢. /ابن سلام، ص ٣٣٤.

٦- الدنيا وما قيل فيها من الأمثال

الـدّنيا هي الحيـاة التي يعيشها الإنسـان في واقع يختلف عن حيـاته في الـدّار الآخـرة. والحياة الـدّنيا، مقـارنة بـالآخرة، محـدودة ومتاعهـا قليل ينتهي بـوفاة الإنسان. وأشار القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى تفاهة الدّنيا وعـظمة الآخـرة. فيقول جلّ وعـلا في كتابـه الكريم: ﴿قـل متاع الـدّنيا قليـل والآخرة خـير لمن اتقى﴾[١]. وقـوله تعـالى: ﴿اعلموا إنّمـا الحياة الـدنيا لعب ولهـو وزينة وتفـاخـر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فـتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفـرة من الله ورضوان ومـا الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور﴾[٢]. ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «ازهد في الدّنيا يُحبّك الله وازهد فيما عند الناس يُحبّك النّاس»[٣].

وفي حياة الإنسان المحدودة في هذه الدّنيا يحثنـا الإسلام عـلى اغتنام الفـرصة للتزود فيها بالأعمال الصالحة التي ستظهر نتائجها عندما يلاقي ربه في حياة أبدية لا تـزول. وفي ذلك يقـول الله تعالى: ﴿وابتـغ فيما آتـاك الله الدّار الآخـرة ولا تنسَ نصيبك من الدّنيا﴾[٤].

وبما أنّ الإنسان في هـذه الدّنيـا يرى بعينـه ما يحـدث من تقلبات في أحـوال البلاد والعباد التي تحدث في كل زمان ومكان، فقد نسب النّاس عـوامل التغيـير إلى الدّنيا على اعتبارها العامل المؤثر في كلّ ما يحدث للإنسان في حياتـه من خير

(١) سورة النساء، آية رقم ٧٧.
(٢) سورة الحديد، آية رقم ٢٠.
(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة، جـ٢، ص ٦١.
(٤) سورة القصص، آية رقم ٧٧.

وشرّ. ومن هذا المنطلق تكرر لفظ كلمة الدّنيا في كثير من الأمثال المختلفة من مجتمع إلى آخر وفقاً لظروف الحدث ومسبباته. وكان الهدف من هذه الأمثال أخذ العبرة والموعظة الحسنة والتقليل من شأن الدّنيا ومظاهرها. ومع علم الكثير من النّاس بأنّ ما يحدث للإنسان هو بقدر من الله تعالى ولا شأن للدنيا في ذلك إلّا أنهم لم يتورعوا عن ضرب الأمثلة المقرونة بلفظ الدّنيا في كثير من المواقف، معبرين فيها عن آرائهم واتجاهاتهم في هذا الشّأن. وممّا قيل من الأمثلة في هذا الشّأن قولهم:

الدّنيا ما جمعت إلّا فرّقت[1]

ويُضرب هذا المثل للعبرة والعظة وتخفيف آلام المصاب خاصة في حالة الفقدان للأقارب على اعتبار أنّ الدّنيا فانية فهي تثبت أقواماً وتذهب بآخرين وتجمع هؤلاء ثم تفرّق أولئك. ويقول الشّاعر في ذلك:

إنّي رأيت يد الدّنيا مَفرّقة
لا تأمننّ يد الدّنيا على اثنين

وفي قول آخر:

قد نادت الدّنيا على نفسها ... لو كان في العالم من يسمع
كم واثق بالعمر أفنيته ... وجامع بدّدت ما يجمع[2]

ومثل آخر يقول:

الدّنيا يوم لك ويوم عليك

أو:

الدنيا بدل يوم عسل ويوم بصل[3]

وأحياناً يكون لفظ المثل:

---

(1) هاني العمد، ص ٣٤٠. / عبدالكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٣٣٨.
(2) غذاء الألباب، جـ ٢، ص ٥٣٩.
(3) عبدالكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٢٤٠.

يوم لنا ويوم علينا

ويؤيد المثل بيت الشّعر القائل:

فيوم علينا ويوم لنا ويومٌ نُساء ويومٌ نُسَرّ[1]

ومعنى ذلك أنّ أحوال الدّنيا لا تدوم على حال، فتارة يكون فيها الرّخاء وتارة تكون فيها الشدّة، وتارة تساعدك على ماتريد وتذلّل أمامك الصّعاب وتارة تضع في طريقك العراقيل ويتسلّط عليك فيها أضعف النّاس. وبذلك علم النّاس أنّ دوام الحال من المحال فالذي يعيش في الشدّة ينتظر الفرج والذي يعيش في النّعيم يحسب حساب ضدّه، وهكذا دواليك.

ولنظرة المجتمع للدّنيا على النحو السّابق، تداول النّاس المثل القائل:

الدّنيا دولاب دائر[2]

والدولاب هو الخزانة، وقد شُبّه الدولاب في هذاالمثل بدولاب الماء الدّائر عندما يرفع الكيزان ثم يخفظها، وهكذا الدّنيا في الرفع والخفض لبني الإنسان.

وشَبّه العرب الدّنيا بالرّقاصة، فقالوا:

الدّنيا زي الغازيّة ترقص لكلّ واحد شويّة[3]

والغازيّة هي الراقصة التي تستأجر للرّقص في المناسبات، ومعنى شويّة بالتصغير أي أنّ الدّنيا لا تدوم لأحد بل هي كالرّقاصة ترقص قليلاً لهذاثم ترقص لغيره.

ولتوضيح أثر الدّنيا على الفرد في حالة غروره بها يقول المثل:

الدّنيا غرّارة[4]

والمقصود أنّ الدّنيا تخدع بزخرفها، فيندفع المرء في غروره ولا يتنبه لذلك إلاّ

---

(١) عبدالكريم الجهيمان، جـ١، ص ٣٤٠.

(٢) تيمور، ص ١٤١.

(٣) تيمور، ص ١٤٢.

(٤) عبدالكريم الجهيمان، جـ١، ص ٣٤٠.

في ساعات يكون قد فاته فيها تدارك الماضي والعمل بما كان يجب أنْ يعمله.

وقد يتّخذ الإنسان من الدّنيا مصدر تفاؤل في حياته، وفي ذلك قال العرب:

الدّنيا أعتاب وأكعاب ونواصي[1]

والمقصود بهذا المثل التفاؤل على اعتبار أنّ الحظوظ السّعيدة للإنسان قد تأتي عن طريق المساكن الجديدة أو الزّيجات أو رُكوب الخيل.

وفي حالة توفق المرء في حياته ونجاحه في أعماله فالمثل يقول في ذلك:

الدّنيا ضاحكة له[2]

أي مقبلة بوجهها المشرق الجميل وذلك على اعتبار أنّ الدّنيا تارة تضحك للإنسان وتعطيه من نفسها كلّ شيء وتارة تعبس في وجهه وتحرمه من أبسط مقومات الحياة، ففيها المتناقضات وفيها المضحكات وفيها المبكيات. وهذا المثل يضرب لمن وفق في أموره وسارت أحواله على نهج ناجح ومثمر.

وللتقليل من اهتمام النّاس بالدّنيا والحثّ على الزهدِ فيها تداول النّاس المثل القائل:

الدّنيا أطول من أهلها[3]

والمقصود بالمثل أنّ الدّنيا أطول من الأجيال المتتابعة، فهم يفنون جيلاً بعد جيل وهي باقية كما هي، وقد يفهم من المثل أنّ الإنسان قد يعجز عن الحصول على كل ما يريده نظراً لقصرِ عمره مُقارنة بالحياة الدّنيا.

أمّا قولهم:

دنيا تلعب بأهلها[4]

---

(١) هاني العمد، ص ٢٣٦/٢٤٠.
(٢) عبدالكريم الجهيمان، جـ١، ص ٣٤١.
(٣) هاني العمد، ص ٢٣٨.
(٤) عبدالكريم الجهيمان، جـ١، ص ٣٣٩.

فيقصد من ذلك أنّ الدّنيا قد تخدع المرء بزينتها علماً بأنّها لا تبقى على حالة واحدة، ولها تقلبات عجيبة فتارة تجعل الغني فقيراً والعكس بالعكس، فلا يغتر الإنسان بها ولا يجب أنْ تُنسيه ملذاتها عن العاقبة الحسنى في الدّار الآخرة. والمثل كأنّه يقول بأنّ الدّنيا لا يجب الأخذ بها على أنها دار خلود ولكنّها ممرّ عبور إلى الدّار الآخرة التي لا تزول.

ولتوضيح أهميّة العلاقات الإنسانية في المعاملة بين النّاس وأهميّة عمل المرء الصّالح فيما يقدمه لنفسه في الدّار الآخرة، يقول المثل:

الدّنيا خُذْ وهات والآخرة كلّ عمله له(١)

والمثل يَحثُّ على التعاون بين النّاس في المعاملات وعلى عدم التردّد في مساعدة المرء لغيره. ومعنى خُذْ وهات يُقصد به العون من فرد إلى آخر، أمّا بالنّسبة للدّار الآخرة فكلّ إنسان مسئول عن نفسه وله عمله الصالح وعليه وزر أعماله السيئة.

والإنسان بطبيعته يسعَى دائماً إلى تحقيق الكمال في كلّ أمور حياته، ولكنّ ظروف الحياة قد لا تُساعده على تحقيق كلّ ما يصبو إليه، وفي مثل هذه الحالة يقول المثل:

الدّنيا ما تكتمل لأحد(٢)

والمثل يُضرب في حالة تحقيق المرء لما يرغبه ما عدا بعض الأمور. ومن ناحية أخرى يَحثُّ المثل على القناعة بما قسم الله للإنسان في هذه الدّنيا.

وأحياناً يقول المثل:

الدنيا ما دامت لأحد

أو:

---

(١) عبدالكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٣٣٨.

(٢) عبدالكريم الجهيمان،" جـ ١، ص ٣٣٨.

الدّنيا ما دامت لابو زيد(*)

والمقصود من ذلك أنّ الحياة الدّنيا فانية والبقاء لله وحده عزّ وجل، والمثل يقال في تعزية وتخفيف آلام من يُصاب في ماله أو أسرته أو من يعزّ عليه. وكذلك يضرب المثل كموعظة للطغاة أو تأنيب للمغرورين.

وقد تصفو الأيام للإنسان وينجح في أعماله فترة من الزّمن ولكن نوائب الدّهر قد تلعب دورها في تقلّص نجاحه وتكدير صفائه، وهذه سنة الله تعالى في خلقه. ومن الأمثال التي تداولها النّاس في ذلك قولهم:

الدّنيا ما صفت إلاّ وكدرت

ويقول الأصمعي في هذا المعنى: وجدت العرب بيتين من الشّعر كأنّما أخذا من قوله تعالى: ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة﴾(1). وتقول أبيات الشّعر:

أحسنت ظنّك بالأيام إذ حسنت	ولم تخف غبّ ما يأتي به القدرُ
وسالمتك اللّيالي فاغتررت بها	وعند صفو اللّيالي يحدث الكدرُ

وأبيات شعرية أخرى تصف الدنيا تقول:

أرى الدنيا لمن هي في يديه	وبالاً كلّما كثرة عليه
تُهين المكرمين لها بصفر	وتُكرم كل من هانت عليه
إذا استغنيت عن شيء فدعه	وخُذ ما أنت مُحتاج إليه(2)

(*) من الأمثال المتداولة.

(1) سورة الأنعام، آية رقم ٤٤.

(2) غذاء الألباب، جـ ٢، ص٥٣٨.

٧- الكلب وما قيل فيه من الأمثال

الكلب من الحيوانات التي يستخدمها المزارع والرّاعي للحماية، والمزارع يستخدم الكلب لحراسة منزله بينما يستخدمه الرّاعي لحماية أغنامه وأبقاره من اعتداء الحيوانات المفترسة كالذئب ونحوه عليها. واقتناء الكلب من الأمور التي ذكرتها الشريعة الإسلامية وحدّدت كيفية اقتنائها. فلا يجوز اقتناء الكلب الآ كلب صيد أو كلب ماشية أو حرث لما رُوي عن أبي هريرة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «من اتخذ كلباً إلاّ كلب صيد أو ماشية أو زرع نقص من أجره كل يوم قيراط»، وفي رواية قيراطان[1].

ولما للكلب من علاقة قوية مع صاحبه ولما يحمله من صفات إيجابية وسلبيّة، فقد تداول النّاس فيه أمثالا كثيرة ومتنوّعة تتفق مع مواقف مختلفة من تصرفاته، وتعكس آراء واتجاهات المجتمع في ذلك. ومن أمثالهم في مثل ذلك قولهم:

كلبٌ ينبح لك ولا كلب ينبح عليك[2]

والنُّباح هو ما يظهره الكلب من أصوات في حالة رؤيته للغريب. ورغم ما يُسبّبه النُّباح من إزعاج إلاّ أنّ نُباح الكلب على الأعداء ممكن تحمّله وأفضل من أن يكون معهم. ويفهم من المثل أنّ وجود من يدافع عنه خير لك من وجود من يعتدي عليك.

أمّا المثل القائل:

الكلبُ كلب ولو كان طوقه ذهب[3]

---

(١) المغني، جـ ٤، ص ٣٠١.

(٢) عبدالكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ٢٨٥.

(٣) عبدالكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ٢٥٩.

فيعني أنّ الزّينة والحلي والفضّة لا تغيّر من حقيقة الشّخص شيئاً، فالشّخص الذي أصله ومعدنه طيّب سيكون واقعه كذلك مهما كان رثّ الثياب أو قبيح الخلقة، وذلك عكس من طينته غير صالحة فإنّه لا يرفع مع مكانته جمال ثيابه والمظاهر الكاذبة. والمثل يضرب للمظاهر بأنّها لا تغير من الواقع شيئاً.

ويتّفق مع المثل السّابق قولهم:

الكلبُ لو وضعوا على ذيله الشيء الثقيل

أربعين صباحاً لا يستقيم عن اعوجاجه(*)

والمقصود أنّ من اعتاد على طبيعة سيئة فمن الصعب جداً تغيير تصرّفاته حتى لو استمرّت محاولة الإصلاح مدّة طويلة. ويُضرب المثل للميئوس من إصلاحهم وإقلاعهم عن مُمارسة بعض العادات السّيئة.

وشبيه بالمثل السّابق قولهم:

أعوج من ذنب الكلب[1]

لأنّ ذنب الكلب طبيعته الالتواء والتكوّر، فإذا مددته وقومته ثم تركته عاد إلى سيرته الأولى من الالتواء والتكوّر. والمثل يدلّ على أنّ الطّبع يغلب التطّبع وأنّ الشّيء يرجع إلى أصله. فإذا كان أصله الاستقامة فاعوج في ظروف معيّنة فإنّه قد يأتي وقت يعود فيه إلى الاستقامة وإذا كان أعوج فقومته في ظروف مُعيّنة فإنه يأتي وقت يعود ألى أصله في الاعوجاج. والمثل يضرب في الغالب لمن تسيطر عليه العقد في تصرفاته فتراه يحاول أنْ يكون هو الغالب أبداً.

وبما أنّ كل شيء غالباً يعود إلى أصله حتى فصيلة الحيوان قال العرب من باب النّصيحة:

لا تقتن من كلب سوء جرواً[2]

(*) من الأمثال المتداولة.

(1) عبدالكريم الجيهمان، جـ١، ص ٧٠.

(2) الميداني، جـ١، ص ١٢١. /العسكري، جـ٢، ص ١٨٠.

ومعنى ذلك أنّ كلب السّوء سيحمل وليده نفس الصّفات، فلا توقع من تربيته أن يكون غير ذلك عندما يكبر. ويقول الشّاعر في ذلك:

ينشأ الصّغير على ما كان والده إنّ الأصول عليها يَنْبت الشجرُ

وقد يُستخدم المثل للتدليل على الصّفات الوراثيّة حتى للأشرار من النّاس. ويتفق مع ذلك قولهم:

كيف بغلام أعياني أبوه(1)

والمقصود أنّه إذا لم يستقم الأب فكيف يستقيم الابن، وفيه يقول الشّاعر:

ترجو الوليد وقد أعياك والده وما رجاؤك بعد الوالد الولدا

وبما أنّ الكلب لا يخلو من التصرفات السيئة حتى في غذائه لنفسه، فقد استشهد النّاس بذلك للتدليل بها على ما يحدث مثلها من تصرّفات البشر، وفي ذلك قالوا:

ما يرجع في زواغه الاّ الكلب(2)

والزّواغ هو التقيؤ، ومعنى ذلك أنّه لا يرجع في هبته أو عطيته أو كلامه أو أي شيء وعد به الاّ من يُشبه الكلب الذي يتقيأ ثم يعود إلى قيئه فيأكله. ويُضرب كذلك المثل لمن يعطي شيئاً فيمن به ويرجع في ما أعطاه. ويؤيد أهميّة هذا المثل حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم في قوله: «العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه»(3).

وهناك بعض التصرفات الأخرى التي قد تكون مُتشابهة مع تصرفات بعض الناس، والمثل المتداول في ذلك يقول:

الكلبُ ما ينبح الاّ عندباب أهله(*)

---

(1) العسكري، جـ ٢، ص ١٤١.

(2) عبدالكريم الجهيمان، جـ ٢، ص ٦٢.

(3) صحيح البخاري، جـ ٢، ص ٩٠.

(*) من الأمثال المتداولة.

وذلك لأن المعروف عن الكلب إذا كان في منأى بعيد عن بيت صاحبه فهو يتّصف بالجبن ويفتقد كلّ الحماس والشّجاعة التي قد يُمارسها في حالةِ وجوده قريباً من بيت صاحبه، ولعل ذلك يعود إلى أنّه ببعده عن بيت صاحبه يفقد الحماية والاعتماد على ذويه في حالة الاعتداء عليه، أما كونه قريباً بباب دار صاحبه فإنّ نُبَاحَه سيؤدي إلى لفت انتباه ذويه للخطر الذي داهمه وفي ذلك تكون له الحماية. ويضرب هذا المثل للمرء عندما تأخذه الشجاعة والحماس إذا كان في مأمن بين أعوانه ومساعديه، والذلّ والسكينة عندما يكون منفرداً. ويتفق مع هذا المثل في المعنى قولهم:

كلّ كلب ببابه نَبَّاحٌ[1]

وأما قولهم:

كَلْب عسّ خير من أسدٍ ربض[2]

فيُقال عندما يكون الرّجل الضعيف المحترف خيراً لنفسه ولأهله من القوي الكسلان. وعس واعتس، إذا طوّف والتمس، ومنه سُمّي الطواف باللّيل عسا. ويقول الشّاعر في ذلك:

ليس الفتى بجماله ... لكن بنجدته وحزمه
كسل الفتى في شأنه ... سبب لفاقته وعدمه

وقد حرفت ألفاظ هذا المثل من بيئة إلى أخرى فأحياناً يقولون:

كلب عسس خير من كلب رقد

أو:

ذنب عسعس خير من ذئب رقد(*)

ولكن المعنى لا يختلف تماماً عما ذكرناه.

---

(١) عبدالله آل نوري، ص ٢٨٠.
(٢) ابن سلام، ص ٢٠٠ /العسكري، جـ٢، ص ١٤٦.
(*) من الأمثال المتداولة.

ومن بغض النّاس في الدّناءة والحمق فقد قرنوا ذلك بوصفهم في المثل القائل:

لوقي لا هو كلب ولا سلوقي[1]

ولوقي في لغة العامّة هو ذلك الرّجل المذبذب الدنيء، وفي القاموس فمعناه الأحمق. والسلوقي هو نوع من الكلاب ضامر الخصرين سريع الجري ويستخدم للصّيد لسرعته. ومعنى المثل أنّ هناك من يكون غير معروف في تصرّفه، فهو أحمق دنيء يحاول أن لا يكون معروفاً في طبيعته من أي صنف هو. ويضرب المثل لمن ساء خلقه وأنكر أصله واتصف بالتذبذب في أعماله.

ونوعية من الناس قد لا تعترف بالجميل وتنكره وهم في نفس الوقت قد يكونون في أمَسِّ الحاجة يوماً من الأيام لمن أسدى إليهم معروفاً. ويقال في مثل هؤلاء:

درب الكلب على الجزار[*]

أو:

درب الكلب على القصاب[2]

وفي ذلك تشبيه لمن يتعامل مع الناس بهذه الطريقة كالكلب الذي تربطه علاقة وطيدة مع الجزار، فمهما ابتعد عنه أو طرده فسيعود إلى التقرب منه للحصول على بعض اللّحم والعظام. وفي المثل تحذير لمن يُنكر الجميل لأنّ الحاجة قد تضطره إلى الرجوع وطلب العون ممن كان له فضل سابق عليه.

---

(١) عبدالله آل نوري، ص ٤٨٧.

(*) من الأمثال المتداولة.

(٢) عبدالله آل نوري، ص ٤٥٧.

٨ - الذئب وما قيل فيه من الأمثال

الذئب من الحيوانات المتوحشة، يتميز طبعه بالاعتداء والاختطاف واتباع أسلوب التحايل في الوصول إلى حاجته، ويعتمد غالباً في معيشته على أكل اللّحوم وخاصّة الأغنام والتي تعتبر ضالته المنشودة. ومن عادته أنّه لا يترك وسيلة الاّ ويستخدمها في سبيل تحقيق غايته وإشباع غريزته. وبما أنّ أفعاله تتفق أحياناً في الطريقة والهدف مع أعمال البعض من بني البشر، فقد أصبح هذا الحيوان مَضرِب الأمثال في معظم المجتمعات البشرية. ويقول الحديث الشريف في تلك النوعية من الناس في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألسنتهم أحلى من السّكر وقلوبهم قلوب الذياب»(١).

وهناك من يستخدم طريقة التستر في سبيل تحقيق الهدف علماً بأنّه شرّ في ذاته فهو بذلك ينتهج مسلك الذئب الغادر لتحقيق مآربه، والمثل العربي يقول في مثل هؤلاء:

ذياب عليها ثياب(٢)

وذياب جمع ذيب، ويعني المثل وحوش مفترسة في شكل بشر يتظاهرون بالإنسانية بينما هم من أخطر الناس في أعمالهم، وإذا أتيحت لهم الفرصة كان الحلال ما حل في أيديهم والحرام ما لم يستطيعوا الحصول عليه. ويُضرب المثل للذين يتظاهرون بأنواع المكارم والأخلاق والنزاهة وهم تماماً على عكس ما يتظاهرون به.

ويتّفق مع المثل السّابق في المعنى قولهم:

---

(١) صحيح الترمذي، الباب الستون من كتاب الزهد.

(٢) عبدالكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٣٥٥.

الذئب ذئب ولو عليه جلد خروف[1]

والمقصود أنّ الذئب لو لبس جلد الخروف خشية من أن يُرى فيعرف فإنّ ذلك لا يجعل منه مأموناً على الغنم، وأنّ التستر لا يصرفه عن ممارسة طبيعته من الاعتداء عليها.

ولنظرة المجتمع للذئب بأنّه عديم الأمانة يقول المثل:

الذئب ما يسرح بالغنم[2]

ويسرح بمعنى يمشي مع الغنم كالرّاعي، ومعناه أنّ الذئب لا يؤتمن على الغنم ولا يمكن أنْ يكون راعياً لها لأنّ الرّاعي لا يذهب معها الاّ لحمايتها من الذئاب فكيف يكون حاميها حراميها. ويُضرب المثل لعدم الركون إلى الأعداء مهما تظاهروا بالنزاهة والإخلاص، أو للرّجل قليل الأمانة عندما يُصبح مؤتمناً على المال والأعراض.

وتشاؤماً من ذكر اسم الذئب تداول الناس قولهم:

ما نخاف على غنمنا الاّ من الذئب[3]

وللمثل قصّة طريفة، فيقال بأن رجلاً كان عنده غنم وأراد أن يضعها أمانة عند أحد الأعراب ليرعاها إلى أنْ يأتي الرّبيع ويأتي ميقات ولادتها وحليبها، وأوصى أنْ يأتيه أحد الرّعاة لإيداعها عنده، وعندما جاء أحدهم قال له: ما اسمك؟ قال: ذيب قال: واسم أبيك؟ قال: سرحان، فقال له: يا ولدي نحن ما نخاف على غنمنا الاّ من الذيب.

وأحياناً توصف معاشرة الأشرار من النّاس كمن يعاشر الذئب ويصبح رفيقاً له. وفي مثل ذلك يقول العرب:

---

(١) عبدالكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٣٥٥.
(٢) عبدالكريم الجهيمان، جـ ١، ص ٣٥٥.
(٣) عبدالكريم الجهيمان، جـ ٣، ص ٣٨.

من عاشر الذيب يتحمّل مخاليبه[1]

والمقصود بالمثل أنّ من يعاشر الأشرار أو من تقتضي مصلحته الحياة معهم فإنّه من المفروض أن يتحمل كل ما يصدر عنهم من عمل مهما كانت قساوته لأنّه وضع نفسه في ذلك الموقف الذي لا يُحسد عليه.

وللتجارب والملاحظات عند أهل البادية عن الذئب، فقد أصبح معروفاً لديهم بأنّ الذئب لايركض عبثاً وإنّما الدّافع لسيره السّريع رؤيته لفريسة يريد الانقضاض عليها، وفي ذلك قالوا:

ما يهرول الذئب عبثاً[2]

وهرول بمعنى انحدر وسار في اتجاه معين بسرعة غير عاديّة، والذئب في انطلاقته السريعة يحاول أن لا يؤدي تباطؤه في السير إلى ضياع فرصة القبض على ما رآه من صيد. والمثل قياساً على ذلك يُضرب لمن يسعى سعياً حثيثاً فيتساءل النّاس عن سبب ذلك، فتكون الإجابة بتشبيهه بالذئب في قولهم: ما يهرول الذئب عبثاً، أي لا بد وأنّ له حاجة لا يعلمها الاّ هو يسعى لتحقيقها.

وفي شدّة قوّة الذئب في حالة انفراده بفريسته قال العرب:

الذئب خالياً أشدّ[3]

ومعناه أنّ الذئب إذا وجد غيره منفرداً يكون أجرأ عليه، ويقول الميداني: وأجود من هذا أن يقال: الذئب إذا خلا من أعوان من جنسه كان أسداً لأنّه يتّكل على ما في نفسه وطبعه من الصّرامة والقوّة، والتقدير: الذئب يُشبه الأسد إذا كان خالياً. ويُضرب المثل قياساً على الذئب بأن الرّجل إذا توحّد بآخر ضعيف فإنه ينال منه ما يريد اعتماداً على قوته وضعف الطرف الآخر.

---

(١) عبدالله آل نوري، ص ٣٤٤.

(٢) عبدالله آل نوري، ص ٣٢٦.

(٣) ابن اسلام، ص ٢٢٢.

والـذئب رغم ذكـائه وفـطنتـه، فقـد يقـع في الفخّ ولا تنفعه شـدّة حـذره واحتراسه من الوقوع في المهالك. وفي مثل ذلك يقول المثل:

ما يطيح في الغبيّة الاّ الذئب[1]

والغبيـّة هي حفرة تحفـر في مضيق ثم يوضـع على فـوهتها قش يخفيهـا، فإذا جاءت السّباع لتمرّ وقعت فيها ثم لم تستطع الخروج منها. والذئب معروف عنه شـدّة الحرص عـلى نفسه ومـع ذلك فهـو سقط في هـذه الأحبـولـة في كثـير من الأحيان. والمثل يضرب للتوضيح بـأنّ الحذر لا يُنجي من القـدر، أو أنّ الذّكي لا ينجيه ذكاؤه وحذره ممّا قد يدبر له من المكائد.

وبمـا أنّ كل شيء يعـود إلى أصله فـإنّ ولـد الـذئب لا بـد وأنّ يحمـل جميـع تصرفات وطبائع أبيه حتى لو كانت تـربيته في صغـره مع الحيـوانات المستـأنسة، فهو عندما يكبر سيكون بالطبع متوحشاً مفترساً كأبيه، ولذلك قالوا بالمثل:

ما يصلح الذئب حتى يصلح ولده[2]

وذلك لأنّ ولد الذئب ذئب بطبعه ويرث جميع صفات أبيـه، وقد يقـاس على ذلـك الأشرار من النّـاس فـإنّ أبنـاءهم في الغـالب يتـأثـرون بصفـات آبــائهم ويحملون نفس الصّفات.

وإدراكاً لهذه الصّفات الوراثيّة عند الذئب قال النّاس:

إذا عضك الذئب عض وليده[3]

ويعني المثـل أنّه إذا عضّـك الذئب أو ألحق بـك الأذى وأنت لا تستطيـع أن تنتقم منه وتأخذ ثأرك، فما عليك إلاّ أنْ تفتك بولده الصّغير الذي لا يستطيع أن يدفع الأذى عن نفسه وذلك سيؤلم أبـاه الذي ألحق الضرر بـك. ثم من ناحيـة

---

(١) عبدالكريم الجهيمان، جـ٣، ص ٢٢.

(٢) عبدالله آل نوري، ص ٣٠٨.

(٣) عبدالكريم الجهيمان، جـ١، ص ١١٧.

أخرى ففرخ الذئب لا بد أنْ يكون ذئباً عندما يكبر فينهج نهج أبيه ويلحق الضرر بغيره كما فعل أبوه. والمثل يضرب للتحذير من أبناء الأشرار لأنهم غالباً ما يسلكون مسلك آبائهم على اعتبار أنّ الفروع تتبع الأصول.

خاتمة

وهكذا عزيزي القارىء قامت الأمثال بدورها الفعّال في خدمة التراث، وأفصحت عن نفسها كعلم قائم بذاته شأنه شأن أيّ فرع من العلوم العربيّة لها مكانتها وفائدتها وإيجابياتها وسلبياتها. فهي تُؤدي دورها كدروس مُستقاة من حياة المجتمع لِتُضيف لبنات من الثقافة الإنسانية وتشير إلى معالم تاريخية جيدة لنوعية الحضارة التي يعيشها المجتمع. والأمثال بكونها عنصراً هاماً من عناصر الأدب العربي، فهي إلى جانب ذلك تاريخ يحكي واقع المجتمع وتصوّراته وحضارته الماضية والحاضرة وتطلعاته المستقبليّة، وهي في معظمها ناتجة عن حوادث لها مُسبّباتها وظروفها التاريخية التي أدت الى استمرارها.

ولأن المثل لم يكن وليد الصّدفة فقد حمل معه القصّة التاريخية لظهوره ونمط العادات والتقاليد النّابعة من حياة المجتمع. أضف إلى ذلك فالمثل في لفظه الموجز وتعبيره القوي إنما يترجم لنا المواعظ والعبر بهدف اكتساب وتبني الصفات الإيجابية واجتناب كل ما لا يسمو بأخلاقنا ويرفع معنوياتنا في أمور الحياة.

والأمثال التي تطرقت إليها هذه الدراسة في مُعظمها لا تخلو من أهداف وغايات جديرة بالاهتمام. وكل ما كان المثل أكثر تأثيراً في ما يحمله من غايات، كلما اتسعت دائرة انتشاره وامتدت فترته الزمنية ليعايش أجيالاً متتالية.

ولو تدبرنا ما أوردناه من أمثال في هذه الدراسة لاتضحت اهتماماتها بجوانب مختلفة في حياتنا وكأنها الموجه والمعلم الذي ينقل تجاربه إلى غيره. ومما يزيد في أهمية ما تضمنته هذه الدراسة من الأمثال اقترانها بما يؤيدها أو ينافيها من القرآن والسنّة، وما يستشهد على ذلك من الأبيات الشعرية التي استخدمت في بعض الأحيان كالأمثال لسهولة ألفاظها وقوة تأثيرها في نفوس النّاس.

وكان ما ورد من الأمثال والأبيات الشعرية في البـاب الأول في هذه الـدراسة إنما يمثل كل ما يتطلع إليه المرءُ من الصّفات المفضلة والإيجـابية التي تتـوق نفسه إلى الالتزام بها في حياته والتي تُعبّر عن صفة التكـامل الأخـلاقي إذا ما حـاول اتخاذها منهجاً سلوكياً في كلّ تصرّفاته.

وعبّرت موضوعات الباب الثاني وما تتضمنه من نماذج جيدة من الأمثـال عن الصفـات السلبيـة التي لا تُقرّهـا الشريعـة الإسـلاميـة وتمثـل الـطّرف النقيض للصفات الإيجابيـة. واتبعت الأمثال في هـذا الجانب أسلوب الإرشـاد والتوجيـه بالابتعاد عن تلك الصفات والتحذير في نفس الوقت من اتباعها.

ولتداخل بعض الصّفات ولتضمنها الجوانب الحسنة والسيئـة فقد عـولجت في الباب الثالث بشكلٍ واضح. وقد حدّدت الأمثال في هذه المـوضوعـات ما يجب وما لا يجب الالتزام به سلوكاً ومنهجـاً في الحياة وتـركت الفرصـة للمرء بـاختيار الأفضل والابتعاد عن ما يتنافى مع القيم الاجتماعية المرغوبة.

ولأن المرء عضو من المجتمع لا يمكن أن يعيش بمعزل عنه وبطريقة انفرادية، فقد ركّزت اهتمامات الباب الرابع في هذه الدارسة عـلى الموضـوعات التي تخـدم الجانب الاجتماعي واختيرت الأمثال في ذلـك لتوضيـح أثر العـلاقات والـروابط الاجتماعية بين الناس ومدى الاستفادة من تبني كل صفة إيجابيه من شأنها خدمة الفرد والمجتمع على حد سواء. ولم تتجاهل الأمثال في هذا الجانب تلك العادات والتقـاليد السيئـة التي يجب على الفـرد والمجتمع الابتعـاد عنها لضـمان التكافـل الاجتماعي على منهج سليم وبنّاء.

ولأن المجال الاقتصادي من الأمور الهامّة في حياة الفـرد والمجتمع فقـد اختير لـه ما يتنـاسب معه من مـوضوعـات في الباب الخـامس. وعـلى الـرّغم من قلة الموضوعات في هذا الجانب إلا أنّ الدّراسة ركّزت على الجوانب التي لهـا علاقـة قوية بمعايشة المرء مع نفسـه ومجتمعه في هـذا المجال. واهتمت الأمثـال في ذلك بالترشيد الجيد وانتهاج مبدأ الاعتدال والحث على الابتعـاد عن كل مـا يؤدي إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية.

أمّا الباب السادس فقد عالج بعض الموضوعات التي لا تندرج في مضمار الجانب الاقتصادي والاجتماعي. وكان جلّ اهتمام هذا الباب بتلك الموضوعات التي لها أهمية قصوى في غرس العبرة والعظة الحسنة عن طريق معرفتها. والأمثال في هذا الجانب ما هي إلاّ حقائق إضافية تعبر عن بعض الصّفات المتنوعة التي تُشير إلى ضرورة معرفتها وتقييمها لتبني ما هو مُفيد ونافع وترك ما قد يؤثر على استقامة الفرد وسلوكه مع أبناء مجتمعه.

المراجع

- القرآن الكريم، بالاضافة الى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
- كتب الحديث الستة، بالإضافة إلى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.
- الأمثال المتداولة على ألسنة الناس اليوم عن طريق كبار السن وأصحاب الخبرة والتجربة من أبناء المجتمع في المملكة العربية السعودية وبالأخص رجال القبائل ومشائخهم.
- ابن الانباري، **نزهة الالباء في طبقات الأدباء**. تحقيق الدكتور ابراهيم السّامرائي بغداد، ١٩٧٠.
- ابن الأثير عزّ الدين أبي الحسن، **الكامل في التاريخ**. بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، **المحلّى**. بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة.
- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة، ١٩٤٨ م.
- ابن سلام، الحافظ أبي عبيد القاسم، **كتاب الأمثال**. تحقيق د. عبدالمجيد قطامش، الطبعة الأولى، دمشق، دار المأمون للتراث، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ابن قتيبة الدينوري، محمد بن عبدالله بن مسلم، **عيون الأخبار**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ م.
- الابشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، **المستطرف في كل فنّ مستظرف**. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
- الاصبهاني، حمزه، **الدر الفاخرة في الأمثال السّائرة**. تحقيق د. عبدالمجيد قطامش، القاهرة، ١٩٧١ م.

- الأكوع، اسماعيل بن علي، **الأمثال اليمانية**. الطبعة الأولى، دار المعارف بمصر ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- الآمدي، **المؤتلف والمختلف**. تحقيق عبدالستار فراج، القاهرة: ١٩٦١ م.
- البكري، أبو عبيد، **معجم ما استعجم**. تحقيق مصطفى السّقا، القاهرة: ١٩٥١ م.
- بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**. القاهرة: ١٩٧٤ م.
- التكريتي، عبدالرحمن، **الأمثال البغدادية المقارنة**. بغداد: مطبعة العاني، ١٣٧٦ هـ - ١٩٦٦ م.
- تيمور، أحمد باشا، **الأمثال العاميّة**. القاهرة: الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م.
- الثعالبي، **ثمار القلوب**. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٦٥ م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**. القاهرة: طبعة السندوني، ١٩٣٢ م.
- الجهيمان، عبدالكريم، **الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية**. الطبعة الأولى، ١٣٨٣ هـ.
- الهاشمي، أحمد، **جواهر الأدب**. بيروت، مؤسسة دار المعارف.
- دياب، محمد صادق، **نماذج مختارة من الأمثال العامية**. جدة، مطابع الروضة، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥ م.
- ديوان الأعشى الكبير، تحقيق محمد حسين، بيروت: ١٩٦٨ م.
- ديوان المتنبي بيروت ١٩٠٠ م.
- ديوان الحماسة للمرزوقي. تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- ديوان الشافعي تحقيق زاهدي يكن، بيروت: دار يكن ودار منيمنة للطباعة، ١٩٧٩ م.
- ديوان الشريف الرضي محمد بن أبي أحمد الحسين، بيروت: ١٣٠٧ هـ.
- ديوان النابغة الذبياني، نشر وتحقيق محمد جمال، بيروت: ١٩٢٩ م.
- ديوان بشار تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٦ م

- الزمخشري، جار الله محمود بن عمرو، **المستقصى في أمثال العرب**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- الزمخشري، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، تحقيق سليم النعيمي، بغداد: مطبعة العاني.
- السباعي، أحمد، **الأمثال الشعبية في مدن الحجاز**. جدّة، منشورات تهامة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- السدوسي، مؤرّج بن عمرو الملقب بأبي فيد، **الأمثال**. تحقيق د. أحمد محمد الضبيب. الرياض: الطبعة الأولى، مطبعة الجزيرة: ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- سالم، د. السيد عبدالعزيز، **دراسات في تاريخ العرب**. مطبعة الاسكندرية، ١٩٦٨ م.
- السفاريني الحنبلي، محمد بن أحمد بن سالم، **غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب**. دار الاتحاد العربي للطباعة، رقم الايداع بدار الكتب: ٤٨٠٦، ١٩٧١ م.
- الضبي، الملقب بأبي عكرمة، **كتاب الأمثال**. تحقيق د. رمضان عبد التواب، دمشق: مطبعة دار الكتب.
- الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٩ م.
- العبودي، محمد، **الأمثال العامية في نجد**. دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م.
- العبدري الشيبي، محمد بن علي الملقب بأبي المحاسن، **تمثال التمثال**. تحقيق د. أسعد ذبيان، بيروت: دار الميرة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- العسكري، الملقب بأبي هلال، **جمهرة الأمثال**. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، والدكتور عبدالمجيد قطامش، القاهرة: ١٩٦٤ م.
- العمد، هاني، **الأمثال الشعبية الأردنية**. عمان: الطبعة الأولى، مطبعة وزارة الثقافة والشباب، ١٩٧٨ م.
- القثامي، مناحي ضاوي، **لكل مثل قصة**. مطبوعات نادي الطائف الأدبي، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.
- الميداني، أحمد بن محمد بن أحمد الملقب بأبي الفضل، **مجمع الأمثال**. تحقيق محمد أبو

الفضل ابراهيم، من منشورات عيسى البابـي الحلبي وشركاه، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

- النـويري، شهـاب الدين أحمـد، **نهاية الارب في فنـون الأدب**. نسخة مصـورة من طبعة دار الكتب المصرية.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله، **معجم الأدباء**، تحقيق د. أحمد رفاعي، القاهرة ٣٦.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله، **معجم البلدان**، بيروت، ١٩٥٥ م.

المحتويات

الموضوع | الصفحة

١ ـ الاهداء ٧
٢ ـ تقديم ٩
٣ ـ المقدمة ١١
٤ ـ الفصل الأول:
الأمثال في الصفات الإيجابية. ١٧
٥ ـ الفصل الثاني:
الأمثال في الصفات السلبية. ٨٧
٦ ـ الفصل الثالث:
أمثال في الصفات بين السلب والأيجاب. ١٦٧
٧ ـ الفصل الرابع:
الأمثال في الأحوال الاجتماعية. ١٩٧
٨ ـ الفصل الخامس:
الأمثال في الأحوال الاقتصادية. ٢٤٥
٩ ـ الفصل السادس:
موضوعات متنوّعة. ٢٦٩
١٠ ـ الخاتمة ٣١١
١١ ـ المصادر ٣١٥
١٢ ـ المحتويات ٣١٩

هذا الكتاب

يعالج هذا الكتاب موضوع الأمثال كعنصر هام من عناصر التراث العربي والتي لها دور فعال في اعطاء الصورة الحقيقية والواقع التاريخي والاجتماعي والفكري للمجتمع. ويتميز الكتاب في معالجته لهذا المجال بانتهاج أسلوب الموضوعيه التي قد تُسهّل على القارىء الوصول إلى ما يريد معرفته دون مشقّة، فاندرجت الأمثال تحت عنوان الموضوع بعد أن قُدّم لذلك في مُعظمها بما يؤيد ذلك الموضوع أو ينافيه في الشريعة الإسلامية. وتتلخّص اهتمامات الكتاب وأهدافه على إبراز الأمثال التي تحث على اتباع الصفات الايجابية في مجالات الحياة، وكذلك تلك الأمثال التي تحث على الابتعاد عن الصّفات السّلبية التي تتنافى مع المبادىء والقيم الاجتماعية الفاضلة.

والكتاب يُبرز بين صفحاته أهمية الأمثال عن غيرها من أنواع التراث وكأنّها عبارة عن دروس مُتداولة ومُفيدة لا تتحدّد بمكان أو زمان ثابت، فهي كالمعلم المتنقل الذي يحمل رسالته العلمية الهادفة من مكان إلى آخر ومن جيل إلى جيل. ومما يزيد أهمية موضوعات الكتاب شمولها على الكثير من الأمثال المعاصرة التي لم يسبق لها التدوين في المراجع والتي لا يزال الكثير من أبناء العربية يتداولونها في مختلف المناسبات التي تتطلب قولها والإستشهاد بها.

والأمثال الواردة في هذا الكتاب، إضافة الى الهدف المنشود منها، فقد اهتمت دراستها بالأسباب التي أدت الى ظهورها، وانتشارها، والمناسبات التي قيلت وتقال فيها، ومدى مطابقتها للحدث، والآثار التي تنجم عنها في تصرفات البشر

واشتمل الكتاب، بجانب الأمثال، على الأبيات الشعرية التي أضفت على الموضوعات رونقاً جميلاً، وأدت في بعض الحالات دورها كالامثال لما فيها من قوة التعبير وحكمة المنطق وإيجاز اللفظ.

المؤلف

* من مواليد قرية قها ببلاد ثقيف (منطقة الطائف)
* حصل على الدكتوراه من أمريكا في التاريخ (علاقات سياسية).
* عضو في الجمعيات التالية:

جمعية دراسات الشرق الاوسط بالولايات المتحدة الامريكية.

الجمعية المصرية التاريخية.

اتحاد المؤرخين العرب وعضو اللجنة الاستشارية للاتحاد.

نادي مكة الادبي.

* له عدد من البحوث التاريخية بعضها نشر وأخرى في دورها للنشر.
* يعمل الان على تأليف كتاب عن تاريخ الطائف بين الماضي والحاضر وعدد آخر من البحوث التاريخية.
* اشترك في تقديم وإعداد عدد من البرامج الاذاعية المتعلقة بالموضوعات التاريخية.
* إشترك في العديد من المؤتمرات العلمية المتخصصة.
* ناقش وأشرف على عدد من الرسائل في الدراسات العليا التاريخية.
* يعمل الآن رئيساً لقسم التاريخ الإسلامي بكلية الشريعة بجامعة أم القرى.

د. [illegible] علي بن رابع الثقفي

مكتبة دار الزمان ت: ٨٣٦٦٦٦٩٠ ف. ٨٣٨٣٢٢٦
أهمية الامثال في تراث الامة
0007002834
٢٠,٠٠ ر.س.
٣١١

مَكتبة الطالِب الجامعيّ
مكة المكرمة - العزيزية
مدخل جامعة أم القرى ص.ب.: ٦٧٤٧
هاتف: ٥٥٦٦١٧٠ - ٥٥٧٣٢١٠